

عبد السّلام محمد عارف

حياته و مصرعه

أحمد فوزي



www.dardjlah.com

عبد السلام محمد عارف
أول رئيس للجمهورية العراقية

عبد السلام محمد عارف

أول رئيس للجمهورية العراقية

أحمد فوزي

الطبعة الثانية

2016



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2015/4/1411)

956.3022

عبد الجبار، أحمد فوزي

عبد السلام محمد عارف أول رئيس للجمهورية العراقية/ أحمد فوزي عبد الجبار.- عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع، 2015.

(ص)

ر.أ: (2015/4/1411)

الواصفات: /تاريخ العراق// عبد السلام عارف 1963- 1966/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

2016



دار دجلة
ناشرون وموزعون

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص.ب: 712773 عمان 11171- الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com
www.dardjlah.com

ISBN: 9957-71-502-1

الآراء الموجودة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الناشرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو اي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات. أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.

All rights Reserved No Part of this book may be reproduced. Stored in aretrieval system. Or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

فهرست الكتاب

مقدمة الطبعة الثانية

هذا الكتاب يقع ضمن سلسلة من الكتب المهمة التي حرص فيها مؤلفها والدي المرحوم أحمد فوزي عبد الجبار على تسجيل أحداث حقبة من تاريخ العراق الحديث، وهو تاريخ مليئ بالأحداث الجسام والوقائع الدامية، إختلفت فيها مواقف وآراء العراقيين تبعاً لانتماءاتهم الفكرية والسياسية وعقائدهم الدينية والقومية.

منذ أن احتل الانجليز العراق خلال الحرب العالمية الأولى، وتنصيب الهاشميين ملوكاً عليه، وحتى أيامنا هذه لم تعرف بلاد الرافدين عاماً من الاستقرار، أو استتبَّ فيها الأمن والأمان فلم يسلم ملوكه من مكر الانجليز وتآمرهم، فقد قتل الملك فيصل الأول مسموماً، وقتل الملك غازي الذي ناصبهم العداء في حادث مدبر، وجوبهت ثورات العراقيين المتلاحقة بأشد أنواع العسف، فأطيح بثورة رشيد عالي الكيلاني، وأنتهى العهد الملكي في يوم دام، قتل فيه معظم أفراد الأسرة الحاكمة، ولم يجد بعضهم لهم له قبراً يؤويه.

وجاءت الثورة وأصبح عبد الكريم قاسم حاكماً مطلقاً. نكل بالقوميين، وحكم على العديد من شركائه في الثورة بالإعدام بمن فيهم عبد السلام محمد عارف المنفذ الحقيقي للتغيير في عام 1958 لأنه كان منافساً للزعيم الأوحد "والقائد الذي لا يشق له غبار"، ونكل الشيوعيون بالبعثيين والقوميين ولاحقوهم في كل حارة وبيت، وعلقوا العشرات منهم على أعمدة الكهرباء، وسحلوهم في شوارع الموصل حين ثار الشواف على حكمهم.

واستطاع البعثيون العودة للحكم في عام 1963، ولقي عبد الكريم قاسم مصيره دون محاكمة، وأخيراً ألقي بجثته مع ثقل حديدي في مياه النهر، ولم يجد له كذلك قبراً يؤوية. وجاء حزب البعث بعبد السلام محمد عارف فكان أول رئيس

للجمهورية في تاريخ العراق، وظل يحمل راية القومية العربية، ولكنه سرعان ما انقلب على البعثيين، فأطاح بحكمهم، وزج بهم في السجون والمعتقلات. وبعدما أظهر شدة ولائه واقترابه من الرئيس المصري جمال عبد الناصر. الذي كان يحمل مشعل الوحدة العربية، فأنه سرعان ما قلب له ظهر الجن، فأخذ يهاجمه في مجالسه الخاصة، خاصة بعد محاوله الإنقلاب الفاشلة التي قادها رئيس وزرائه عارف عبد الرزاق والذي لجأ بعد فشلها إلى مصر.

ويكرس عبد السلام عارف نفسه حاكماً مطلقاً على العراق. ويصبح تحت مرمى نيران معظم القوى السياسية في العراق من شيوعيين وبعثيين، وقوى قومية .... عربية وكردية وأنظمة مجاورة.

ويلقى عبد السلام عارف حتفه عام 1966 في حادث سقوط طائرة مروحية، تعددت الآراء في أسباب سقوطها، وراجت تكهنات في من يقف وراءها... ويعثرون بعد لأي على جثته وقد احترقت بعض أطرافه في جنوب العراق.

وتتجدد الأطماع في الوصول إلى "عرش العراق"، ويحاول رئيس وزرائه عبد الرحمن البزاز تجيير الأمور لصالحه لكن الجيش يحسم الأمر لصالح شقيقه عبد الرحمن محمد عارف الذي أصبح ثاني رئيس للجمهورية العراقية، ولم يكن قد انخرط في العمل السياسي من قبل.

لقد حرص مؤلف الكتاب بقدر المستطاع على أن يكون موضوعياً، حين سجل أحداث ثورة عام 1958 التي أحاطت بالملكية وكذلك الأمر حينما ألّف كتابه "عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة"، وكذلك فعل حين سجل حياة عبد السلام عارف، وسلط الضوء على حياته السياسية. وقد كتب هذه المؤلفات بروحية المؤرخ الذي يستند إلى شهادات الأحياء ممن عايشوا الأحداث أو ساهموا فيها، أو دونوا في كتبهم ملاحظاتهم عنها.

ومما لا شك فيه أن هذه الكتب قد لاقت رواجاً، وما زال الطلب عليها كثيراً، خاصة أن عدداً ممن شهدوا تلك الأحداث ما زالوا أحياء ولهم ميولهم وأهواؤهم، وربما يعارضون ما جاء فيها.

وقد قمت قبل فترة وجيزة بطبع كتابه الذي تركهُ مخطوطاً بعنوان "اليوم الأخير للملكية في العراق"، وأعدت طبع كتابه عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة (الطبعة الثالثة) وهذه هي الطبعة الثانية لكتاب عبد السلام محمد عارف.

آملين أن يكون في ذلك خدمة لوطننا وأمتنا. ووفاء لوالدي الراحل وأكرر الشكر والتقدير لزوجي الأستاذ محمود الضمور على الجهود الكبيرة التي بذلها لإنجاز هذا المشروع.

والله الموفق

شهب أحمد فوزي عبد الجبار

مقدمة

رؤية.. بعد ربع قرن

مقدمة

رؤية... بعد ربع قرن

في الساعة السابعة والدقيقة والعاشرة من مساء يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر نيسان عام 1966 الموافق الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة عام 1385 للهجرة- أي قبل ما يقرب من ربع قرن- سقطت الطائرة العمودية (الهليوكبتر) التي كانت تقل رئيس الجمهورية العراقية المشير الركن عبد السلام محمد عارف ومرافقيه من الوزراء وبعض كبار رجال الدولة. عند زيارتهم وتفقدهم جنوب العراق، لتحترق في منطقة قريبة من قرية (النشوة) في الجهة الشرقية من شط العرب، فتقضي على كل من فيها من ركاب وملاحين..!

بقيت جثثهم متناثرة على أرض (النشوة) بالقرب من مدينة (القرنة) حتى عُثر عليها في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين- عندما انقشع الظلام عن تلك المنطقة، وبدأت خيوط الضياء تنتشر فيها، في صباح اليوم التالي، الخميس الرابع عشر من شهر نيسان 1966.

لقد هزَّ مصرع عبد السلام محمد عارف، أول رئيس للجمهورية العراقية، ووزرائه ومرافقيه، مشاعر الناس في كل مكان!

وانطلقت التساؤلات تتردد في كل جنبات قطرنا العزيز، ووطننا العربي الكبير، والعالم أجمع:

* هل كانت هناك مؤامرة، أودت بحياة رئيس الجمهورية العراقية..؟!
* هل كانت هناك جهة أو فئة وراء تلك الكارثة..؟!
* هل كانت العاصفة الترابية، السبب في إسقاط طائرة الهليكوبتر، التي كانت تقل رئيس الجمهورية ووزراءه ومرافقيه.

* هل خطط القدر ورسم ونفذ تلك الفاجعة، هكذا بدقة..؟!

وبقيت تلك التساؤلات تتردد طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من الزمن مضى- على ألسنة الكثيرين من الناس..

وظلت الإجابات، تتناقض في روايتها.. وكل إجابة تؤكد صحة مبرراتها..!

لقد كانت شخصية عبد السلام محمد عارف، حديث كل المجالس، في حياته، وبعد مماته..!

فقد أدى دوراً بارزاً مميزاً في تاريخ العراق الحديث.. وثبت بصماته بعمق في تاريخ قطرنا العزيز..

لقد كان العقيد الركن عبد السلام محمد عارف- قد خطط مع الزعيم الركن عبد الكريم قاسم وصحبهما- لثورة الرابع عشر من تموز 1958.

وقاد- بحزم وجرأة- قطعات من الجيش العراقي الباسل، ليزيلوا (الملكية) وليقيموا (الجمهورية) في ذلك الصباح القائظ، الشديد الحرارة!

لقد كان على رأس تلك القطعات يخترق بغداد، ويحتل الإذاعة العراقية في الصالحية بجانب الكرخ، ويذيع بصوته الجهوري ونبراته القوية البيانات الأولى للثورة.

وبعده- وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف من ذلك الصباح الدموي يصل الزعيم الركن عبد الكريم قاسم- دار الإذاعة، ليتسلم رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع ومنصب القائد العام للقوات المسلحة، بعد أن كان كل شيء قد انتهى... قتل الملك فيصل الثاني والأمير عبد الإله ولي العهد.. ومن كان معهما في قصر الرحاب من العائلة المالكة الهاشمية.

وأعلن العقيد الركن عبد السلام محمد عارف في أحد بياناته التي أذاعها أنه أصبح معاوناً للقائد العام للقوات المسلحة ونائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية!

لقد صفقت له الجماهير الواسعة، وهتفت مدوية باسمه، لأنها رأت فيه قائداً جريئاً مقداماً، أزال عهداً كان يعتبر أسود ظالماً، وانبثق عهد فيه الأمل والرجاء!

ولكن- وبعد مضي أسابيع قليلة- ظهرت على تصرفات هذا (الرجل) أمور غريبة، لا تتفق مع طبيعة المرحلة الجديدة!

وبدأ، الخلاف بين قطبي الثورة، يظهر للعيان، بشكل واضح وسافر، ويستفحل يوماً بعد يوم..!

فقد تمكن الزعيم عبد الكريم قاسم من إزاحة زميله العقيد الركن عبد السلام محمد عارف من مناصبه الخطيرة، وأصدر أوامره بابعاده إلى خارج العراق سفيراً!

وعندما عاد عبد السلام محمد عارف، بعد ثلاثة أسابيع، إلى العراق، متحدياً أمر عبد الكريم قاسم دبر أعوان قاسم خطة جديدة لابعاده نهائياً عن أي منصب، فاتهموه بأنه حاول اغتيال (الزعيم) في غرفته في وزارة الدفاع- قبيل سفره إلى خارج العراق- فأحيل على المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة المهداوي) ليقف في قفص الاتهام، مدافعاً عن نفسه.

وكانت المقولة الشهيرة: الثورة تأكل ابناءها قد ترددت في كل مكان، وعلى كل لسان، في تلك الأيام العصيبة!

وبدأ على اعداء الثورة- التشفي، والاغتباط..!

بينما حزّ ذلك في نفوس الوطنيين الأصلاء!

أما الذين اعجبوا بالزعيم عبد الكريم قاسم، من الوهلة الأولى، فقد انطلقوا وراءه بكل عواطفهم، مؤيدين إجراءاته هاتفين بحياته، منادين به "زعيما أوحداً"..!

وأما الذين كانوا ينادون بالوحدة العربية، وتستهويهم شعاراتها، فقد غاظهم أبعاد عبد السلام محمد عارف، كل الإغاظة، وبدأوا من تلك اللحظات يخططون لإعادته..!

وعندما أصدرت (محكمة المهداوي) قرارها القاضي (باعدام العقيد الركن عبد السلام عارف) لمحاولته اغتيال (سيادة الزعيم الأوحد اللواء الركن عبد الكريم قاسم) أودع السجن الانفرادي، انتظاراً لتنفيذ حكم الإعدام به!

وعندما قام العقيد الركن عبد الوهاب الشواف بثورته في الموصل، كان عبد السلام محمد عارف في غياهب السجن، يؤيدها في قرارة نفسه، متمنيا لها التوفيق والنجاح، لإزاحة الحكم الشعوبي الذي اجتاح البلاد!

وظل عبد السلام محمد عارف قابعاً في السجن ما يقرب من ثلاث سنوات منتظراً ساعة تنفيذ حكم الإعدام.

ولكن عبد الكريم قاسم لم ينفذ الحكم به، بل زاره في زنزانته طلباً لمصالحته ونسيان الماضي والسير في ركاب الثورة تحت زعامته.. وأبدل بعدئذٍ عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد ثم أخلى سبيله.

وظل المناهضون لسياسة عبد الكريم قاسم من الضباط والفئات القومية تتفاعل في نفوسهم فكرة إزاحة هذا النظام والإطاحة بقائده.

جرى الاتصال مع عبد السلام محمد عارف وأحيط علماً بالأمر المُبيت.. ولكنهم لم يخبروه بساعة الصفر، ساعة التنفيذ!

وفي صبيحة يوم الجمعة 14 رمضان 1382 الموافق 8 شباط 1963 جاء إلى عبد السلام في مسكنه في الأعظمية من يخبره بأن يكون جاهزاً لأمر مهم..!

وكان عبد السلام محمد عارف في الساعات الأولى لإعلان الثورة على نظام عبد الكريم قاسم، متواجداً في دار الإذاعة العراقية في الصالحية بالكرخ، مع إخوانه قادة ومنفذي الثورة.

انتخب عبد السلام محمد عارف رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة..

وبذلك أصبح عبد السلام محمد عارف أول رئيس للجمهورية العراقية في التاريخ..

**

إن المتتبع لشريط حياة عبد السلام محمد عارف، منذ صباه حتى ساعة مصرعه في الطائرة.. يجد شخصية هذا (الرجل) تتسم بالجرأة التي اعترف بها حتى خصومه وأعداؤه، ولكنهم اعتبروها نوعاً من التهور..!!

كان شخصاً متدينا، متمسكاً بأهداب الدين الحنيف، منذ نعومة أظفاره.. وكان شخصاً يمزج الجد بالهزل، وإذا (حبكت) النكتة لديه، في أية مناسبة، لا يدعها تفلت من شفتيه!!

ولكنه إلى جانب تلك الخصال- التي كان يعتبرها أنصاره حميدة.. كان يبدو عليه أحياناً- لا سيما في أيامه الأخيرة- أنه من محبي الجاه وفخفخة السلطان!

وبدت تظهر عليه "الغطرسة" و "الجبروت"، فابتعد عنه الكثير من أنصاره ومحبيه.

ثم استطاب الحكم، فابتعد عن "المبادئ" التي كان قد نادى بها وعشقها في وقت مبكر من حياته..!!

ثم أخذ يتنكر لدعاة الوحدة..!

فانتفض عليه عارف عبد الرزاق، رئيس وزرائه وقائد القوات الجوية، وحاول الإطاحة به من كرسي الرئاسة، عندما كان خارج العراق.

وانطلقت بعد ذلك الكثير من التساؤلات، حول تلك الأحداث:

* لماذا قام رئيس الوزراء عارف عبد الرزاق بمحاولة الإطاحة برئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف، ولماذا خاب هذا الانقلاب.

* هل تأكد لعارف عبد الرزاق أن عبد السلام محمد عارف قد ابتعد عن المبادئ المتفق عليها، وابتعد عن الخط الوحدوي، فقام بانقلابه الذي قدر له الفشل في لحظاته الأولى؟!

* هل صحيح أن عبد السلام محمد عارف- المنادي بالوحدة والمتحمس لها، قد أغراه كرسي الحكم. واستطاب السلطان، فأخذ يبتعد في تصرفاته وأعماله عن الوحدة..؟!

أننا من خلال دراسة ومتابعة مسيرة عبد السلام محمد عارف.. سيتضح لنا مدى صحة الإجابة على هذه التساؤلات وغيرها مما شابهها..!

**

لقد كنت قريباً. وأحياناً قريباً جداً، من عبد السلام محمد عارف...

فقد عرفته في منتصف الخمسينات، بعد تخرجه في كلية الأركان.

وكان يحضر في بعض الأوقات إلى نادي المحامين، ليشاركنا نحن شباب حزب الاستقلال- جلسات المساء..

وجدناه، شاباً متدفقاً بالحيوية، مؤمناً بوحدة أمته، ومناهضاً للسياسة التي كانت تسود في العهد الملكي، ومعارضاً بشدة للأوضاع القائمة آنذاك!

كنا نرى فيه النموذج الحي للضابط الحر الوطني المقدام، ونأمل فيه وفي أمثاله من الضباط الأحرار كل الخير لتبديل الأوضاع، بعد أن استهوتنا وشدتنا إليها الثورة العربية في مصر التي قادها وفجرها (المقدم) البكباشي أركان حرب جمال عبد الناصر، والذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية المصرية، ثم رئيساً للجمهورية العربية المتحدة- بعد وحدة سورية ومصر.

وكنت قريباً منه جداً صبيحة يوم الثورة- 14 تموز 1958.

فقد أوفدني عندما كنت متواجداً في الساعات الأولى للثورة في دار الإذاعة بالصالحية إلى دار الشيخ محمد مهدي كبه.. رئيس حزب الاستقلال، الذي عينته الثورة عضواً في مجلس السيادة، لأخباره، ومن كان حينذاك معه- إلى وجوب الالتحاق بمراكز أعمالهم، لأن الثورة- على حد تعبيره، قد نجحت "وكل شيء قد انتهى".

هكذا كان يتصرف، منذ اللحظات الأولى للثورة، ببساطة وعفوية، دون الأخذ بالاعتبارات..!

ومثل هذه الأمور وغيرها، تسببت في امتعاض "الآخرين". فوصفوه بـ (السذاجة)!

وعندما قامت ثورة الرابع عشر من رمضان (8 شباط 1963). واطيح بعبد الكريم قاسم ونظام حكمه، كان عبد السلام محمد عارف قد تسلم سلطاته رئيساً للجمهورية..

أخذ منذ الساعات الأولى لتسلمه سلطاته، يتصرف بمعزل عن الآخرين، الذين جاءوا به ونصبوه في هذا المنصب الرفيع!

ثم بدأ رويداً رويداً يجمع حوله مناصريه ومؤيديه ليستقطب الحكم كله بين يديه! وأخذ يضرب هذا بذاك.. ويفرق بين (زيد) و(عمر)!

وفي 18 تشرين الثاني 1963 تمكن من معارضيه، وكل من وقف أمامه متحدياً. ومرة أخرى. تجمعت بين يديه كل مقاليد السلطة. انفسح الطريق عريضاً أمامه!! وهنا- في هذه الفترة من حياته، شعر دعاة الوحدة في تصرفاته الشخصية ابتعاده عن (الوحدة) والتنكيل بالوحدويين، الذين جاءوا به ونصبوه على دست الحكم وسلّموه صولجانه.

فتزعم الإطاحة به رئيس وزرائه عارف عبدالرزاق.. ولكن المحاولة رافقها الفشل والخيبة منذ ساعاتها الأولى!

وفي القاهرة، عندما جاء عبد السلام محمد عارف لحضور مؤتمر القمة العربي الأول في شهر كانون الثاني 1964.

وفي الإسكندرية- عندما جاء لحضور مؤتمر القمة العربي الثاني في شهر أيلول 1964.. كنت قريباً منه في المدينتين.. فشاهدت في تصرفاته (الازدواجية).. فكان يظهر مالا يبطن، ويتفوه بمالا يعتقد!

يظهر أمام (الوحدويين) من الزعماء العرب، أنه وحدوي أصيل، وأن لا مناص للعرب ولا حياة لهم من غير الوحدة، وأن الوحدة هي قدر الأمة!

ويظهر أمام (الإقليميين) ويعلن أن (الوحدة) غير ممكنة، وأنها صعبة التحقيق والمنال.

وهكذا بدأت تطفو (الإقليمية) على أفكاره وتصرفاته في هذه المرحلة من حياته بكل وضوح. فانطلقت التساؤلات تتردد في كل مكان:

* هل ابتعد فعلاً الرئيس عبد السلام محمد عارف عن (الوحدة)؟!

* لماذا أخذ يتفوه دائماً مع (مقربيه) و(ضعيفي العقيدة) و(الإقليميين) بأن الوحدة صعبة التحقيق؟!

* لماذا أخذ يتقول على الرئيس جمال عبد الناصر في كل مناسبة سانحة، ويبتعد عنه وعن الجمهورية العربية المتحدة؟

مثل هذه التساؤلات- كانت تتردد بكثرة في المحافل والأوساط العربية.. وكانت الإجابة عليها تختلف حسب الأمزجة والأهواء..!

سألني صديق، قبل مصرع عبد السلام محمد عارف بأيام، وكنت آنذاك في موقع أمامي في الإعلام في وكالة الأنباء العراقية..!

- هل بَدَر من الرئيس عارف من خلال توجيهاته الإعلامية، ما يفيد ابتعاده عن الجمهورية العربية المتحدة والرئيس جمال عبد الناصر؟

فلم أجبه في حينه..!

ولكن، في اليوم التالي لذلك السؤال، اتصل بي عبد الله مجيد الأمين العام لرئاسة الجمهورية- ومن أقرب المقربين للرئيس عبد السلام محمد عارف- هاتفياً قائلاً:

- هل قرأت جريدة (الأهرام) القاهرية الصادرة يوم أمس؟!

قال بامتعاض: لقد نشروا خبراً عن السيد رئيس الجمهورية في الصفحة الخامسة فيها، وبعنوان صغير.. وأنتم تنشرون أخباراً عن جمال عبد الناصر في عناوين بارزة وفي الصفحات الأولى!

ثم أردف قائلاً بكثير من الامتعاض: الرئيس يقول لك- أنت بالذات- ان أي خبر عن جمال عبد الناصر ينشر في الصحف بعناوين بارزة ستتحمل مسؤولية ذلك..

وكرر تلك الجملة الأخيرة مرة أخرى، بنبرة يشوبها التهديد!

وأخبرته: أن ذلك يجب أن يوجه إلى السيد وزير الثقافة والإرشاد بوصفه الرئيس الأعلى لهذه الدائرة وليس لي.

فأغلق الهاتف بعصبية ظاهرة!

وبعد مصرع الرئيس عبد السلام محمد عارف قال لي الصديق نفسه:

- لقد كنت واثقاً. أنه لو طال العمر بالرئيس عبد السلام محمد عارف لابتعد كثيراً عن الرئيس جمال عبد الناصر..!

**

تناولت في صفحات هذا الكتاب (سيرة) عبد السلام محمد عارف، من ولادته حتى مصرعه، و(مسيرة) أيامه، منذ تحركه على رأس قطعات من الجيش العراقي ليزيح الملكية، حتى لحظة سقوط الطائرة به في أرض النشوة بجنوب العراق.

كما تناولت محاكمته- عندما وقف في قفص الاتهام في (محكمة المهداوي) ومطالعة المدعي العام، ولخصت شهادات الشهود، وثبت الحوار والمناقشة- بعد إفادته الكاملة- مع رئيس المحكمة والإدعاء العام. ثم الدفاع الذي ألقاه وكيله المحامي محمد العبطة-.

ومع علمي أن وقائع المحاكمة قد نشرت في الجزء الخامس من كتاب (محكمة الشعب) وهو العدد الخاص بالجلسات السرية- الذي أصدرته هيئة التنسيق في المحكمة العسكرية الخاصة.. وأذيعت من دار الإذاعة- بعد فترة من الوقت... غير أن حرصي على أن يطلع أبناء هذا الجيل- ممن لم تسنح له الفرصة أن يطلع على مجريات تلك المحاكمة دفعني إلى تدوينها في هذا الكتاب بكل دقة وأمانة.

وتناولت في الفصل الأخير، تفاصيل مصرع عبد السلام محمد عارف وصحبه بعد تحطم الطائرة بهم وانفجارها.. والأيام الأخيرة في حياته. وركزت على الساعات التي سبقت مصرعه.. كما تناولت في هذا الفصل كذلك

التكهنات التي دارت في أذهان المحللين والمراقبين والسياسيين، وأذهان الناس. وهي تحلل الحادث، وتستنبط الأدلة والقرائن، لعلها تصل إلى الأصابع التي كانت وراء الحادث، أو لعلها تتعرف على "الفاعل الأصلي" لهذا الحادث المفجع.

اني من خلال سطور هذا الكتاب، أردت- بعيداً عن الهوى- أن اعطي صورة شاملة لما جرى في ذلك العهد- عهد عبد السلام محمد عارف من زاوية التمحيص، وعلى ضوء المعلومات التي حاولت وجاهدت أن تكون فيها أكبر نسبة من الحقيقة كلها، بل لأن (الحقائق) نفسها تتعرض كثيراً إلى التحوير والتبديل، وأن أي عرض موضوعي أمين مهما كان يضم أو ينطوي على وقائع قد يرى البعض اخفاءها، وقد يكون هذا البعض: حاكماً أو غير حاكم أو معارضاً، فإنها حتماً تخدم الجميع،، لأنها تضعهم في الصورة، ليروها من زاوية غير جانبية، ومن غير ظلال ولا رتوش!!

لقد وضعت نصب عيني- وأنا أسطر صفحات هذا الكتاب- مقولة رائعة للسيد الرئيس القائد صدام حسين "حفظه الله": "التاريخ هو الذي ينصف، والشعب هوالحكم العادل، لتاريخ كل واحد مرَّ في الحياة السياسية العراقية".

أن بحثي هذا- ليس بحثاً أكاديمياً (جامعياً)، وليس ريبورتاجاً (تقريراً) صحفياً، بل هو جمع معلومات من مصادر عديدة مختلفة ومتباينة، كتبت بأسلوب أقرب إلى التاريخ، أو السرد التاريخي منه إلى الكتابة الصحفية، أو هو الأثنان معاً.

فقد تجتمع في المؤرخ والصحفي- كما قلت ذلك مراراً- أكثر من صفة يستطيع بها مريدها أن يصل إلى الحقيقة المختفية أو المستورة وراء الواقع وبين السطور، ويكشف البراقع والحجب عنها، ويسلط الأضواء عليها بأسلوب سهل ممتنع، موثق.

**

يجيب الكاتب الإنكليزي الشهير "ليدل هارت" في كتابه "التاريخ فكراً استراتيجياً" رداً على سؤال: "ما الغاية التي يتوخاها التاريخ؟" فيقول:

"أجيب على هذا السؤال بكلمة واحدة بسيطة واضحة هي "الحقيقة" ويبدو أن هذه الكلمة أو الفكرة قد أصبحت سلعة بائرة، وتجارة خاسرة في الحياة المعاصرة، ولكن الاعتقاد باستحالة الوصول إلى الحقيقة، تترتب عليه، وتنجم عنه نتائج أسوأ بكثير من تلك التي تنشأ من الاعتقاد بإمكانية الوصول إلى الحقيقة أو تترتب عليه وتنجم عنه.

ويمكن القول بتحفظ وحذر: أن غاية التاريخ هي معرفة ما حدث بالفعل في سياق محاولة معرفة لماذا حدث، كما حدث، أو بعبارة أخرى: إنها السعي إلى اكتشاف وإدراك الروابط العللية والعلاقات السببية بين الوقائع والأحداث التي يتألف منها، ويقوم عليها التاريخ".

والله من وراء القصد.

بغداد في 1 حزيران 1989 **أحمد فوزي**

عبد السلام محمد عارف
سيرته.. محاكمته..
مصرعه!

سيرته.. ومسيرته

عندما كانت الشمس ترسل شعاعها الأول صبيحة يوم الإثنين 21 مارس 1921 الموافق 12 رجب 1339 للهجرة، كانت السيدة "ستة" بنت جاسم الرجب قد وضعت طفلاً جديداً، في بيت متواضع في محلة "سوق حمادة" بجانب الكرخ.

كان البيت الذي ولد فيه هذا الوليد - الذي أطلق عليه اسم "عبد السلام" يحمل رقم 507/ 2 ويقع في دربونة (زقاق) غير نافذ!

وينتمي والد الطفل "عبد السلام"- الحاج محمد عارف بن ياس بن خضر، إلى عشيرة "الجميلة" التي تقطن "عانة" بمحافظة الأنبار (لواء الرمادي سابقاً)، ومن مواليد عام 1889م.

والحاج محمد عارف- اسمه مركب على طريقة تسمية الأتراك- كان بزازا في سوق "الشيخ صندل" بجانب الكرخ، وقد ورث هذه المهنة عن أبيه. وكانت أمه تدعى "ياس" تكريتية من بيت "شنداح".

وتزوج محمد عارف من "ستة" بنت جاسم الرجب (من الرمادي)، وهو شاب يافع، أيام الحرب العالمية الأولى، وكان تقيا ورعاً متمسكاً بأهداب الدين وبأصوله، وقد بدأ حياته بدراسة العلوم الدينية لدى عباس حلمي القصاب، والحاج نجم الدين الواعظ. وعندما توفي والده حل محله في إدارة الدكان.

وكان للحاج محمد عارف بيتان في نفس ذلك الزقاق، أحدهما في مدخله، والثاني في نهايته.

وقد رزق الحاج محمد عارف بأربعة ذكور وأربع إناث. كان تسلسلهم كالآتي:

أكبرهم "عبد السميع". وقد ولد في نفس البيت عام 1915 وتزوج من ابنة عمه شهاب أحمد واسمها "جميلة". واصبح ضابطاً في الجيش ثم أحيل على التقاعد بعد حركة رشيد عالي التحررية.

وثانيهم "عبد الرحمن". وقد ولد في نفس البيت كذللك عام 1916 وتزوج من ابنة عبد المجيد فارس، واسمها "فائقة" وأصبح ضابطاً في الجيش ثم رئيساً للجمهورية بعد مصرع شقيقه.

وتلته "سعدية" وقد تزوجت من رشيد آل حويش- مدير المزارع الملكية.

وكان رابعهم "عبد السلام" وقد تزوج من ابنة حسين فريد الريس واسمها "ناهدة". وتلته "نظيمة"، وقد تزوجت من ابن خالتها عبد اللطيف نعمان (معلم). ثم تلتها "فضيلة". وقد تزوجت من ابن خالتها طالب نعمان (معاون شرطة). ثم تلتها "صبيحة" وقد تزوجت من عبد الكريم الجادر (قاض).

وكان آخر المواليد "صباح" الذي تزوج من ابنة إبراهيم جميل واسمها "مديحة".

ويروي عبد السلام محمد عارف قائلاً عن نشأته وطفولته:

"فتحت عيني على الحياة في محلة سوق حمادة، وهي منطقة متواضعة في صوب الكرخ ببغداد.

ولقد كان لعائلتي جهادها في ماضيها وحاضرها، فقد غدر الإنكليز بعمي السيد عباس وقتلوه في الرمادي وانتقم الإنكليز لمقتل (لجمن) البريطاني من خالي الشيخ ضاري شر انتقام وذهب شهيداً لوطنه في جنات الخلد.

منذ أن وعيت الحياة درست الكثير، وكافحت بشرف منذ أن كنت تلميذاً صغيراً فلم أكن سليل عائلة عريقة الثراء. لكنني كنت فرداً في أسرة كبيرة يرعاها والدي الحاج محمد عارف بجهده وعرقه.

وكان والدي مثلي الأعلى.. لقد علمني والدي الكثير في حياتي.. علمني الصبر، وعلمني إيمانه بالله ووضع في قلبي بذور الشجاعة.

لم يكن الحاج محمد عارف، مجرد والد لي، فقد كنت اعتبره أبا ومعلما ورائداً. ان منزلته في قلبي تأتي بعد منزلة الله سبحانه وتعالى، فله أدين بكل ما أحرزته في حياتي].

وكل خميس كان أبوه يلتقي بأصدقائه في بيتهم يتبادلون أحاديث الدين، وقصائد الشعر، وأخبار الدنيا، وكانت هذه الندوات مدرسة له. ومن بين الرجال الذين كانوا يترددون عليها شاعر عزيز النفس موفور الكرامة كان يأبى أن يؤجر على شعره أو يثاب، ويأنف أن يأكل على مائدة غير مائدته. وكان يحمل دائماً تحت إبطه لفة من الورق بداخلها كفنه ويقول:

"إنني آكل لقمة عيشي يوماً بيوم بعرق جبيني من أي عمل شريف حر. ولا أتطفل على مائدة أحد ولذلك أحمل كفني دائماً تحت أبطي".

وتعلم (عبد السلام) الكثير من الأسس الصالحة للحياة الطيبة في بيتهم الصغير.. تعلم الاعتماد على النفس من نصيحة كان يرددها أبوه أمامه دائماً: "ثق بنفسك، ثم استعن بالله، فإنه يعين من يعين نفسه".

يقول عبد السلام محمد عارف في حديث له لأحد الصحفيين العرب:

- لقد تعلمت القناعة والصبر من أبي- معلمي الأول. فقد كنت- وأنا طفل صغير- أحب الفاكهة، وكنت قبل أن أنام احتفظ بكمية منها لليوم التالي. وفي الصباح اكتشف إنها تلفت، فأحزن، واضطر- مرغماً- أن أرميها ولاحظ أبي ذلك، وفي يوم جاءني وأنا جالس حزين أمام الفاكهة المعطوبة وقال لي:

- عبد السلام.. أتريد فاكهتك أن تبقى طيبة حتى الصباح؟!

• نعم.. ماذا أفعل؟!

- أنتق واحدة أو اثنتين، فقط من الفاكهة، واقنع بهما، لأن طمعك فيها كلها يجعلك لا تميز بين السليمة وغير السليمة فتخلطهما، فتفسد الفاكهة السليمة، وتضيع عليك كلها.

ونفذت نصيحة أبي- واكتشفت أن هذا صحيح. وكان أول وآخر درس أتلقاه في القناعة!

أما الصبر فقد تعلمته وتعودته من نصيحة أخرى لأبي، فقد كان يهوى صيد السمك، ويقول لي جرب هذه الهواية وأقبلت على صيد السمك، وأنا لا أعرف السر. فأنا لم أتعود مخالفة أبي أو مناقشته في أمر أصدره لي. نفذت النصيحة على أنها مجرد طاعة واكتشفت أنني اكتسبت صفة من أنبل صفات البشر.. صفة الصبر].

وتنبه عبد السلام محمد عارف يوما إلى أن الندوات التي تعقد في بيت أبيه قد انقلبت إلى ندوات وطنية. وانقلبت الأحاديث الدينية وقصائد الشعر، فأصبحت حماسية وطنية تحض على كراهية الأنكليز ومناهضة احتلالهم للعراق الذين حولوه إلى قاعدة عسكرية تؤمن طريق مواصلاتهم إلى الهند.

وذات صباح استيقظ عبد السلام من نومه مبكرا- وكالمعتاد- صلى الصباح، وكان الذي يؤمه للصلاة هو أبوه. وبدأ يرتدي ملابسه فاستوقفه الأب ليدور بينهما الحوار التالي:

- إلى أين ذاهب يا عبد السلام؟!

• إلى المدرسة...

- لن تذهب اليوم إلى المدرسة!

• لماذا يا أبي؟

- اليوم.. لاتخرج من البيت.

• لماذا..؟!

- ستعرف فيما بعد..

• ولماذ لا أعرف الآن؟!

وتدخلت الأم وقالت:

- اسكت يا عبد السلام.. لا تزعج والدك!

وقال الأب:

- اسكتي أنت.. دعي الولد يسأل كما يشاء، فمن حقه أن يسألني. ومن واجبي أن أرد عليه.

وتشجع عبد السلام وعاد يسأل:

• لماذا لا أخرج من البيت اليوم يا أبي؟!

- ستعرف الجواب بنفسك.. إصبر، ولنفطر أولا..

وأعدت الأم طعام الأفطار، وأكل الأب بسرعة، ثم قام إلى عباءته وارتداها واختار من مجموعة العصي التي يحتفظ بها واحدة متينة وانصرف مسرعا بعد أن همس في أذن زوجته بشيء. ورآى (عبد السلام) الدموع تنحدر من عيني أمه، فسالت دموعه على خده رغما عنه.

وبعد لحظات كانت هناك خارج البيت هتافات تدوي وتشق عنان السماء، واستطاع (عبد السلام) من خلال هذا الهدير الخارجي أن يلتقط باذنيه كلمات مثل "الثورة.. تسقط المعاهدة... يسقط الأنكليز..".

وبدأ الفتى الصغير يستفسر من أمه عن معنى هذه الكلمات، وفسرتها له..

وفجأة دوى صوت طلقات الرصاص وفزع وارتمى على صدر أمه فأحاطته بذراعيها.

ومر وقت طويل حتى هدأت الهتافات وبدأ صوت الرصاص يسمع خافتا من بعد.. وقامت الأم ودخلت إلى المطبخ لتعد الغذاء وكان (عبد السلام) قد بدأ يشعر بالقلق على أبيه، فانتهز فرصة غياب الأم في المطبخ، وتسلل خارجا من البيت ووصل إلى السوق. وجد أنه بمفرده هناك وسط الحجارة والحصى والعصي المكسورة وطلقات الرصاص الفارغة.. إنها آثار معركة.

ولم يكن هناك- في ذلك الوقت- سبيل لامداد المتظاهرين بالسلاح والرصاص، ولذلك كانوا يقاتلون بأسلحة بدائية، لكن بروح متدفقة قوية.

وكانت أم عبد السلام قد جن جنونها عندما اكتشفت أنه خرج من البيت، ولم يهدأ بالها إلا عندما رأت شرطياً يطرق بابها وفي يده (عبد السلام)، وبعد أن شكرت الشرطي قامت بقفل الباب من الداخل بالقفل والمزلاج حتى لا يخرج من البيت مرة ثانية.

ومع الغروب كان الأب يعود إلى بيته مغبر الوجه والثياب، وارتمى (عبد السلام) في أحضانه بينما أرتفع صوت الأم: "الحمد لله على سلامتك".

وبدأ الأب يتحدث عن مظاهرات الشعب ضد الاستعمار. وكانت المرة الأولى التي تدخل رأس عبد السلام فكرة عن الاستعمار الأنكليزي والاحتلال الأنكليزي لوطنه العراق. وعرف أن الشعب العراقي يطالب بالغاء المعاهدة.

ولم يطل بقاء أبيه في البيت. فما هي الافترة قصيرة حتى خرج وفي يده عصاه الصلبة المتينة. واستسلم (عبد السلام) للنوم، واستيقظ في الصباح الباكر ليصلي الصبح كعادته، وحمد الله أن رأى والده بالقرب منه، فقد عاد في ساعة متأخرة من الليل، وسأله عبد السلام:

• هل أذهب معك اليوم يا أبي؟!

- لا.. ليس اليوم أيضا يا عبد السلام.. سأخرج وحدى كالأمس!

• أريد أن أخرج معك اليوم..

- لا تتعجل يا بني.. سيجيء اليوم الذي تخرج فيه وحدك..].

ويستطرد عبد السلام محمد عارف قائلا:

- كنت معجبا دائما بالشرطي، وكنت أراه يغدو ويروح في الطريق مختالاً ببدلته العسكرية الأنيقة، ذات الأزرار الصفراء اللامعة التي كنت احسبها- في ذلك الوقت- من الذهب وكانت تجذبني إليه عصاه الصغيرة (الدونكي) التي يقلبها في يده ويديرها باصابعه أثناء سيره وكنت أتوهم أنا وأصدقائي الصغار أن هذه العصا سحرية ومسمومة تذيق الموت للمجرمين واللصوص والحرامية. وكم بهرني نفوذ هذا الشرطي. عندما كنت ارى الناس تقف له احتراما. وكنت أراه يفض المشاجرات في لمح البصر، وكان الجميع يستمعون لكلمته وتمنيت أن أكون شرطيا، مثل هذا الشرطي، أليس هو الذي قادني إلى البيت سالما..؟!

إلى أن كان يوم قادتني قدماي أنا وصحبي الصغار إلى معسكر للجنود. فقد سرنا خلف كتيبة منهم تتقدمهم فرقة الموسيقى، حتى دخلوا ساحة المعسكر، ثم اصطفوا وأخذوا يقومون بالتدريبات العسكرية. ووقفنا نرقبهم بأعجاب شديد ولاحظت أن صاحب الكلمة الأولى بين الجنود شخص يرتدي ملابس أجمل من ملابس الشرطي، ويحمل في يده سيفا براقا، بدلا من العصا، وتمنيت لحظتها أن أصبح مثل هذا الشخص..

.لكن من يكون هذا؟

عندما عدت إلى البيت قالت أمي أنه: "ضابط جيش".

وعندما بدأنا اللعب- عصر ذلك اليوم- أنا وصحابي الصغار، أعددت لكل واحد منهم عصا بدلا من البندقية التي كان يحملها الجنود، وأعددت لنفسي سيفا صنعته من الصفيح، وأخذنا نقلد الجنود في تدريباتهم العسكرية وخطواتهم على دقات الطبول وكانت الطبلة صفيحة (تنكه) فارغة!

وكان من بين الأولاد الذين يلعبون معي غلام جسور مكابر، لم يلبث أن تمرد علي وعصى أوامري وتحداني، وانقسمنا إلى فريقين، أو جيشين!

ودارت معركة بالعصي والحجارة والأيدي، وأنتصر الجيش الذي كنت أقوده وتصادف أن وصل أبي في تلك اللحظة وسأل عما نفعل، فحكيت له الأمر كله، فاقتادني أنا وغريمي المكابر إلى البيت وقال لي:

- هات كتاب الحساب وورقا أبيض وقلمين.

ونفذت الأمر..

وامسك أبي بالكتاب. واعطى كلا منا ورقة وقلما وقال:

- اكتبوا..

واملى علينا ثلاث مسائل، وطلب منا أن نحلها.

وبدأنا نحل المسائل، وأخذ أبي الورقتين ليصحح الحل، ثم التفت إلى خصمي وقال له:

- أنت غلبت عبد السلام في الحساب.. سأعطيك مكافأة.

وأخرج من جيبه قطعة حلوى واعطاها له. واغتظت، وكادت دموعي تنزل من عيني عندما صاح أبي:

- عبد السلام سمّع لي آية الكرسي..

وفرحت فانا احفظها عن ظهر قلب، واسمعته الآية الكريمة بوضوح وبلا

تلعثم، فشجعني أبي بكلمة طيبة ثم طلب من خصمي أن يسمعه الآية، فقال أنه لا يحفظها، وقال أبي:

- لقد غلبته يا عبد السلام.. ساعطيك مكافأة. وأعطاني قطعة حلوى!

وجلس أبي بيننا وقال لنا:

- هذا هو القتال النافع الجدي، وهذا هو السلاح الذي ينبغي أن تتقاتلا به.. سلاح القلم. وافترقت أنا وخصمي صديقين].

وكان والده قبل أن يدخله المدرسة الابتدائية. قد اودعه لدى ملا عواد الجبوري، الذي كان يدرس الصغار في الجامع القريب من مسكنه- الحروف الهجائية وقصار السور، ورسم الخط، فتعلم الصغير عبد السلام بعض سور القرآن الكريم وحفظها على غيبه، ثم ادخله بعد ذلك لدى الملا داود علي العاني، ليزيده علما ومعرفة.

وعندما بلغ السنة السادسة من عمره- أدخله والده "مدرسة دار السلام" الابتدائية في الكرخ.. ثم انتقل إلى "مدرسة الرمادي الابتدائية".

وبعد تخرجه في الابتدائية، دخل مدرسة الكرخ المتوسطة، فالمدرسة الإعدادية المركزية بالرصافة.

وفي نهاية عام 1937 اعلنت وزارة الدفاع أنها ستقبل طلابا لم يتخرجوا بعد من الدراسة الإعدادية- أي لم يجتازوا الامتحان الوزاري (البكالوريا)- في الكلية العسكرية..

تقدم عبد السلام محمد عارف- الذي لا يزال طالبا في السنة الأخيرة في الإعدادية- بطلب لقبوله في الكلية العسكرية. وبعد إجراء الفحص الطبي عليه، قُبِلَ في 19 شباط 1938 طالباً في الكلية العسكرية.

ويتحدث عبد السلام محمد عارف عن هذه الفترة من حياته، قبيل دخوله الكلية العسكرية قائلا: "لقد اجتزت مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية بتفوق، فقد كنت متفرغا للدراسة تفرغا كاملا. وكنت قليل الاختلاط بالطلبة لأن بعضهم- كما تبين لي- غير مستقيم، وأنا أخشى الله، وأخشى من بعده والدي. وكنت شغوفاً بالقراءة. كنت اقرأ أي كتاب. وأية ورقة حتى الاعلانات في الجرائد أو الملصقات على الجدران أو لافتات المحلات في الشوارع، وكنت أجد في كل ما اقرأ الفائدة والمتعة. إن قصاصة من قصاصات ذلك العهد البعيد مازالت عندي. كانت ورقة ملفوفا فيها "الدستور الحربي الياباني القديم"- وهو الدستور الذي كان يحمله كل ضابط وكل جندي ياباني في جيبه، ولست أدري إن كانوا يحملونه حتى اليوم أم لا؟ إن هذا الدستور عبارة عن سؤال وجواب، ومن هذه الأسئلة الآتي:

س- ما هو مظهر الروح الياباني؟

ج- الطاعة وتضحية النفس.

س- فيما تنحصر البسالة الحربية؟

ج- في المتقدم من الأمام بالرغم من جميع الموانع.

س- ما هو الشيء الأكثر أهانة للجندي؟

ج- الهزيمة.

س- لأي شيء ترمز الدائرة الحمراء التي تتوسط العلم الياباني؟

ج- دم الجندي الياباني استشهد في ساحة الوغى.

س- أن هذا الجندي قد مات، فما الذي بقي بعده حيا؟

ج- المجد.

وقررت أن أحتفظ بهذه القصاصة منذ عثرت عليها، إلى أن أصبحت مثل الضابط صاحب الملابس الجميلة الذي رأيته- ذات يوم- أنا وصحبي الصغار في المعسكر].

وعندما التحق بالكلية العسكرية تحقق لعبد السلام محمد عارف حلم الصبا، حلم البدلة العسكرية الجميلة، ذات الأزرار اللامعة، ومعها السيف البراق.

وبدأت الدراسة في الكلية العسكرية وعاش أيامها الرتيبة، ملتزما جادة الدرس والتدريب السوية ليحقق الحلم الكبير.. وتفتحت عيناه أكثر وأكثر على مهازل ومآسي الحكم في البلاد، وتلاعب الطغمة الحاكمة بأقدار البلد ومصائره!.

وكان عبد السلام خلال دراسته بالكلية العسكرية بدأ يتململ من قيود النظام العسكري الذي يحرم حتى المشاركة في المظاهرات بالهتاف والنداء، كما كانوا يفعلون في مرحلة الدراسة الثانوية. ومر بفترة حزن وكمد. ووصل به الضيق إلى حد أن فكر في هجر الدراسة العسكرية فوراً، والانطلاق- كما كان يقول- في رحاب بلاده مع ابناء الشعب يدعون للثورة وينادون للجهاد.

ولكنه لم يلبث أن ارتد إلى نفسه وسيطر عليها، فكظم غيظه واعتصم بالصبر. وجاهد لأحكام سد غطاء مرجل الغليان الذي يضطرم داخل نفسه، وهو واثق بأنه سيجيء اليوم الذي لا يقوى فيه على منع الأنفجار.

وفي 7 ايار 1939 تخرج عبد السلام محمد عارف في الكلية العسكرية، وكان عمره لا يتعدى العشرين عاماً.

تخرج وأصبح ضابطا يحمل على كتفيه (نجمة) واحدة، رأى عبد السلام نفسه مع عشرة من زملائه، التقوا معه في وحدة الشعور والهدف، يجتمعون في

ظلام الليل في ركن بعيد من المعسكر الذي يضمهم ويقسمون اليمين على تحرير العراق من الاستعمار وعملائه واطلقوا على جماعتهم اسم "العشرة المبشرة" ولم يضعوا لأنفسهم خطة أو ترتيباً للعمل، بل تركوا الأمر للظروف وللزمن.

كانت روح التذمر تسوده هو وفريق من إخوانه الضباط. وكانوا يجتمعون بصفة سرية إذا ما اجتمعوا في معسكر الرشيد، ومرة في معسكر الوشاش. وكان لهذه الاجتماعات والتكتلات صداها وأثرها في بعض الأحيان، بحيث كانت تؤتي ثمرتها في علاج الفساد. وكانت تشتد في أحيان أخرى، لدرجة أن تسقط الوزارات، وكان الضباط الذين يقومون بها يعتبرون "عصاة" ويحاكمون ويحالون على التقاعد. وظهر في هذه الاثناء "صلاح الدين الصباغ" وأصحابه الضباط.

وكان التفاهم بين الضباط الشبان من رتبة عقيد فما دون، لأن الضباط الكبار احيلوا تدريجيا على التقاعد. وكانت سياسة نوري السعيد معهم أن يعطف على حركاتهم مرة، وينكل بهم مرات!!

وعندما قامت حركة رشيد عالي الكيلاني التحررية ضد الطغيان الاستعماري البغيض في مايس 1941 ساهم عبد السلام محمد عارف فيها، وكان يشغل آمر رعيل مدرعات.

ثم عُينَّ الملازم الثاني عبد السلام محمد عارف مدة قصيرة من الزمن في بغداد مسؤولا عن حراسة سجن معسكر الرشيد، الذي اعتقل فيه عدد من الضباط والجنود الوطنيين في أعقاب فشل حركة رشيد عالي الكيلاني التحررية.

ولما كان عبد السلام يرى في أولئك الضباط السجناء أبطالا وطنيين وقفوا بكل بسالة ضد القوات البريطانية المحتلة، فأنه كان يساعدهم، وأصبح همزة وصل بينهم وبين عوائلهم ينقل إليهم رسائلهم وطلباتهم مما كان سببا في نقله إلى وظيفة أخرى في البصرة.

ويروي لنا المؤرخ العسكري المعروف اللواء الركن محمود شيت خطاب، أنه أول تعرفه بعبد السلام محمد عارف كان في ذلك المعتقل، الذي لمس فيه تعاطفه مع المعتقلين، ووطنيته الصادقة.

وفي البصرة التقى عبد السلام محمد عارف في العام 1942 بعبد الكريم قاسم..

ويبدو أنهما ظلا مدة سنتين يبحثان الوضع الداخلي في العراق. وكان كل منهما يبدي تذمره من الأوضاع المتردية منحيا باللائمة على السلطات المسؤولة.

وحينما بلغت أوار الحرب العالمية الثانية أوجها، ودخلت القوات البريطانية الاستعمارية العراق لتحتله مرة ثانية، وزعت الوطنيين الأحرار في المعتقلات والسجون، وضيقت الخناق على أنفاس المواطنين، وعطلت الحريات، ركد نشاط الضباط الوطنيين وتعطلت اجتماعاتهم.

ويقول عبد السلام محمد عارف عن هذه الحقبة من حياته: "وفي هذه الفترة بلغ قيد الحريات مداه، كانت البلاد تعيش في ظل حكم ارهابي، وأحكام عرفية متواصلة، حتى إذا ما جاءت الحرب العالمية الثانية، وجد الشعب العراقي نفسه يقاد رغم إرادته للأشتراك في حرب لامصلحة له فيها..

وفي هذا الوقت.. كان نوري السعيد على رأس الحكم. وكانت أول مهامه وضع الجيش العراقي تحت تصرف بريطانيا، والاستسلام لكل رغباتها الاقتصادية والسياسة، وبدأ بأعلان الأحكام العرفية، ثم فتح باب الامتيازات لبريطانيا لأعادة احتلال العراق احتلالاً عسكرياً وفقاً لاتفاقية 1930.

ووافق نوري السعيد على أن تتحرك قوة من الجيش العراقي إلى البلقان لمنع الجيوش الأجنبية من الاقتراب من المستعمرات البريطانية واحتلالها.

وذات ليلة جاءني- الكلام لا يزال لعبد السلام- أحد زملائي يحمل لي أخباراً جديدة.

لقد جمع نوري السعيد مجلس الدفاع الأعلى وطلب منه الموافقة على أرسال قوات الجيش العراقي لتحارب مع القوات البريطانية خارج العراق.. وطلب نوري السعيد من المجلس أية مبررات يستطيع أن يواجه بها الموقف..

وكانت الأزمة..

فلم يكن في قيادة الجيش مغرور تبلغ به الخيانة حد تبرير هذه المؤامرة.

وكان رد نوري السعيد، تجميد مجلس الدفاع الأعلى.. وكانت ثورة عارمة تغلي في صدورنا نحن الضباط.. فقد استهان نوري السعيد بكل شيء.. وكان لابد من أن يحدث شيء ما يوقف جنون هذا الرجل الأرعن.

وجاءت نهاية شهر نيسان 1941 تحمل هذا الشيء.

حمل الجيش سلاحه ليثأر لكرامته وكرامة وطنه وشعبه قبل أن يسحقه الخونة.

وقبل الثورة بأيام قليلة كانت هناك همسات خافتة تدور حول عمل ما سيقوم به الجيش لاسترداد كرامته.. وكان علينا أن ندعم هذا العمل.. وفي يوم الثورة كان لي شرف الاشتراك في جانب منها- طبقا لتعليمات تلقيتها- وكنت آنذاك آمراً لرعيل المدرعات في القوة الآلية.. وكانت مهمتي محاصرة القصور الملكية.

ولم تنجح الثورة..".

ثم يعود عبد السلام محمد عارف ليقول: "كنا نحن الضباط الشبان نقف بعد الثورة نتساءل: ما هو المصير؟..

كان السؤال يلح علينا وتفرضه ظروف عصيبة مرت على بغداد، مصدر الثورة والانتفاضة.

وشهدت بغداد خلال هذه الفترة احلك أيامها.. أقيمت المشانق للثوار، واستقبلت السجون والمعتقلات المئات من الأحرار.. وتسلم المستعمرون زمام الأمور، وأصبح الأمر والنهي بأيدي "بيلي.. وهملي.. والجنرال سميث"؟!

وتشرد العشرات والمئات من الضباط على أيدي الطغمة الحاكمة.. وخرجت قوائم تشريد الضباط من وزارة الدفاع إلى الشمال، وبعضهم إلى الجنوب، والبعض إلى المعتقلات.].

وفي عام 1944 أتهم الملازم الأول عبد السلام محمد عارف باشتراكه في منظمة سرية للضباط تهدف إلى تبديل الأوضاع. وجرت محاكمته على يد اللواء الركن بهاء الدين نوري، وبعد أن لم يظهر ما يثبت ذلك عليه، فقد صدر أمر بنقله إلى الناصرية.

وفي عام 1946 نقل الملازم الأول عبد السلام محمد عارف إلى الكلية العسكرية.. ومن المآخذ التي أخذت عليه أنه عندما كان أمراً للفصيل الثالث في الكلية العسكرية في دورتها (24)، كان مكلفا من قبل إدارة الكلية بالمراقبة على امتحانات الطلبة، فقد استبدل دفتر امتحان الطالب عرفان وجدي، الذي كان متفوقاً على زملائه الطلاب، ومن فصيل آخر غير فصيل عبد السلام- بدفتر امتحان الطالب نجدت قاسم مقصود- الذي ينتسب إلى الفصيل الثالث- فصيل الملازم الأول عبد السلام- أحدهما بالآخر، فوضع الرقم الامتحاني لدفتر الطالب عرفان وجدي على دفتر نجدت قاسم مقصود!

وبعد أن كشفت هذه (العملية) وهذا (التصرف) طلب آمر الكلية العسكرية العقيد الركن أمين خاكي- برقيا إلى وزارة الدفاع نقل الملازم الأول

عبد السلام محمد عارف من الكلية العسكرية، فتم نقله إلى فوج في شمال العراق!!

ثم جاءت حرب فلسطين عام 1948، وارسل الملازم الأول عبد السلام محمد عارف وكيل مساعد الفوج الثاني لواء الرابع إلى منطقة جنين..

ولما وصل إلى مقر الفوج كانت معنويات الفوج متدهورة لنكسة فجائية، اصابته في قتاله مع اليهود. وكان بالطبع يعرف كضابط أنه لاشيء يرفع هذه المعنويات، ويعيد إلى الضباط والجنود روحهم العالية إلا (النصر) يكسبونه في معركة جديدة.

وقرر أن يرد إليهم روحهم ويعيد إليهم معنوياتهم، ولكن بعد تمهيد.

وبدأ بأن قام بتفتيش للقطاع الذي يحارب فيه الفوج، وتبين أنه قطاع واسع جدا ولم يكن هدفه التفتيش، بقدر ما كان بث الروح المعنوية العالية بين الضباط والجنود وتحريضهم على القتال الذي يحقق لهم النصر. وكانت زياراته أيضا استكشافا للقطاع واستطلاعاً للخطة الدفاعية، واستكمالا لما يجده فيها من نقص.

ونجح في مهمته.. وبدأ على الفور المرحلة الثانية، ومرحلة محاولة استرجاع بعض المناطق الحيوية المحتلة من قبل اليهود قل التحاقه بالفوج، وعلى الرغم من وجود رجال الهدنة، فقد نجح في القيام بحركة هجوم ليلي مباغت استرجع بها منطقة مهمة فيها "بياره" كان الفوج يستقي منها الماء، والتي كانوا بدونها مهددين بالموت عطشا، أو بشرب المياه الآسنة.

وكان انتصارهم على اليهود في هذه المعركة انتصارا خاطفا رد للرجال المحاربين معه في الفوج معنوياتهم واذكى حماسهم والهب شجاعتهم للقتال.

وسبقت الحركة مفاوضات بينه وبين اليهود لاسترجاع "البيارة" عن طريق لجنة الهدنة، وواجه قائدهم وجها لوجه الذي وجد في نفسه التبجح الكافي لأن يقول له معترضا طلبه استرجاع البيارة".

– إن منطقة البيارة تعود الينا.. إنها تخصنا..

فرد عليه عبد السلام محمد عارف:

– أن هذه الأرض كلها لايخصكم منها شبر واحد.. إنها أرض عربية ونحن أمناء عليها حتى نردها لأهلها عرب فلسطين.

وهزّ القائد اليهودي عضو عصابة (بن كوريون) و(موشي ديان) وشركائهما رأسه، ومضى يقول له في تبجحه:

– إن هذه البيارة تعود الينا.. أنها تخصنا.

وكان جوابه أن لوحّ في وجهه بعصاه مهددا ومنذرا وصاح فيه:

– سوف ترى لمن تكون البيارة، بعد أيام..!!

وبعد أيام قام عبد السلام بحركته. وكان خلال الهجوم يسيطر على السرايا المهاجمة، وحتى وصل إلى السرايا الأمامية واحتل الهدف، وعادت إليه البيارة، وبقيت في أيديه يشرب من مائها العذب هو وفوجه، حتى سلموها ضمن قطاع الفوج إلى (الجيش العربي) حينما أمروا من القيادة بترك القطاع والعودة إلى العراق!

ومن بلايا فلسطين التي يذكرها عبد السلام محمد عارف أنه أثناء قتالهم في معركة "كيشر"، كان الجيش السوري يقاتل شمالهم في منطقة "سبخ" جنوب "طبرية" ولم يكن في استطاعتهم التعاون معهم حتى في المدفعية لأنهم بعيدين عنهم، وبينهم نهر اليرموك" و"نهر الشريعة"، وهذا طبعا من فساد الخطة العامة للمعركة،

إذ كان ينبغي أن تكون الجيوش متقاربة متساندة ويمكنها أن تتبادل المعونة في يُسر وسهولة وكان هذا يحز في نفس عبد السلام ويؤلمه أشد الألم!

ويوم صدر لهم الأمر بالانسحاب من "كيشر" يوم 19 مايس 1948 كتبوا برقية للقيادة يردون بها على هذا الأمر بأنه غير مصيب وأنه يجب أن يترك لهم أمر التحشد والاستطلاع ووضع خطط واضحة ممكن تطبيقها للوصول إلى النصر.

وجاءهم الرد: "الحالة ستتحسن، وستصلكم الأوامر لتنفيذ خطط واضحة، نفذوا أوامر الانسحاب طبقا للخطة المرسلة فوراً"!

وانسحبوا إلى جهة "المثلث العربي" – جبهة نابلس.. ووقع في أيديهم بعد ذلك تقرير من تقارير الجيش الاسرائيلي فقرأوا فيها وصفا لانسحابهم هذا يقولون فيه:

"أن العراقيين قد هاجموا كيشر كالمجانين وانسحبوا منها كالمجانين"!!

وفي "نابلس" اخذوا يصطدمون مع اليهود في معارك صغيرة في أول الأمر، ثم تطورت إلى قتال عنيف عندما هاجم اليهود "جنين" في يوم 4 حزيران 1948. وكانت الخطة المثلى أمامهم، أن يهجموا على مدينة "نتانيا" و"كفريوبة" في غرب "طولكرم" بقصد شطر إسرائيل إلى شطرين، ولكنهم فوجئوا بأوامر القيادة بأن يستنجدوا بالجحفل الرابع لانقاذهم، بدلا من تطبيق خطتهم..!!

واستمر القتال بعد ذلك دفاعيا من جانبهم حتى نهاية عام 1948، عندما علموا بأمر الهدنة التي لم يشترك العراق في مفاوضاتها مع إسرائيل. ووصل إليهم نبأ بأن اليهود سيهاجمون الجيش العراقي لاجباره على الانسحاب عنوة. وفعلا لم يلبثوا أن هاجموا مواقعهم في "مليس" و"قلقيلية" وانتزعوا بعض مراكز المناضلين الفلسطينيين. وبعد الاستطلاع نظموا مع آمر الموقع خطة هجوم حاشدة

للمدفعية والمشاة واستطاعوا في ظرف عشرين دقيقة أن يردوا بهذه الخطة المهاجمين اليهود- وأن يسترجعوا المراكز التي انتزعوها ويحكموها في نفس الليلة.

وانسحبوا بعد ذلك بالرغم منهم وفي القلوب حسرة وأسى، بعد تسليمهم مواقعهم للجيش الأردني، ونزلوا في "معسكر الزرقا" على مقربة من عمان، وبقوا فيه شهرا حتى سنحت الظروف، وتهيأت لهم وسائل النقل، فعادوا إلى العراق عن طريق المفرق، على مراحل، في ظرف ثلاثة أيام.

ويقول عبد السلام محمد عارف عن تلك الأيام: "كانت فترة عصيبة تلك التي قضيناها على سفوح وهضاب فلسطين.. لقد كنا نقاتل بكل قوتنا وأوكار الخيانة ترسم الموقف كما يحلو للمستعمرين".

وكان لدى عبد السلام رغبة ملحة في الانتساب إلى كلية الأركان، على أن شرطا واحدا من شروط القبول لم يتوافر لديه.. وهو أن يكون قد حصل على شهادة الدراسة الإعدادية (الثانوية).. إذ سبق أن دخل الكلية العسكرية، ولم يكن قد حصل بعد على الشهادة الإعدادية.

فتقدم بطلب الامتحان الخارجي إلى وزارة المعارف للدراسة الإعدادية، وفعلا أدى الامتحان في الدور الثاني في ثانوية الرمادي ونجح، وأصبح مؤهلا لقبوله في كلية الأركان ببغداد.

وفي 31 آذار 1949 قُبل في كلية الأركان، وتخرج فيها في 23 نيسان 1951، وكان موضوع (اطروحة) تخرجه بعنوان "ثورة الزنج" التي ساعده فيها كل من الدكتور عبد العزيز الدوري ورؤوف الواعظ.

وفي عام 1952 تردد أن هناك نواة لتنظيم سري في الجيش إلا أن السلطات استطاعت أن تضع يدها على ضباط قالت أنهم أعضاء التنظيم.

ويتحدث عبد السلام محمد عارف في مذكراته عن هذه الأيام قائلا:

وبينما بغداد ترسف في أغلال العبودية يحكمها الطامعون والرجعية وأذيالها، إذا بصوت الثورة يأتي من القاهرة. وقد كنا نتابع كل التفاصيل يوما بيوم.

وفي أعقاب الأيام الأولى للثورة المصرية أحسسنا أن نشاطا زائدا يدور في بغداد، وأن مزيدا من الاعتقالات يتم داخل صفوف الجيش والمواطنين، كان ذلك رد فعل مباشر للخوف الذي انتاب الخونة، خوفهم من أن ينهاروا، كما أنهار قصر فاروق الطاغية.

لقد عانى الجيش من طغيان نوري السعيد واستبداده، لم يبق بين صفوف الجيش ممن لم يصبه الاضطهاد والتنكيل.

وُكان الأحساس الذي يسري داخل صفوف الجيش أن أبناء الجيش هم من الشعب وعليهم دور طليعي لابد أن يؤدوه.

وكان التساؤل الذي يدور في أوساط الجيش: كيف سينزل الجيش ضربته بالطغمة الظالمة؟!

ويتردد هذا السؤال في الوقت الذي احكمت فيه عناصر الخيانة قبضتها، وفي الوقت الذي كان الاستعمار لا يتردد في توجيه قواته للقضاء على كل مقاومة أو ثورة.

ووسط هذا الجو المتشائم دبَّ نشاط واسع بين صفوف الضباط.

كانت كل محاولاتنا حتى ذلك الوقت محاولات فردية تسعى إلى تنظيم القوى، وتنشد تجميع صفوف الأحرار في الجيش.

ورغم أن الفعل لم يكن دقيقا بالدرجة التي تؤهلنا للأسراع بالمهمة المطلوبة منا.. إلا أن هذه الفترة أدت إلى خلق قاعدة مترابطة مؤمنة بدورها في أنقاذ البلاد].

وفي 30 ايلول 1954 عين المقدم الركن عبد السلام محمد عارف آمرا للفوج الثالث لواء التاسع عشر الذي سمي بعدئذ بالفوج الثالث للواء العشرين.

ثم يأتي عام 1956 فيتحرك عبد السلام مع فوجه إلى منطقة (المفرق) في الأردن عندما هدد اليهود بالهجوم على الأردن. وفي هذا العام بالذات تتأكد النوايا الاستعمارية الخبيثة فيحدث العدوان الثلاثي: البريطاني- الفرنسي- الإسرائيلي على الشقيقة الكبرى مصر.

وتحسس الضباط الأحرار، ومن بينهم عبد السلام بعمق المآساة التي يعيشها شعبنا الشجاع. وفي هذا العام أيضا أوفد عبد السلام محمد عارف مع عدد من الضباط للالتحاق بالقطعات البريطانية في المانيا الغربية لمدة شهرين.

وخلال أعوام ما بين 1954- 1958 عمل عبد السلام محمد عارف وعبد الكريم قاسم معاً، وأسسا وحدة من الضباط الأحرار مستقلة عن الهيئة العليا للضباط في بغداد. وكانت عرى الصداقة قد توثقت بينهما إلى درجة أصر معها عبد الكريم قاسم، بعد أن انضم إلى الهيئة العليا في بغداد على اشراك عبد السلام محمد عارف في تلك المنظمة.

وفي الأول من شهر آذار 1958 انيطت بالعقيد الركن عبد السلام محمد عارف آمرية لواء العشرين وكالة.

ويتحدث عبد السلام محمد عارف عن الأيام التي سبقت يوم 14 تموز 1958 قائلا: "عندما تأكد لنا بشكل واضح أن اللواء العشرين الذي كنت أعمل به سوف يتحرك إلى الأردن مارا ببغداد.. حملت هذه الأخبار إلى بغداد.. وعقدت عدة اجتماعات سريعة مع زملائي أعضاء الهيئة العليا.. واتفقنا على أن يكون ذلك هو موعد تنفيذ الحركة. وأن يتوقف اللواء العشرين في بغداد للتنفيذ بدلا من التوجه إلى الأردن.

وبدأت بعد ذلك الاتصال بالضباط الذين سيقومون بالتنفيذ.. وشهد يوم الخميس 10 تموز 1958 نشاطا واسعا.. فقد كان عليّ أن أمر على جميع الضباط المكلفين بتنفيذ العملية لأشرح لهم تفاصيل الخطة وتحركاتهم.. وكان واجبي أن أسيطر على اللواء العشرين وأعزل مقر قيادته واستلم القيادة.. كان عليّ أن أقوم بذلك وأنا مازلت آمرا للفوج الثالث من اللواء.

كان اللواء لا يملك عتادا عدا فوجي الذي دبرت له السلاح من قبل.

وفي نفس الوقت كانت قطعات التنفيذ في معسكر الرشيد في بغداد لا تملك العتاد أيضا.. وكان الاتفاق بيننا أن أرسل لهم العتاد، على أن يكون ذلك أشارة إلى بدء العملية فوراً.

بعد أن اطمأنت إلى كل ذلك، وبعد أن كتبت تفاصيل الخطة في مفكرة صغيرة في جيبي أخذت أراجعها للمرة الأخيرة..

مهمتي في الخطة أن اتحرك باللواء تحركا طبيعيا، وعلى أن أتحمل مسؤولية التنفيذ في بغداد بكل تفاصيلها، وأكون على رأس القوات التي تحتل جانب الكرخ، وفيه الأذاعة والتلفزيون وقصر الرحاب، وقصر نوري السعيد].

ثم يستطرد العقيد الركن عبد السلام محمد عارف في سرد تفاصيل ما حدث في تلك الليلة الحاسمة في تاريخ العراق الحديث قائلا:

"استيقظت من نومي مع خيوط الشمس الأولى، وكلي حيوية ونشاط ووجهي مشرق بالأمل هكذا رأيته في مرآتي الصغيرة في غرفة نومي بمعسكر (جلولاء)، وأنا واقف أمامها لأحلق ذقني، ورأيت شفتي تنفرجان وحدهما عن ابتسامة الرضا واكملت حلاقة ذقني في أسرع وقت حلقتها فيه طيلة حياتها معي. ثم توضأت وصليت فريضة الصبح. وبعد أن ختمت الصلاة رفعت عيني ويدي

بالدعاء لصاحب الفريضة مرددا بصوت خافت ولكنه عميق بحيث خيل لي أن له صدى عميقا قويا. يتردد في جنبات صدري ويهز كياني كله، قلت:

"يا رب.. أنني لا أجد في هذه اللحظة دعاء اتجه به إليك سبحانك وتعاليت خيراً من دعاء والدي دائما، أن توفقني يا رب وتعمي عني أبصار الظالمين..".

ثم خفضت رأسي وأغمضت عيني لحظات، وكأنما أنتظر وصول دعائي إلى عتبات السماء ثم مددت يدي إلى المصحف على المائدة الصغيرة القريبة مني، وفتحت صفحاته دون تحديد أو تعيين، فإذا بي عند بداية (سورة الأنبياء) وقرأت بصوت خافت: "بسم الله الرحمن الرحيم.. ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وأقفلت المصحف وهتفت بصوت مسموع "صدق الله العظيم".

ثم يردف العقيد الركن عبد السلام محمد عارف فيقول:

"كان علينا أن نتحرك بقواتنا من جلولاء لنصل إلى بغداد قبل بزوغ فجر 14 تموز.. ولكن عندما بدأت عمليات التحرك، وقعت حادثة كادت أن تؤخر موعد تنفيذ الثورة فبعد أن عزلت قيادة اللواء العشرين قمت أنا بقيادة اللواء أعترض أحد الضباط وهو العقيد الركن ياسين محمد رؤوف، وكان يشغل منصب آمر الفوج الثاني.. وكان رفضه يعني بالنسبة لنا التأخر في التنفيذ.. وقد حاولت اقناعه بالتراجع. لكنه أصر على موقفه، فأمرت باعتقاله فورا.. وقام الضباط باعتقاله وعزله رغم مقاومته.. وتسلم ضابط آخر قيادة الفوج الثاني.

وقد استمرت هذه العملية حوالي ساعة مما أدى إلى أن بعض ضباط الحركة كادوا يعودون إلى أماكنهم- لولا أصراري على المضي في التنفيذ، وقد

تقبلوا الأوامر بوطنية صادقة وأخلاص كان لـه أثـره في تعـويض الوقـت الـذي ضاع.

كنت حريصا على أن تتم العملية بشكل طبيعي حتـى لا يشـك في تحـرك اللواء، ولذلك لم يكن أحد من جنودي يعرف شيئا عن مهمـة اللـواء في بغـداد، اللهم إلا أولئك الضباط المكلفون بواجبات معينة.

ومع خيوط الصباح الأولى، كانت قواتنا قد وصلت منطقة بغداد الجديـدة على مشارف بغداد، وهناك جمعت الضباط والجنود وكشـفت لهـم عـن مهمتنـا، وقلت لهم من يريد أن يبقى معنا ليساهم في هذا الشرف الوطني فليبـق، ومـن لا يريد فلينسحب من الآن.. ولم يتركنا جندي واحـد.. تحـرك الجميـع في حمـاس لم أكن أقدر أنه سيصل هذا المستوى..

وبدأت القطعات تتحرك كل إلى المكان الذي رسمته له الخطة..

ودخلت مع قواتي إلى مبنى الأذاعـة حيـث أذعـت علـى الشـعب البيـان الأول للثورة].

ثم يقول العقيد الركن عبد السلام محمد عارف: لقد عمـت الثـورة أفـراد الشعب، وتلقت الأذاعة الألاف من البرقيات سواء من وحدات الجـيش أو مـن أفراد الشـعب، وخرجـت المظـاهرات ثـائرة في مـدن العـراق وقـراه وسـيطرت وحدات الجيش، دون أية تعليمـات علـى منشـآت الـنفط في البصـرة وكركـوك والموصل خشية تخريب المخربين].

ويروي لنا شقيقه عبد السميع محمد عارف أنه تسلم من عبد السلام ليلـة دخوله بغداد على رأس القطعات وصيتين كتبهمـا بخـط يـده، أحـدهما موجهـة إليه، والأخرى لوالدهما، يوصيهما بـالأولاد ويطلـب فيهمـا أن يكونـا قريـري العين وأنه إذا لقي ربه فسيكون مسرورا ومن الشهداء.

ويوضح عبد السميع محمد عارف، بأن شقيقه لم يخبره بساعة الصفر، وأنه عندما سأله أين ستعسكرون عند مروركم في بغداد؟ أجابه ضاحكا: "بالقرب من الأذاعة والتلفزيون"!

وأذاع العقيد الركن عبد السلام محمد عارف بعد ذلك عدة بيانات كان أحدها تعيينه نائبا لرئيس الوزراء، ووكيلا لوزير الداخلية ومعاونا للقائد العام للقوات المسلحة.

وفي صباح يوم 18 تموز 1958 غادر العقيد الركن عبد السلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء والوفد المرافق له بغداد متوجها إلى دمشق فوصل إليها في الساعة التاسعة صباحا حيث نزل في استراحة المشير عبد الحكيم عامر.

وفي الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم التقى جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة الذي كان قد وصل إلى دمشق قادما من موسكو.. وبدأ الحديث عن الأوضاع في بغداد، والتهديدات التي توجه للثورة خاصة إنزال القوات الأمريكية وإنزال القوات البريطانية، وتحدثا كذلك عن عدم اعتراف بعض الدولة بالثورة حتى تلك اللحظة.

ودار حديث طويل حول الوحدة، وكان الرئيس جمال عبد الناصر يرى أن على الثورة أن تدعم نفسها أولاً وأن تقضي على أعدائها.

ويروي محمد حسنين هيكل في كتابه "سنوات الغليان" أحداث الأيام التي كان فيها العقيد الركن عبد السلام محمد عارف في دمشق- بعد أربع أيام من قيام النظام الجمهوري في العراق والتقائه أول مرة بالرئيس جمال عبد الناصر فيقول:

كان العشاء مع الوفد العراقي مناسبة عامرة بالحماسة ومشاعر الزهو بانتصار كبير على المستوى القومي. وبعد أن فرغ العشاء كان "جمال عبد الناصر" على موعد مع الأستاذ "صديق شنشل" الذي كان صديقاً قديماً لـ"جمال عبد الناصر"،

بحكم انشغاله الطويل بالعمل العربي القومي. وقد روعي أن لا يتم هذا اللقاء في قصر الضيافة حتى لا يسبب حساسية للآخرين من أعضاء الوفد. وعندما تم هذا اللقاء بدأ "جمال عبد الناصر" بأن قال لـ "صديق شنشل" أن "ما حدث في بغداد كان بالنسبة له أشبه ما يكون بالاحلام مستحيلة التحقيق". وفوجيء "جمال عبد الناصر" بالأستاذ "صديق شنشل" يقول له: "على المستوى القومي نعم يا سيادة الرئيس، لكنه على مستوى الوطن العراقي يمكن أن يتحول إلى كابوس ثقيل". وبدت الدهشة على وجه، "جمال عبد الناصر"، فرغم كل ما سمعه من "عبد الحميد السراج" فأن ما يقوله "صديق شنشل" الآن يبدو له اسوأ مما تصور. ومضى "صديق شنشل" يقول: "أن على رأس الثورة العراقية الآن رجلين، أولهما نصف مجنون، والثاني نصف عاقل"!

كان نصف المجنون في تقدير "صديق شنشل" هو اللواء "عبد الكريم قاسم" رئيس مجلس قيادة الثورة، وكان نصف العاقل في تقديره أيضا هو العقيد "عبد السلام عارف". وراح "صديق شنشل" يروي لـ "جمال عبد الناصر" تفاصيل التفاصيل عن الظروف التي قامت فيها الثورة وكيف أنه كانت هناك مجموعات تتسابق إلى القيام بها منذ جرى تأسيس دولة الوحدة بين مصر وسوريا في شهر فبراير. ثم كيف أن "عبد الكريم قاسم" و"عبد السلام عارف" انفردا بالعمل في الأيام الأخيرة، وأن ذلك أحدث خلافات كبيرة داخل المجموعات. ومن خلال هذه التفاصيل بدأ "جمال عبد الناصر" يدرك أنه على حق في الآراء التي أبداها في أثناء مناقشته مع الأستاذ "ميشيل عفلق" قبل ساعات قليلة. وحتى قرب الفجر كان "جمال عبد الناصر" يسمع ويسمع وتزداد مخاوفه لحظة بعد لحظة على الثورة العراقية خصوصا وقد شعر من خلال ما سمعه من الأستاذ "صديق شنشل" أن التوتر قائم حتى في العلاقات بين "عبد الكريم قاسم" و"عبد السلام عارف" نفسيهما. وقبل أن يفترق الرجلان مع مطلع الفجر قال "جمال عبد الناصر" لـ "صديق شنشل": "إنني

قبلت بالوحدة مع سوريا لظروف تعرفها، ولقد تصورت أننا نستطيع أن نقوم بخطوة كبيرة إلى الأمام ثم ندعم الخطوط ونسد الثغرات على مهل. ولكن ذلك لم يحدث فلا تزال خطوطنا طويلة ومكشوفة حتى الآن، ثم أن الثغرات مازالت مفتوحة ومعرضة، وبرغم كل محولاتي فلابد أن أعترف لك أننا لم ننجح بالقدر الذي تصورته أو تمنيته، وأنا لا أريد أن أحمل تجربة الوحدة بين مصر وسورية بتبعات كل هذه المتناقضات القائمة في بغداد الآن. ولهذا فسوف تجدني على استعداد لأن أقوم بكل عمل من شأنه تدعيم ثورة العراق، ومن شأنه فتح آفاق التعاون الممكن بين البلدين، ولكنني أرجوكم أن لا تطالبوني بأي خطوة وحدوية الآن". وقال الاستاذ "صديق شنشل" أن "هذا رأيه بالفعل، وأنه جاء إلى دمشق عازما على أن يصارح "جمال عبد الناصر" به من منطلق قومي، وأنه لو كان قد وجد لديه اتجاها آخر لنصحه بعكسه لأن الوحدة بين مصر وسوريا معرضة للغرق في الموج الخضم الذي يغمر بغداد الان- رغم إيمانه الكامل بحقيقة الوحدة العربية".

وفي الصباح الباكر كان "عبد السلام عارف" على مائدة الأفطار مع "جمال عبد الناصر" وكان حديثهما صريحا، وقد وجد فيه "جمال عبد الناصر" ما يؤيد مخاوفه- فإن "عبد السلام عارف" قضى أكثر من ربع ساعة يشكو من "عبد الكريم قاسم" وكيف أنه حاول بعد نجاح الثورة أن يفرض نفسه قائدا أوحد لها، ويحجب الآخرين مستغلا في ذلك مجموعة من الضباط الذين بهرهم وجود اسمه رئيسا لمجلس قيادة الثورة، في حين أن ذلك كان في رأي "عبد السلام عارف" ترتيبا شكليا ضمن قيادة جماعية كان ضروريا أن يتفق عليها لتحمل مسؤوليات قيادة الثورة العراقية- ولكن "عبد الكريم قاسم" انتهز فرصة النجاح الأولى لقوات الثورة، وبدأ ينسب كل شيء إلى شخصه. وكان رأي "عبد السلام عارف" أن التركيبة

الوطنية للعراق بوجود السنة والشيعة والأكراد، تسبب وضعاً يستحيل معه انفراد "عبد الكريم قاسم" بقيادة الثورة والحكم.

وانضم بقية أعضاء الوفد العراقي إلى "جمال عبد الناصر" و"عبد السلام عارف" ومنذ اللحظة الأولى قال لهم "جمال عبد الناصر" أنه على استعداد لتوقيع أي اتفاق مع النظام الثوري في العراق لكنه ليس متحمساً لأي عمل وحدوي في هذه الظروف.

كان بالفعل يشعر أن الخطوط طالت، وأن الثغرات مفتوحة، وأن أمن الحركة القومية العربية يحتاج إلى التدعيم والتركيز أكثر مما يحتاج إلى الاتساع والانتشار].

وحصل الخلاف بين قطبي الثورة، بعد ذلك..!!

وبدأ يستفحل يوما بعد يوم..

ففي يوم 11 أيلول 1958 أصدر الزعيم الركن عبد الكريم قاسم القائد العام للقوات المسلحة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع، قرارا يقضي بعزل العقيد الركن عبد السلام محمد عارف من منصبه كنائب للقائد العام للقوات المسلحة.

ويذكر الدكتور محمد حسين الزبيدي في رسالته الجامعية بعنوان "ثورة 14 تموز 1958 في العراق" قائلا: كنت يوم عزل عبد السلام عن منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة طالبا في الصف الرابع في كلية التربية ببغداد، وكنت اسمع من أفواه الشيوعيين أن عبد السلام سوف (يطير) ونحن نسترق السمع لما كان يدور بينهم، والغريب في الأمر أني سمعت من أحد الطلاب، أنه سمع من زوجة رشيد مطلق، الالمانية الجنسية، أن عبد السلام عارف سوف يجرد من مناصبه ويبعد إلى بون. وقد حسبته يومها من تهويشات المغرضين، فلم أصدقه، ولم تمض أيام قليلة حتى صح هذا الخبر، فوقعت في حيرة من أمري.

وعندما اذيع خبر إقالة عبد السلام من دار الأذاعة كنت يومها سائرا في شارع أبي نؤاس مساء، فارتفع التصفيق والهتاف إلى عنان السماء ابتهاجا (بسقوط الخونة والمتآمرين) من قبل الشيوعين الموجودين في مقاهي أبي نؤاس، وكانت خيبتنا نحن القوميين بهذا الحدث كبيرة.

وبعد أيام على إحالة عبد السلام عارف علمت أنه جليس الدار، فحاولت زيارته فاتصلت بالأخ شعبان جاسم وهو (ابن خال عبد السلام) وأعلمته بهذه الرغبة، وبعد أيام جاءني وقال لي: أن عبد السلام عارف يقيم في دار أبيه في منطقة الصليخ ويمكن زيارته إذا أردت، فكونت وفدا من أربع طلاب، وهم من أعضاء الاتحاد الجمهوري السري في كلية التربية وهم: الطالب فاروق صالح والطالبة صفية العمري، والطالبة وداد العمري وأنا، وذهبنا صباح أحد الأيام إلى دار والده في الصليخ، فوجدنا الأخ شعبان في انتظارنا في باب الدار فأدخلنا إليها وجلسنا في (الهول) حيث كان عبد السلام مجتمعا مع أحد السفراء الأجانب، وأعتقد أنه كان سفير المانيا، وعندما خرج السفير دخلنا غرفة الاستقبال التي كان فيها عبد السلام، وقد استقبلنا بوجه باش ضاحك وأجلسنا، والذي أذكره أنه كان يحمل مسدسا. وبعد حديث المجاملة والتعارف بيننا، سألته وقلت له: كيف تم أبعادك بهذه الطريقة التي لا ترضي أحدا. قال عبد السلام: لا أدري. فقلت له: كيف لا تدري ونحن نعلم بأنك سوف تقال من مناصبك، وكنا نسمع ذلك منذ فترة ليست بالقصيرة، وأن الشارع كان يتحدث في ذلك ولكثرة ما كان يردده الشارع كنا نظن ذلك نوعا من حرب الأعصاب.

فقال عبد السلام: كنت في ذلك اليوم في اجتماع مع عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع، وعند انتهاء الاجتماع غادرت غرفته ذاهباً إلى البيت، وعندما جئت لاركب سيارتي، وإذا بالسائق يخبرني بان بياناً أذيع من دار الإذاعة باعفائي من منصبي نائب القائد العام للقوات المسلحة، فرجعت إلى عبد الكريم

قاسم مستفسراً ومستفهما عن صحة ما اذيع بخصوص إعفائي من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة فأخذ يعتذر ويقبلني في وجهي ويقول: "إني واقع تحت ضغط قادة الفرق، وأن قادة الفرق يريدون ذلك" وأخذ يبكي!!

فقلت له: أن موضوع إبعادك كان حديث الشارع، وأن زوجة رشيد مطلق صاحب بار (شريف وحداد) الالمانية الجنسية كانت تعلم بذلك، وأسرت لبعض الأشخاص الذين أوصلوا الخبر الينا.

فقال عبد السلام تعليقا على قولي هذا: انظر إلى الأمور كيف وصلت إلى درجة التدهور، حتى أن أسرار الدولة تعرفها النساء وتتحدث بها، وخاصة مثل زوجة أبو البار رشيد مطلق].

وفي يوم 30 أيلول أصدر الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء قرارا آخر يقضي بتنحية العقيد الركن عبد السلام محمد عارف كنائب لرئيس الوزراء ووكيل لوزير الداخلية وذلك بناءً على ما تقتضيه المصلحة العامة" وتقرر أيضا ارساله سفيراً للعراق في جمهورية المانيا الاتحادية.

غير أن عبد السلام رفض هذا المنصب.. وفي اليوم التالي قدم استقالته رسميا إلى (الزعيم) في رسالة بعث بها إليه، وأعلن أنه "يؤثر البقاء في الوطن بلا وظيفة على أن يبتعد عن البلاد".

وفي يوم 11 تشرين الأول دعا عبد الكريم قاسم. عبد السلام محمد عارف إلى مكتبه، وبعد مناقشة وجدال طويل. سحب عبد السلام مسدسه محاولا الانتحار، بينما ادعى عبد الكريم أنه حاول قتله في غرفته، واعترت عبد السلام نوبة هستيرية أخذ معها يصرخ محتجا على إبعاده من البلاد، وتدخل بعض الضباط الكبار للمصالحة وتقريب وجهات النظر.

استمرت المداولات من الساعة الحادية عشرة صباحا حتى العاشرة مساءً،

قبل بعدها عبد السلام الذهاب إلى "بون" ووعده عبد الكريم قاسم باستدعائه إلى العراق بعد ثلاثة أسابيع! وفي اليوم التالي توجه عبد السلام محمد عارف بالطائرة إلى "بون" يرافقه السفير علي حيدر سليمان الذي سيخلفه عبد السلام في منصبه.

وفي اليوم الرابع من كانون الأول 1958 عاد عبد السلام من بون بالطائرة إلى بغداد بصورة فجائية، وذهب إلى بيته عن طريق فرعي!

أصدر عبد الكريم قاسم، عندما علم بعودة عبد السلام محمد عارف من دون علمه وموافقته امرا إلى مدير الشرطة العام العقيد طاهر يحيى بالتوجه فوراً إلى منزل عبد السلام واحضاره إلى مكتبه. وحاول "الزعيم" أن يوضح لعبد السلام أن الأوضاع التي كانت سائدة، والتي اقتضت مغادرته العراق لا تزال قائمة، وأنه ينبغي له قبول منصب سفير في أي بلد يختاره، ولكن عبد السلام أبي، وقال أنه على استعداد لأن يقبل أية وظيفة أخرى، ولو كانت وظيفة جندي شريطة أن يظل في البلاد.

ولم يتفقا على شيء.. وغادر عبد السلام مكتب (الزعيم) وتوجه إلى بيته مدعياً أنه سيفكر في الأمر.

في اليوم التالي ألقي القبض على عبد السلام محمد عارف وزج في التوقيف تمهيداً لمحاكمته وظل قيد التوقيف أكثر من شهر.

وفي 27 كانون الأول 1958 عقدت المحكمة العسكرية العليا الخاصة برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي جلستها السرية الأولى للنظر في التهمة الموجهة إلى عبد السلام محمد عارف، [ويجد القاريء الكريم تفاصيل هذه المحاكمة التاريخية في فصل أفرد لها في هذا الكتاب].

وفي الخامس من شهر شباط 1959 أصدرت المحكمة قرارها "بأعدام المجرم عبد السلام محمد عارف، وبتجريده من رتبته العسكرية، وطرده من الجيش".

احتفظ (الزعيم) بحكم الأعدام في درج مكتبه، ويبدو أنه كان ينوي أن يبقي الحكم سيفا مسلطا فوق رأس عبد السلام وانصاره إذا ما حاول أحدهم القيام بحركة أو ثورة ضده.

ويروي عبد السلام محمد عارف ذكرياته عن أيام سجنه فيقول: "في أحد الأيام جاءني ضابط صغير من ضباط السجن وبكل وقاحة أخذ يسبني ويتهمني بأنني أنا الذي حرضت الشواف على الثورة.

وفي كل أمسية كانوا يأخذونني معهم لأرى العذاب-الوحشي الذي يتعرض له المعتقل. كان شيئا فظيعاً يفوق الوصف. الأجساد تسيل منها الدماء، العيون لا تقوى على الحركة، الأفواه فاغرة بشكل هستيري..

وأعود إلى زنزانتي. أشباح الأحرار تلتف حولي أكاد أفقد عقلي. وأهرب إلى كتاب الله.

وفي أحدى الأمسيات، أطل عبد الكريم قاسم برأسه، وأنا داخل زنزانتي. نظرت إليه بعينين ثابتتين، فإذا به يحوّل وجهه، فلم أبادله حرفا واحداً، واتجهت إلى النافذة التي تقع في أعلى الزنزانة والمصحف في يدي.

ووقف عبد الكريم قاسم على باب الزنزانة وهو يسألني:

- هل تريد إبلاغ شيء لأهلك.. هل لك توصية لهم..؟!

قلت له: ليس منك التوصية.. الله عز وجل يرعاهم.

فالتفت عبد الكريم قاسم بعصبية إلى الحراس وقال لهم.

- احلقوا له شعره.. الإعدام غدا.

ويصف عبد السلام محمد عارف نفسه عندما قرر الزعيم عبد الكريم قاسم الأفراج عنه في 25 تشرين الثاني 1961.

"وأخيرا قرر الأفراج عني والاجتماع بي، وحاول بكل الوسائل أن أؤيده أو أسير معه، ولكنني قلت له بصراحة، أنني لن أتعاون معه، وأنني لا أوافقه على كثير من القضايا الطلابية والشعبية والنقابات، وقلت له إنني لن أقابلك بعد الان، خاصة وأنه حاول استغلال مقابلاتي معه.. ثم سمح لي عبد الكريم قاسم بالسفر إلى مكة لقضاء فريضة الحج، ظناً منه أنني سأهرب من المعركة وأترك العراق له ولن أعود إليها.. فاذا به يذهل بعودتي بعد انتهاء فريضة الحج مباشرة.

وقد قلت رأيي في هذا الموضوع لكثيرين شعروا بنوع من الغرابة عند عودتي وقتها: لقد كنت استطيع أن اعيش كريما عزيزاً بين أخوة لي في مصر- وداخل قصر عظيم على النيل.. ولكنني آثرت العودة إلى أرض المعركة، لأن الكفاح الحقيقي هو الذي يجري على نفس الأرض وبين الشعب الذي من أجله نقود الجهاد].

ومن الجدير بالذكر، أن عبد السلام محمد عارف، قد أرسل عدداً من الرسائل. وهو في سجنه يستعطف الزعيم عبد الكريم قاسم "بحق الأخوة التي جمعتهما في الماضي أن لا يصدق الوشايات والأقاويل التي تحاك ضده، وأن يطلق سراحه، لأن أولاده بحاجة ماسة إليه". وأن هذه الرسائل وجدها المقدم الركن محمد يوسف طه عندما احتل وزارة الدفاع، ودخل مكتب عبد الكريم في التاسع من شباط 1963، في أجد أدراج المكتب، وقد سلمت هذه الرسائل بعدئذ إلى الرئيس عبد السلام محمذ عارف، ويقال أنه أتلفها.

وفي صبيحة يوم الجمعة الرابع عشر من رمضان 1382 الموافق 8 شباط

1963، كان عبد السلام محمد عارف قد أخبر من قبل عدنان القصاب- أحد أقطاب حزب البعث العربي الأشتراكي أن يكون مستعداً لأمر مهم..

ويروي لنا عبد السميع محمد عارف- الشقيق الأكبر لعبد السلام- أنه توجه صبيحة ذلك اليوم إلى مسكن شقيقه في الأعظمية- بالقرب من المقبرة الملكية، فرآه مرتدياً ملابسه المدنية الشتوية وواقفا في حديقة مسكنه، وتتطلع عيناه إلى السماء.

وعندما شاهد عبد السلام الطائرات تنقض على مقر "الزعيم" عبد الكريم قاسم وزارة الدفاع قال لشقيقه: هاي هيَّ... صارت!

ويروي لنا المهندس عدنان القصاب قصة تبليغ عبد السلام محمد عارف ساعة الصفر لثورة الرابع عشر من رمضان قائلاً:

- وقع عليَّ الاختيار من قبل قيادة فرع حزب البعث العربي في بغداد بتبليغ عبد السلام محمد عارف... وكان من رأي طالب شبيب أن يتم تبليغ عبد السلام في الساعة الثامنة صباحاً، بينما كان رأي حازم جواد أن يتم تبليغه في الساعة التاسعة صباح يوم الثورة.

وضع عدد من أفراد الحرس القومي على مسكن عبد السلام في الأعظمية وطلب إليهم عدم السماح له بالتحرك والخروج من الدار قبل إعلان ساعة الصفر، التي حددت بقيام الطائرات الحربية بقصف مقر عبد الكريم قاسم بوزارة الدفاع.

وصلت الدار- التي تقع بالقرب من المقبرة الملكية في تمام الساعة التاسعة صباحاً. وضربت جرس الباب- غير أن الكهرباء كان مقطوعاً كاملاً من الأعظمية في ذلك الصباح لعطب أصاب أسلاك الكهرباء.. وكنت قبل ذلك بقليل قد اتصلت هاتفيا من مسكن الحاج أحمد كمال عبد الوهاب- والد

زوجتي– الذي يقع خلف ثانوية الأعظمية، وقلت له: بعد قليل أصل داركم، فأرجو أن تفتح الباب لي، لأن الكهرباء مقطوع.

فسأل عبد السلام: من الذي يتكلم؟!

قلت له: بعد شويه راح تعرفني..

وجدته– عند وصولي مسكنه يتمشى في الممر الأمامي، وبلَّغته بكلمة السر، فقال لي

– لماذا لم يأتِ حازم جواد أو عبد الستار عبد اللطيف؟

فقلت له محتجا: ليش آني مو بعينك؟

فضحك وقال: لا مو قصدي هذا .. تفضل.

وكان عبد السلام يحمل في يده راديو ترانسستور، وبعد أن تكلمنا قليلاً سمعنا قصف الطائرات لوزارة الدفاع. وبدأت إذاعة الثورة تذيع البيانات. وقلت له: بعد قليل ستأتي إليك سيارة عسكرية، أو أنا آتي إليك..

ورحت– ولا يزال الكلام لعدنان القصاب– لاتمام بعض المهمات الحزبية، وبعد أن أوصلت لفيفاً من ضباط الثورة إلى مقراتهم– عدت إلى مسكن عبد السلام محمد عارف في حوالي الساعة العاشرة ودار بيننا الحوار التالي:

عبد السلام: ماذا ألبس؟!

عدنان: في رأيي أن تلبس بدلة عسكرية..

عبد السلام: أي رتبة أشد؟ (يعني الرتبة التي يحملها).

عدنان: سأجلب لك بدلة عسكرية مع رتبة من عند عديلي المقدم طارق إبراهيم العمر.. لأن جسمه يشابه جسمك..

عبد السلام: وإذا ما جاءت على قياسي؟!

عدنان: أبقَ بهذه البدلة المدنية..

عبد السلام: ليس لديَّ سلاح..!

وهنا ناوله شقيقه عبد السميع مسدسه، فأخذه وركب بجانبي سيارة معطاة لنا من أمانة العاصمة، إذ كنت مهندسا في أمانة العاصمة في تلك الأيام، رقمها (32هـ بغداد) من نوع شيفورليت- وكنا نسميها العكَركَة (الضفدعة)- ولونها أخضر. وسرنا في الطريق إلى بغداد ثم عبرنا جسر الصرافية الحديدي.

وفي الطريق أخذ عبد السلام يشرح لي نوعية القذائف الموجهة من وزارة الدفاع على الطائرات، والقذائف الموجهة من جانب الكرخ نحو وزارة الدفاع مقر عبد الكريم قاسم.

وقد جابهتنا- ونحن في طريقنا إلى (أبو غريب) جماهير معادية للثورة تهتف للزعيم عبد الكريم قاسم، فحاول عبد السلام أن يُحييها، ظاناً أن تلك الجماهير تؤيد الثورة.

أخبرته بأنها جماهير معادية، وأن عليه أن يخفي شخصيته لأنه شخص معروف.

وأنزلنا واقية الشمس، لتحجب الرؤية عنا.

وعند مدخل الطريق المؤدي إلى (أبو غريب) شاهدنا السيدة هناء العمري (زوجة علي صالح السعدي- بعدئذ) فتقدمت نحو السيارة وصافحت عبد السلام- وكانت أول من صافحه، وهتفت بأسمه!

وعند وصولنا إلى (أبو غريب) شاهدنا أحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف على ناقلة جنود.

ابتدرنا أحمد حسن البكر قائلاً: لماذا تأخرتم..؟!

وقبل أن نجيب على هذا التساؤل، حمل عبد الستار عبد اللطيف، عبد السلام محمد عارف وأركبه الناقلة، وهو يهتف: يعيش أبو الثوار.

وتركتهم- متوجهين- الثلاثة إلى محطة الأذاعة في الصالحية]- انتهى حديث القصاب.

كان عبد السلام محمد عارف على علم مسبق بالثورة على نظام عبد الكريم قاسم- كما تبين لنا ذلك- ولكنه كان لا يعلم بساعة الصفر!!

فقد سهر ليلتها مستمعاً إلى الحفل الغنائي للمطربة الكبيرة (أم كلثوم) المنقولة على الهواء من إذاعتي القاهرة وصوت العرب. ونام في ساعة متأخرة من تلك الليلة عند الفجر، ولو كان يدري بساعة الصفر- كما كان يصرح بعد ذلك في مناسبات عديدة- لهيأ ملابسه العسكرية ولنال قسطا من الراحة استعدادا لهذا الحدث العظيم..

ثم لم يكن يدري قطعاً بأنه قد تقرر أن يكون رئيساً للجمهورية..

فقد كان الأتفاق قبل قيام الثورة- في قيادة حزب البعث، على أن يولّي هذا المنصب دون علمه!

فقد أكد لنا علي صالح السعدي- عند قدومه على رأس الوفد العراقي إلى القاهرة ومقابلته الرئيس جمال عبد الناصر في قصر القاهرة، بعد أسبوعين من قيام الثورة أن قيادة الحزب كان رأيها أن منصب "رئيس الجمهورية" هذا لا يمنح عبد السلام محمد عارف امتيازا عن باقي الأعضاء، حيث يشارك في مناقشة قرارات مجلس قيادة الثورة كبقية الأعضاء.. فبحكم القيادة الجماعية للمجلس الوطني لقيادة الثورة يبقى رئيس الجمهورية، جهة منفذة فقط، والجهة التشريعية، للمجلس الوطني لقيادة الثورة".

ويضيف علي صالح السعدي قائلا: والأمر الثاني الذي أدى لانتخاب

عبد السلام محمد عارف رئيسا للجمهورية أن الظروف الآنية التي مرت بها الثورة خلال قيامها ومحاولة قيادة الحزب لف العناصر القومية حولها لاعتبارات منها أن عبد السلام محمد عارف كان معروفاً على الصعيد العربي والشعبي، أكثر من بقية القياديين للحزب باعتباره أحد أبرز قادة 14 تموز وقد تعرض للسجن والاعتقال من قبل عبد الكريم قاسم.

فاعلان عبد السلام محمد عارف رئيسا للجمهورية أفاد حزب البعث لأنه برهن أن ثورته هي ثورة كل القوى القومية".

وبينّ لنا صبحي عبد الحميد- أحد كبار أعضاء التنظيم العسكري القومي- أنهم كانوا قد قرروا سابقا عند الأطاحة بعبد الكريم قاسم ونظام حكمه الفردي، أن يبقوا على مجلس السيادة كرأس للدولة خلال فترة انتقال، ولم يكن في تفكيرهم وخططهم المجيء بعبد السلام محمد عارف رئيسا للجمهورية".

وفي 3 تموز 1963 تمرد بعض ضباط الصف من الشيوعيين في معسكر الرشيد، فتوجه إليهم رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف مع بعض مرافقيه وسحق ذلك التمرد.

وفي 21 آب 1963 زار الرئيس عبد السلام محمد عارف الجمهورية العربية المتحدة بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر، وأجرى في القاهرة مباحثات تناولت الشؤون العربية.

وفي 2 أيلول 1963 زار الجمهورية العربية السورية بدعوة من الرئيس أمين الحافظ وأجرى خلالها في دمشق مباحثات استهدفت تنسيق الجهود في تسوية الصف العربي وإزالة الشوائب التي كانت مخيمة على العلاقات بين الدول العربية.

وفي 13 تشرين الثاني 1963 أعلن مقدم الجو منذر توفيق الونداوي

وجماعته الثورة على الرئيس عبد السلام محمد عارف، بعد أن سَفّر علي صالح السعدي إلى خارج العراق.

فقام بالاغارة بطائرة من نوع "أنتينوف 16" أنطلقت من قاعدة الحبانية على القصر الجمهوري الذي كان الرئيس عبد السلام فيه في تلك اللحظات وامطره بوابل من الصواريخ.

وقد أصاب صاروخ مكتب الرئيس عبد السلام أصابة مباشرة، ونجا عبد السلام الذي كان جالسا خلف مكتبه بأعجوبة!

وفي 18 تشرين الثاني 1963 أغتنم الرئيس عبد السلام محمد عارف فرصة الصراع بين جناحي حزب البعث العربي الاشتراكي، "واستغلت الأخطاء التي وقع فيها الحزب أثناء الحكم" فسارع إلى حشد العسكريين وضمهم إلى جانبه وقضى على معارضيه، واستتب الحكم بين يديه.

وكان عبد السلام محمد عارف قد اختلف مع غالبية قياديي البعث- كما يقول علي حسن المجيد في كتابه "التراث النضالي لحزب البعث العربي الاشتراكي: "فاستغل استياء الجيش من تصرفات الحرس القومي، وأستطاع أن يستقطب الجماعة المعادية للحزب والتي كان لها مراكز حساسة في الجيش.. كما استقطب الضباط البعثيين على أساس أن الحركة ليست موجهة ضد الحزب، وأنما ضد الحرس القومي.. وفي 18 تشرين الثاني أصدر عبد السلام عارف مرسوماً باسم مجلس قيادة الثورة يمنحه نفس الصلاحيات التي يمنحها عادة في حالات الطوارئ وقام عارف بحل الحرس القومي وشكل حكومة جديدة، حيث أصبح اللواء طاهر يحيى رئيس أركان الجيش رئيسا للوزراء والفريق حردان التكريتي قائد القوة الجوية وزيرا للدفاع، في حين تسنم البكر منصب نائب رئيس الوزراء. وكان هؤلاء الثلاثة أعضاء في حزب البعث، وسبق لهم في الأشهر التسعة الماضية تسنم مناصب عالية في السلطة].

وفي 12 كانون الثاني 1964 توجه الرئيس عبد السلام محمد عارف إلى القاهرة لحضور مؤتمر القمة للرؤساء والملوك العرب الذي انعقد هناك على رأس وفد عراقي كبير. وقد ترأس هذا المؤتمر وأسهم مع أخواته في تنقية الجو العربي.

وفي 20 كانون الثاني 1964 زار الرئيس عبد السلام السد العالي في جنوب مصر واطلع على المرحلة الأخيرة لأنشائه.

وفي 21 كانون الثاني عاد إلى بغداد. وصدر بيان مشترك عن المحادثات بين الرئيسين عبد السلام محمد عارف وجمال عبد الناصر. وجاء في البيان أنه تقرر تأليف لجان مشتركة لتنسيق الشؤون الاقتصادية والثقافية والتخطيط ووسائل الأعلام.

وفي يوم 20 آذار 1964 توجه الرئيس عبد السلام محمد عارف والوفد المرافق له إلى كراجي في الباكستان. وكان في استقباله المشير أيوب خان رئيس الجمهورية الباكستانية.

وفي 23 آذار شارك الرئيس عبد السلام والوفد المرافق له الرئيس أيوب خان والشعب الباكستاني الاختفالات الكبرى التي جرت في "راولبندي" هذا اليوم بمناسبة عيد باكستان الوطني. ثم قام بزيارة لمتحف تاكسيلا ومدينة (اسلام أباد) التي جري انشاؤها لتكون عاصمة للباكستان.

وفي 24 آذار زار مدينة "لاهور" وتوجه فور وصوله إلى ضريح العلامة (إقبال) فوضع أكليلا من الزهور على الضريح، ثم زار "مسجد بادي شاهي" هناك. وبعد ذلك حضر احتفالا كبيراً في "جامعة بنجاب) منحت الجامعة خلاله له درجة دكتوراه فخرية في القانون. ثم غادر "لاهور" متوجها إلى "دكا" في ختام رحلة إلى الباكستان.

وفي 25 آذار قام الرئيس عبد السلام والوفد المرافق له بزيارة مدينة "جيبور"

وقد رافقه في هذه الزيارة السيد عبد المنعم خان حاكم باكستان الشرقية. وأعلن هناك أنه تبرع بمبلغ 55 ألف روبية للفقراء.

وفي 26 آذار 1964 اختتمت الزيارة لجمهورية باكستان، وغادر مدينة "دكا" عاصمة باكستان الشرقية بطائرة خاصة إلى "نيودلهي" في الهند.

وصل إلى "نيودلهي" وكان في استقباله الرئيس الهندي "رادها كرشنان" وكبار رجال الدولة وبعد ذلك توجه إلى "راج كارت" حيث وضع أكليلا من الزهور على ضريح المهاتما غاندي.

وفي 27 آذار قام الرئيس عبد السلام محمد عارف بزيارة مختبرات الفيزياء الوطنية.

ثم توجه بعد ذلك إلى معهد الأبحاث الزراعية. ثم أدى صلاة الجمعة في الجامع الأكبر في نيودلهي.

وفي 30 آذار قام بزيارة لمدينة "بنغلور" قادما من "حيدر أباد".

وفي 31 آذار غادر مدينة "بنغلور" قاصدا "بونا" التي زار فيها أكاديمية الدفاع الوطنية. وبعد الظهر غادر مدينة "بونا" قاصدا "بومباي" في المرحلة الأخيرة من زيارته الرسمية.

وفي الأول من نيسان 1964 عاد الرئيس عبد السلام محمد عارف إلى أرض الوطن، بعد أن استغرقت زيارته للباكستان والهند 12 يوماً.

وفي 13 مايس 1964 توجه الرئيس عبد السلام إلى مدينة "أسوان" بجنوب مصر للمشاركة في احتفالات انتهاء المرحلة الأولى من السد العالي، وهناك التقى جمال عبد الناصر وأحمد بن بيللا رئيس الجمهورية الجزائرية والمستر خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي.

واجتمع الرئيس عبد السلام محمد عارف بالزعيم السوفيتي خروشوف في يوم 18مايس 1946 في قصر القبة بالقاهرة وقد استمر الاجتماع مدة ساعتين.

وفي يوم 26 مايس 1964 وقع الرئيس عبد السلام محمد عارف اتفاقية مع الرئيس جمال عبد الناصر، انبثق عنها مجلس الرئاسة المشترك بين القطرين، ثم إنشاء القيادة السياسية الموحدة بينهما، وأمانة عامة للمجلس المشترك، وقد عهد إلى هذا المجلس بدراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لأقامة الوحدة بين البلدين في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفي مجالات الأعلام وتنسيق التنظيم الشعبي.

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين 22 حزيران 1964 تسلم الرئيس عبد السلام محمد عارف أوراق اعتماد السيد مهدي بيراسته، سفير المملكة الإيرانية لدى الجمهورية العراقية بحضور وزير خارجية العراق صبحي عبد الحميد.

نقل السفير الإيراني أثناء المقابلة للرئيس عبد السلام طلب شاه إيران بوجوب الاهتمام بالعتبات المقدسة و(رعاية) الشيعة في العراق.

أجاب الرئيس عبد السلام محتدا وغاضباً: قل لشاهك، أن العتبات المقدسة نحن مهتمون بها أكثر من عندكم.. وقل لشاهك أيضا أن شيعة العراق عرب أصلاء كرماء.. وليس شاء إيران وصياً وقيماً عليهم..

وقبل أن يتفوه السفير الإيراني بالرد، قال له الرئيس عبد السلام:

- انتهت المقابلة.

وخرج السفير الإيراني من هذه المقابلة يرتجف امتعاضا ويتحرق غيضا.

ويروي لنا صبحي عبد الحميد وزير الخارجية حينذاك أنه قال للسفير الإيراني بعد خروجه:

- أنك بتصرفك هكذا قد خالفت الأعراف الدبلوماسية، وأن قول الشاه هذا، هو تدخل صريح وسافر في شؤون العراق الداخلية.

ويقول صبحي عبد الحميد: أن إيران سحبت سفيرها من بغداد بعد هذا الحادث، كما سحب العراق سفيره في طهران، وتأزمت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين".

وفي 14 تموز 1964 أعلن الرئيس عبد السلام محمد عارف تأميم المصارف وشركات التأمين والمصانع الكبيرة، وأعلن عن قيام (الاتحاد الاشتراكي) كحزب وحيد في البلاد.. وقد حلت أربعة أحزاب سياسية تنظيماتها وأنضمت إلى الاتحاد الأشتراكي العربي، وهي: حركة القوميين العرب، والحزب العربي الاشتراكي، وحركة الوحدويين الاشتراكيين، والوحدويون الاشتراكيون الديمقراطيون.

وفي يوم 4 أيلول 1964 غادر الرئيس عبد السلام محمد عارف إلى القاهرة على رأس الوفد العراقي للمشاركة في مؤتمر القمة العربي الثاني المنعقد في مدينة الاسكندرية.

وفي 5 أيلول 1964 أتهم حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق بالإعداد لمحاولة تطيح بالرئيس عبد السلام محمد عارف عندما كان خارج القطر- فشنت حملة اعتقالات واسعة شملت أعضاء الحزب وأنصاره، وكان على رأس المعتقلين أحمد حسن البكر أمين سر القيادة القطرية للحزب في العراق، والمناضل صدام حسين.

وفي عشية انعقاد مؤتمر رؤساء عدم الانحياز في القاهرة يوم 5 تشرين الأول 1964 أعلن الرئيس عبد السلام محمد عارف أنه سينتهز فرصة وجوده في القاهرة

ليبحث في اجتماع يعقده مجلس الرئاسة المشترك الخطوات الوحدوية التي تثبت وتؤكد الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.

ونشرت الصحف البغدادية في 18 تشرين الأول 1964 الحديث الذي أدلى به الرئيس عبد السلام لجريدة "الأهرام" القاهرية الذي أعلن فيه أن العراق حكومة وشعباً يريد وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة على الفور.

وقد استهل الرئيس عبد السلام حديثه بقوله: "أن القضية ليست قضية عاطفية، ولكنها قضية مبدأ وهدف، ولا أعتقد أن هناك عقبات قد تقف في الطريق. أننا قد نجد أنفسنا وجها لوجه أمام الوحدة، لأننا سرنا فيها فعلا، ولذلك مظاهر متعددة.

ثم أشار الرئيس عبد السلام إلى مظاهر تحقيق الوحدة بين البلدين في مجالات التعليم والتنظيم الفني وقال: "وفي الجيش تجري الان عملية التفاعل بين الجيشين، وهناك قوات عربية موجودة فعلاً مع الجيش العراقي تعمل معه، وعما قليل ستصل قوات من الجيش العراقي لتعمل مع جيش الجمهورية العربية المتحدة.

وأجاب على سؤال: عما إذا كان يعتقد بأن تجربة الوحدة مع سورية تجعلنا نتريث بعض الوقت حتى يتم التخطيط للوحدة الكاملة، وتنضح معالم الصورة مع واقع الدراسات التي تقدم بها مجلس الرئاسة المشترك؟.. فقال: أن تجربة الوحدة ماثلة أمامنا، وأخذنا من ورائها العبرة التي تخلفت عن جريمة الأنفصال، والوضع مختلف في الحالين. كان هناك في سوريا أعداء للوحدة، قوى متنافرة ولكنها كانت تتجمع عند هدف واحد، هو ضرب الوحدة. كانت هناك القوى الرجعية حصون الرأسمالية المستغلة والعملاء. وكان هناك أيضا من تسللوا إلى الحكم. وإلى التنظيمات الشعبية منتهزين فرصة التسامح معهم. كل هؤلاء ضربوا الوحدة. أما في العراق فما الذي يجري هناك؟.. واقعنا في القاهرة

وفي بغداد واحد. والتماثل موجود في النظم الاجتماعية والاقتصادية، وشعب العراق نفسه هو الذي يلح على قيام الوحدة، يلح في قيامها ليدخل مرحلة استقرار في حياته. فقد انهكت قواه، وهزت كيانه الوان الحكم التي طرأت عليه بين حين وآخر.

وقال الرئيس عبد السلام: أن هناك قوى خارجية تعمل في توافق حيث يجمعها هدف مشترك وهو محاربة الوحدة". ثم أردف قائلا: "واحب أن أؤكد هنا أن محاربة الوحدة لا يقصد بها سوى محاربة الرئيس جمال عبد الناصر، وذلك باعتباره الرائد الأول للأمة العربية دون منازع وباعتباره القائد الذي تحمل مسؤولية العمل الثوري لتخليص كل جزء في الوطن العربي من النفوذ الاستعماري.

ومضى الرئيس عبد السلام يقول: ولنضرب مثلا لذلك عندما كانت إذاعة أحدى الدول تشن حملة هجوم على الرئيس جمال عبد الناصر باعتباره السند الأول لحركات التحرر في الشرق الأوسط وفي القارة الأفريقية، وأنذرنا هذه الدول رسمياً، أن أي هجوم على شخص الرئيس عبد الناصر هو هجوم على شخص الرئيس عبد السلام محمد عارف.

وأعلن الرئيس عبد السلام، أن الوحدة معركة مع الاستعمار تحدد مصيره في المنطقة، وهي معركة اجتماعية لأنها تحطم قيود الاحتكار من حول اعناق الشعب العربي، وهي تنهي عهود العملاء والخونة وتجار الوطنية، وهي ليست لشخص بذاته، ولكنها مشيئة أمة، وقدر شعب، وهبه الله في تلك الفترة أبطالا شرفاء رائدهم جمال عبد الناصر الذي يتحمل مع الأحرار مسؤولية المصير الذي يبقى مع الشعوب.

واستطرد الرئيس عبد السلام يقول: ومن أجل هذا فأنه يجب الاحتراس التام من أي نكسة تصيب الوحدة كهدف نهائي وواجب أن يتم تشييد هذا البناء

الضخم على أسس صلدة وقوية جماهيريا ونضاليا، الأمر الذي يوجب أن يكون العمل منطقيا وواقعيا، وهذا معنى العمل تدريجيا ومرحليا بحيث لا توضع لبنة إلا بعد أن تكون اللبنة التي تحتها راسخة.

وقال الرئيس عبد السلام: أن هناك خمس نتائج يمكن أن نتوصل إليها بعد هذا التحليل.

1- أن الوحدة إرادة شعب، وليست مطلب أشخاص.

2- أن أي حكم قومي لا يمكن أن يستمر وجوده بدون وحدة تسنده.

3- أن الظروف المتماثلة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين العراق هي الضمان القوي لسير الوحدة دون عقبات.

4- أن بناء الوحدة على أسس متينة تدريجياً ومرحلياً يسد الثغرات في وجه القوى المعادية للوحدة.

5- أن الشعب العراقي على طريق الأرادة الحرة اختار الوحدة كمصير طبيعي تكفل له الاستقرار وتهيء له فرص العمل في حياة أفضل.

وفي ختام حديثه أجاب الرئيس عبد السلام محمد عارف على سؤال بشأن موضوع شكل الوحدة التي تدخل في دائرة أفكار شعب العراق على مختلف مستوياته بقوله: لا أستطيع أن احدد لأننا شركاء مع الجمهورية العربية المتحدة وأخوة نضال مع قادتها والأمر شورى بيننا، وكل خطوة تقدمية في سبيل الوحدة ما هي إلا المسيرة على الطريق الأنجح لانجاز الوحدة].

وفي 24 تشرين الثاني 1964 توفي والده الحاج محمد عارف عن شيخوخة صالحة، ودفن في جامع "الشيخ ضاري" في "أبو غريب"..

وكان الرئيس عبد السلام محمد عارف حين وفاة والده راقدا في مستشفى الكرخ الجمهوري لإجراء الفحوصات الطبية، لمعرفة سبب الهزال الشديد الذي

أصاب جسمه، وهبوط وزنه كثيراً، فقد شك الأطباء في أصابته بسرطان المعـدة، غير أنه لم يثبت ذلك.

وفي 29 تشرين الثاني 1964 أجريت له عملية لاستئصال اللـوزتين عنـدما كان راقدا في مستشفى الكرخ الجمهـوري، وقـد امضـى أسـبوعاً في المستشـفى، صدر بعدها بيان رسمي يعلن تماثله للشفاء.

وفي أواخر حزيران 1965 حدثت أزمة حادة بين الرئيس عبد السلام محمد عارف وبين القوميين استقال أثرها عدد من الوزراء...

ففي مساء يوم 23 حزيران 1965 اتصل عبد الله مجيد الأمين العام لرئاسـة الجمهورية بمدير وكالة الأنباء العراقية العميد الركن دريد الدملوجي وطلب منـه نشر خبر عن الأحداث التي وقعت في الجزائر بأزاحة الرئيس أحمد بـن بـيلا عـن رئاسـة الجمهوريـة وأن يكـون هـذا الخـبر موضـوع التعليـق الرئيسـي للأذاعـة والتلفزيون والصحافة.

وفي صباح اليوم التالي 24 حزيران، أمر عبد اللطيف الكمالي المدير العام للأذاعة والتلفزيون باختصار التعليقات، وعدم إذاعتها كما وردت من الوكالة!

واستمع الرئيس عبد السلام إلى ما أذيع، فوجد أن تعليماته لم تنفذ، فهـاج وطلب إلى عبد الله مجيد أن يتصل بالكمالي ويأمره بأذاعة التعليمات كاملـة مـن دون حذف أو أختصار.. إلا أن الكمالي رفض ذلك، مبرراً رفضه لأن الخبر فيه دعاية شخصية لرئيس الجمهورية الأمر الذي يتنافى مع واجب الأذاعة!!

وغضب عبد الله مجيد، بعد أن تأكد أن أمر الرئيس عبـد السـلام لا يمكـن تنفيذه، ويتم الاعتراض عليه من موظف بدرجة "مدير عام"!

فأتصل عبد الله مجيد بأحد المذيعين مباشرة وكلفـه بأذاعـة التعليـق، ونفـذ المذيع الأمر، فغضب عبد اللطيف الكمالي المدير العام، وتوجه إلى عبـد الكـريم

فرحان وزير الثقافة والارشاد واخبره بتدخل الأمين العام لرئاسة الجمهورية في شؤون الأذاعة والتلفزيون، فانضم الوزير إلى المدير العام وأيده في موقفه هذا..!!...

أصدر عبد الكريم فرحان فوراً كتاباً عممه على الدوائر المختصة، وأعطى صورة منه إلى رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية، جاء فيه:

"أن واجبات الإذاعة والتلفزيون خطيرة، في مقدمتها بناء الإنسان العربي وتعميق المفاهيم القومية والإنسانية وتوعية المواطن وتربيته.

لكني لمست أن بعض المسؤولين مازالوا يتصورون أن هذه الأجهزة وجدت للدعاية للحكام والمسئولين فأخذوا يضغطون على الموظفين والمذيعين فاربكوا أمور هذه الأجهزة وأثروا على مناهجها فكرهما الشعب وغرب عنها.

أرجو تفضلكم بأصدار الأوامر للمعنيين والمسؤولين لتقدير هذه الناحية وعدم الاتصال بأي موظف من موظفي المديرية المذكورة عدا مديرها العام].

اعتبر الرئيس عبد السلام هذا الكتاب موجها إليه، وأنه أهانة لشخصه فاوعز باصدار مرسوم جمهوري بنقل عبد اللطيف الكمالي مدير عام الأذاعة والتلفزيون إلى (مضمد) في (مستوصف راوندوز).

[كان الكمالي قبل ذلك موظفا في وزارة الصحة- ويحمل شهادة الحقوق].

واتصل الرئيس عبد السلام برئيس الوزراء طاهر يحيى هاتفيا- وكان عبد الكريم فرحان في تلك اللحظات في مكتب رئيس الوزراء- وأنهال على الوزير سباً وقذفاً. فسمع هذا ما دار بين الاثنين من كلام يمسه شخصياً فقام على الفور ليقدم استقالته.

وفي 30 حزيران 1965، قدم العقيد الركن صبحي عبد الحميد وزير

الداخلية استقالته تضامنا مع زميله العميد الركن عبد الكريم فرحان وزير الثقافة والارشاد، وفيما يلي نص استقالته:

السيد رئيس مجلس الوزراء المحترم:

لقد تردت أوضاع البلد في الفترة الأخيرة بشكل أصبح حتى أقرب الناس للحكم وهم القوميون على اختلاف فئاتهم واشخاصهم يتذمرون منتقدين تصرفات السلطة وضعف الحكم ورغم تحذيرنا ونصحنا لم نجد أي استجابة لأصلاح الوضع بل استمر التدهور. وأخذ الحكم يجنح إلى الفردية متبعا سياسية "فرق تسد". هذه السياسة التي أدت إلى تعميق الروح الطائفية، وتفتيت الوحدة بخلق الاقليمية، وبعثرة الصف القومي.

وقد استهين أخيراً بالوزراء وأعتبروا مُجرد آلات تنفيذية وبلغ الحد إلى توجيه الأهانات إلى وزير ثائر ومكافح معروف بشكل لم يسبق له مثيل في أي عهد من العهود التي مرت على العراق.

لقد فكرت مليا في الأمر فوجدت أن البلد يحترق، وأن الشعب يحملنا هذا الحريق، ولما كنا لا نستطيع إخماد الحريق فقد قررت تقديم هذه الأستقالة مستندا للأسباب التالية:

1- فقدان الثقة والانسجام بين الثوار.

2- انعدام الحكم الجماعي والاتجاه نحو الحكم الفردي.

3- تفتيت الوحدة الوطنية.

4- الاعتماد على العناصر الانتهازية الساذجة والمطبلة.

5- التدخل في شؤون الوزارات وفرض الموظفين على الوزراء دون اعتبار رأيهم الخاص.

6- تشجيع التكتلات في صفوف القوات المسلحة وأثارة الحقد في نفوس الضباط بعضهم ضد الآخر.

7- عدم الالتزام ببرنامج العمل المتفق عليه في القاهرة في اجتماعات القيادة السياسية الأخيرة وذلك:

(أ) لم يلتزم بمبدأ القيادة الجماعية.

(ب) لم يقبل بحث موضوع إنهاء التكتلات في الجيش.

(جـ) لم تسد الثقة والانسجام بين الثوار.

8- أصبح في اعتقادي أن الطريق إلى الوحدة بعيد المنال وذلك لأن شروط اقامتها التي تستند على وحدة الجيش ووحدة القيادة ووحدة الصف القومي لم ولن تتحقق، لذلك أصبح مبرر وجودنا كوزراء وحدويين غير وارد.

وبناء على ما تقدم أرجو التوسط بقبول استقالتي من منصب وزير الداخلية ومن عضوية المجلس الوطني لقيادة الثورة. كما أرجو إحالتي على التقاعد من الجيش.

وأخيرا أشكر لكم حسن تعاونكم خلال الفترة التي عملنا بها معا راجيا لكم التوفيق في خدمة الوطن].

وتضامن مع عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد بعض الوزراء القوميين، فقدموا استقالتهم، وهم:

أديب الجادر وزير الصناعة، عبد الستار علي الحسين وزير العدل، فؤاد الركابي وزير الشؤون البلدية، عزيز الحافظ وزير الاقتصاد.

وفي الثالث من أيلول 1965 قدم الفريق طاهر يحيى استقالة وزارته، بعد أن شعر أن الرئيس عبد السلام بدأ يناور ضده، ويلمح له بضرورة فسح المجال للآخرين لخدمة البلاد.

كلفَّ الرئيس عبد السلام محمد عارف، عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق بتشكيل وزارة جديدة، وقد اعتبر هذا التبديل الوزاري، أول تبديل سلمي منذ ثورة تموز 1958.

شكلَّ عارف عبد الرزاق وزارته في 6 أيلول 1965. وكان معظم وزراء الحكومة الجديدة قد فرضهم الرئيس عبد السلام، واصر على استيزارهم. ولم يهتم عارف عبد الرزاق بالشكل الذي تم عليه تشكيل الحكومة التي يرأسها- رغم أن الرئيس عبد السلام قد أجبر عارف عبد الرزاق على تخفيض عدد العسكريين إلى ثلاثة فقط، مقابل تسعة في وزارة طاهر يحيى المستقيلة.

كان عارف عبد الرزاق يتطلع إلى ما هو أرفع من رئاسة الوزارة، فترك تصريف الأمور الروتينية إلى نائبه ووزير خارجيته عبد الرحمن البزاز.

غادر الرئيس عبد السلام محمد عارف بغداد إلى الدار البيضاء (المغرب) لحضور مؤتمر القمة العربي الثالث المنعقد في 12 أيلول 1965 يرافقه نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية عبد الرحمن البزاز.

كان في اعتقاد الرئيس عبد السلام أن عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء راضٍ عن أسلوب العمل، ولكنه رغم ذلك أصدر تعليماته قبيل مغادرته بغداد بمراقبة تحركات رئيس الوزراء.!

وعندما أقلعت الطائرة بالرئيس عبد السلام وبالوفد المرافق له، بدأ عارف عبد الرزاق بتحركاته، وراح الفريق القومي الوحدوي (الذي أطلق عليه الفريق

الناصري) الذي استقال بعض عناصره المهمة من الوزارة قبل ذلك بشهرين، يحرضه ويدفعه للعمل للأطاحة بالرئيس عبد السلام محمد عارف.

كان هدف عارف عبد الرزاق والفريق الناصري والضباط المؤيدين والمتحمسين له، القيام بانقلاب عسكري، يتسلم عارف عبد الرزاق بعد نجاحه رئاسة الجمهورية، ثم يطالبون الرئيس جمال عبد الناصر تحقيق الوحدة الفورية بناء على طلب الشعب العراقي!

وكانت كتلة عارف عبد الرزاق- كما يقول مجيد خدوري- واثقة من نجاح خطتها في إسقاط عبد السلام محمد عارف، وأنها ستلاقي تأييدا كاملا في أوساط الوحدويين، مدنيين وعسكريين ولهذا فأنها لم تأبه لانتشار خبر الانقلاب المزمع القيام به، ولم يتخذ الحيطة اللازمة!

وصلت اخبار الانقلاب المرتقب إلى كتلة عبد السلام محمد عارف (وكان أبرزها عبد الرحمن محمد عارف رئيس أركان الجيش وشقيق الرئيس عبد السلام، وسعيد صليبي وحميد قادر). وما أن توجه قادة الانقلاب إلى (أبو غريب) ليحركوا الدبابات من المعسكر حتى ظهر سعيد صليبي وحميد قادر فجأة وأعلنا أن القوة التي يتولى قيادتها رئيس أركان الجيش مستعدة لمقاومتهم.

وهكذا وقبل أن تتمكن كتلة عارف عبد الرزاق من توجيه ضربتها، وجد عارف عبد الرزاق نفسه وقد سقط في شرك أعدائه. ولكنه تمكن من الهرب إلى القاهرة بطائرة عسكرية.

وسنحت الفرصة للرئيس عبد السلام محمد عارف كي يتخلص من الفريق العسكري المنافس باسرع مما كان متوقعا، لأن عارف عبد الرزاق لم يبق في الحكم وعلى رأس الوزارة غير عشرة أيام فقط لا غير!!

ويروي أمين هويدي- سفير الجمهورية العربية المتحدة في العراق في تلك

الأيام، قصة الانقلاب الذي قام به عارف عبد الرزاق، الذي وصفه بـ"الانقلاب المبتور" قائلا:

"كان للأزمات المتلاحقة في عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف، تأثيرها الشديد على صحة الرئيس عارف، وعلى حالته النفسية، فأخذ يفقد الكثير من وزنه، بعد أن عافت شهيته الطعام وعز عليه النوم. فما كان يأكل الا لماما. وما كان يذهب إلى فراشه إلا بعد صلاة الفجر، بعد أن يكون قد امضى الليل كله ساهرا يفتش على الحراس في القصر الجمهوري وذهبت به الوساوس إلى الحد الذي لمسته بنفسي عند زيارتي أياه في الليل والنهار، إذ ما كادت حجرة مكتبه تحتوينا حتى يقوم بنفسه بقفل الحجرة بالمفتاح والمزلاج، خوفا من اقتحام مفاجيء يقوم به خصومه، ولم يكتف بذلك بل تولى بنفسه تعيين خدمة الضباط في الحراسة دون سابق إنذار، وأكثر من تغيير وحدات الحرس الجمهوري خوفا من أي ترتيبات تدبر من وراء ظهره..!!

قابلته بعد منتصف إحدى الليالي- والكلام لايزال لأمين هويدي- وهو يسير ومرافقه في الطريق الموصل من القصر الجمهوري إلى جسر الجمهورية. وكنت عائدا وحدي إلى الدار في سيارتي، وعجبت أن يسير الرجل هكذا وحده في بغداد في مثل تلك الظروف. وفي مثل هذا المكان الموحش. وفي تلك الساعة المتأخرة من الليل. واوقفت سيارتي واتجهت إليه ولم يخف الرجل سروره الكبير من هذا اللقاء المفاجئ، ولم أخف مشاعري عنه، فابتسم الرجل، وهو يردُّ في أسى: "والله يا أبا هشام لم يكن أمامي إلا هذا.. فالقصر رغم اتساعه أخذ يضيق بي، والاسقف على ارتفاعها، أخذت تطبق عليّ، وخيل لي أني أصبحت في الزنزانة من جديد، فخرجت هاربا من القصر، حيث الهواء الطلق"!

ولم يكن الرجل يدري أنه خرج من سجن صغير إلى سجن كبير، إذ بدأ

يشعر بالعزلة القاتلة التي أوقع نفسه فيها، وبوحشة الوحدة التي يعيشها، بعد أن انقطعت علاقاته بالجميع، إلا القلة الذين سعوا من أجل ذلك حتى ينفردوا به".

ويستطرد أمين هويدي في حديثه قائلا:

"غادر الرئيس عبد السلام عارف بغداد قاصدا الدار البيضاء، وسط مراسم توديع، اشترك فيها كافة المسئولين والسفراء.

وتولى السلطة بالنيابة أثناء غيابه مجلس مكون من رئيس الوزراء ورئيس أركان الجيش، وحان وقت تنفيذ الانقلاب، تبعا للتخطيط الموضوع.

وكانت خطة الانقلاب- كما علمت بعد ذلك- في منتهى البساطة، إذ كانت تتلخص في الأتي:

1- القيام بأنذار الوحدات المؤيدة في بغداد يوم الخميس 15 أيلول 1965.

2- بعد أن يتم ذلك يستدعي عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء الضباط المؤيدين للرئيس عبد السلام عارف ومعهم سعيد صليبي إلى مقر رئاسة الوزراء حيث يتم اعتقالهم.

3- يتوجه عارف عبد الرزاق في الساعة الثانية بعد الظهر إلى دار الأذاعة ليعلن تنحية الرئيس عبد السلام عارف، والغاء منصب رئيس الجمهورية وتشكيل مجلس قيادة الثورة ووزارة جديدة تضم الفئات القومية.

وبذلك لا يحتاج تنفيذ الانقلاب- إذا سارت الأمور دون أحداث غير متوقعة- إلى إنزال أي وحدات عسكرية إلى الشارع.

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر يوم 14 أيلول 1965 استدعى عارف عبد الرزاق، مدير الشرطة العام حميد قادر إلى مكتبه برئاسة الوزراء- وحميد قادر هو الصديق الصدوق لسعيد صليبي، لا يفعل شيئا إلا بأمره. ولا يتخذ قرارا إلا

باستشارته. وهو وسعيد صليبي أميل للرئيس عبد السلام عارف منهما إلى عارف عبد الرزاق.

وتمت المقابلة بين الرجلين، وأخبر عارف عبد الرزاق صديقه بأن انقلاباً يجري تنفيذه حالياً لازاحه الرئيس عبد السلام عارف، وطلب منه أما الاشتراك معهم في التنفيذ أو الوقوف على الحياد. إلا أن حميد قادر تظاهر بالتحمس للحركة وباركها. بل تعهد باقناع سعيد صليبي بالانضمام إليها، وحينئذ سمح له عارف عبد الرزاق بمغادرة مقر رئاسة الوزراء لمفاتحة سعيد صليبي واقناعه بالانضمام للحركة.

وبمجرد أن عرف سعيد صليبي بالانقلاب أنذر كافة الوحدات الموجودة ببغداد والموالية للرئيس عبد السلام عارف وأمرها بمقاومة أي حركة مضادة للحكم.

ومرت خمس ساعات ثمينة قبل أن يستدعي عارف عبد الرزاق صديقه سعيد صليبي إلى مقره برئاسة الوزراء. لبى سعيد الدعوة، ولولا شعوره بقوة مركزه وقدرته الكاملة على السيطرة على الموقف، ما ذهب لمقابلة عارف عبد الرزاق في مقره.

وفي باديء الأمر تظاهر سعيد صليبي بتأييده الحركة، إلا أنه عاد فاستنكرها حينما علم باشتراك عرفان وجدي وفاروق صبري وعبد الأمير الربيعي فيها.

وحينئذ قرر عارف عبد الرزاق اعتقال سعيد صليبي. إلا أنه لسبب ما عاد فاطلق سراحه.

وفي هذا الوقت تلقى هادي خماس، الذي كان يعاون عارف عبد الرزاق في قيادة الحركة من غرفة مجاورة محادثة تليفونية من مجهول- ولاشك في أن الذي

دبرها هو سعيد صليبي- مفادها أن عبد الأمير الربيعي فشل في السيطرة على معسكر أبي غريب، وأنه تم اعتقاله هو والضباط المشتركين معه.

ولم يكن هذا صحيحا، إذ كان قد تم لعبد الأمير الربيعي السيطرة الفعلية على المعسكر بل وكانت الدبابات مصطفة في الوقت استعدادا للأمر بالزحف إلى بغداد.

ولم يتمكن أحد من أن يتحقق من الموقف، إذ أن عبد الأمير الربيعي كان قد قطع تليفونات المعسكر بعد استيلائه عليه، ولم يفكر أحد في إرسال من يتأكد من الخبر بالرغم من قرب المسافة وأخذت المكالمة التليفونية على أنها حقيقة مؤكدة.

وهنا صدرت التعليمات بتأجيل العملية.

وأصبح سعيد صليبي في مقره بالانضباط العسكري سيد الموقف.

وفي صباح يوم 15 أيلول 1965 عقد اجتماع في منزل عارف عبد الرزاق لتدارس الموقف وبعدها غادره ومعه عائلته إلى مطار بغداد ثم إلى القاهرة على متن أحدى الطائرات الحربية.

ولم تخطر سفارة الجمهورية العربية المتحدة باتجاه الطائرة إلى القاهرة، كما لم تخطر القاهرة بأن طائرة حربية في الطريق إليها.

ويختم أمين هويدي حديثه عن "الانقلاب المبتور" الذي قام به عارف عبد الرزاق قائلا: "كل ذلك يتم والرئيس عبد السلام عارف هناك في الدار البيضاء. وقد علم بتفصيلات ما حدث من الرئيس جمال عبد الناصر. إذ كنت قد أرسلت إليه بالتفصيلات قبل أن يتمكن أحد في بغداد من إخطار الرئيس عبد السلام عارف بما حدث، ولعل هذه المبادرة كانت سببا في الشكوك التي سيطرت على الرئيس عارف بعد ذلك والتي لم يكن لها أساس من الصحة.

وقطع الرئيس عارف زيارته إلى الدار البيضاء. وعاد إلى القاهرة أولا ليعمل ترتيب سفره إلى بغداد. وقد تم أعداد خطة لعودته في سرية كاملة، إذ أن الموقف لم يكن واضحا في بغداد، بل كانت هناك طائرات في انتظاره في سمائها لأسقاط طائرته عند الوصول.

واستقل الرجل طائرة من إحدى المطارات الحربية بالقاهرة بتنسيق كامل معي في بغداد وحدد وقت الوصول.

ولم أخبر أحدا خوفا على حياة الرجل، حتى أخيه اللواء عبد الرحمن عارف كان يعلم حينما اصطحبته معي إلى المطار أنه ذاهب لمقابلة وفد عسكري قادم من القاهرة على متن إحدى الطائرات الحربية في تمام الساعة الخامسة، وحينما رأيت الطائرة تحلق في سماء المطار أخبرت عبد الرحمن عارف بمقدم أخيه، فترك كل شيء وذهب ليعد حرس شرف لاستقبال الرئيس القادم!!

ونزل الرئيس عبد السلام عارف إلى أرض المطار ثابت الجنان!

وسلم على النفر القليل الذين كانوا في استقباله والذين تصادف وجودهم في المطار واوصلناه إلى أحدى العربات الصغيرة يستقلها إلى القصر الجمهوري ليبدأ محاولاته للسيطرة على الموقف.

وبانتهاء هذه الحركة بالصورة التي انتهت بها كان الرئيس عبد السلام عارف قد تخلص من كل معارضيه منهم من كان في القاهرة، ومنهم من كان متحفظاً عليه في منزله، ومنهم من كان قد تم اعتقاله ومنهم من اختفى تحت ظروف صعبة، ومنهم من كان يهيم على وجهه في طريقه إلى الكويت، ليفعل به الله ما يشاء بعد ذلك.

وبذلك أصبح الرئيس عبد السلام عارف الحاكم المطلق في العراق]!!

ويروي لنا محسن حسين- مندوب وكالة الأنباء العراقية المرافق للرئيس

عبد السلام عارف، كيف تلقى الرئيس عبد السلام خبر الانقلاب الذي قام به رئيس وزرائه عارف عبد الرزاق، وهو في الدار البيضاء يحضر مؤتمر القمة العربي الثالث، قائلا:

"خلال مشاركة الرئيس عبد السلام عارف في مؤتمر القمة العربي الثالث الذي انعقد في الدار البيضاء، في أيلول عام 1965 حدث مالم يكن في الحسبان.

فقبل يوم من انتهاء المؤتمر جاء إلى (فندق المنصور) حيث يقيم الرؤساء، السيد زكريا نبيل محرر الشؤون العربية في الأهرام، ونقل إلى الرئيس عارف أن انقلاباً قد وقع في بغداد.

ثم فهمنا أن رئيس الوزراء عارف عبد الرزاق الذي يشغل أيضا منصبي وزير الدفاع وقائد القوّة الجوية وينوب عن رئيس الجمهورية في تسيير أمور الدولة قد قام بحركة انقلابية لكنها لم تنجح.

وامضى عبد السلام عارف ليلة عصيبة في الفندق وزاره في اليوم الثاني عدد من الرؤساء بينهم الرئيس جمال عبد الناصر، الذي طمأنه بأن الحالة قد استقرت في بغداد بعد فشل الحركة الانقلابية ورغم ذلك فإن بعض التقارير الأخبارية كان يشير إلى غموض في الموقف، ويلمح إلى أن لمصر علاقة بما حدث، أو أن القائمين بالحركة محسوبون على الاتجاه الناصري!

في الصباح الباكر وصل إلى الدار البيضاء مبعوث من بغداد هو وزير الصحة الدكتور عبد اللطيف البدري ليشرح للرئيس ما حدث ويطمئنه على سلامة الموقف.

وقرر عبد السلام عارف العودة إلى بغداد مهما كانت النتائج.. وتم تبليغ جميع أعضاء الوفد والصحفيين اليوم.

ورغم أن عندي بطاقة طائرة تسمح لي بالعودة عن طريق باريس إلا أنني عدت بالطائرة الخاصة دون تردد يدفعني إلى ذلك الفضول الصحفي والرغبة في الاطمئنان على الأهل!

وهكذا اقلعت الطائرة بنا مساء ذلك اليوم وعلى متنها الرئيس عبد السلام عارف والسيد عبد الرحمن البزاز نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية وجميع أعضاء الوفد.

مررنا في الليل بالجزائر ثم توقفت الطائرة في طرابلس (ليبيا) وهناك حدثت مشادة كلامية بين عبد السلام عارف وعبد الرحمن البزاز.

طلب عبد السلام من البزاز أن ينزل هو مع أعضاء الوفد إلى المطار لأن أحد الوزراء الليبين (في عهد الملك إدريس السنوسي) كان في الأنتظار، لكن البزاز رفض قائلا إنه في حكم المستقيل وأن الوزارة قد سقطت بقيام رئيسها عارف عبد الرزاق بالانقلاب الفاشل، وما تردد عن هربه أو اعتقاله.

عبد السلام عارف كان لا يريد أن ينزل إلى المطار، لأنه مستاء من الاستقبال الذي تم له في طريقه من بغداد إلى المغرب فقد كان على رأس المستقبلين أحد الموظفين في القصر الملكي أو من الخارجية وليس الملك أو ولي العهد..

وبعد المناقشة نزل الجميع.

وصلنا القاهرة صباح اليوم التالي. كان في الاستقبال الرسمي المشير عبد الحكيم عامر، وعندما هبط الرئيس عبد السلام عارف سأل المشير عن (السلام الجمهوري) وعلمت فيما بعد أن عبد السلام عارف كان مستاء من الاستقبال الذي جرى له عند مروره بالقاهرة في طريقه إلى المغرب إذ عزف أثناء الاستقبال

(السلام الجمهوري) الذي كان في عهد عبد الكريم قاسم. وأن السؤال عن السلام الجمهوري يقصد به هل تم تصحيح الخطأ.

ويبدو أنه قد صحح بالفعل!!

وفي استراحة المطار اجتمع الرئيس عبد السلام عارف والمشير عبد الحكيم عامر لوحدهما فترة من الوقت.. وفي هذه الأثناء جاء أحد موظفي السفارة وربما كان الملحق العسكري وطلب مقابلة رئيس الجمهورية بصورة عاجلة. وقد فهمنا أنه يحمل أخبارا سيئة تقول أن طيارين عراقيين قد أخذوا طائرتين حربيتين متوجهتين إلى مصر ليضربوا طائرة الرئيس وهي في الجو للتخلص منه.

وقد ذهلنا للمفاجأة بعد أن كنا قد تصورنا أن الأمور مستقرة.

وطلبني عبد السلام عارف، وكان يجلس إلى جانبه المشير وقال لي "أبعث خبرا إلى بغداد بأننا سنبقى هذا اليوم في القاهرة ونعود إلى بغداد يوم غد واطلب منهم إذاعته من الأذاعة"..

وأرسلت الخبر في الحال عن طريق مراسل لنا في القاهرة وكان من بين المستقبلين وقد أرسلته إلى بغداد عن طريق وكالة أنباء الشرق الأوسط وأذيع من الأذاعة في أول نشرة أخبارية.

وهكذا توجهنا في موكب رسمي إلى قصر القبة لكننا لاحظنا ونحن في منتصف الطريق أن السيارة التي تقل رئيس الجمهورية والمشير قد انحرفت عن الطريق وذهبت في طريق آخر.

ووصلنا قصر القبة ولم تكن معنا حقائبنا التي بقيت في الطائرة على أمل أن ترسل إلينا إلى قصر القبة فيما بعد.

وفي القصر وزعوا علينا الغرف، وصعدنا كل إلى غرفته للاستراحة. ولكن

لم تمض أكثر من ربع ساعة حتى جاء موظفو الرئاسة المصرية يقرعون الأبواب طالبين منا النزول لتناول الغداء مع الرئيس والمشير.

ونزلنا بالفعل لكننا لم نجدهما هناك. وطلب موظفو الرئاسة المصرية منا جميعا أن نصعد إلى السيارات لأن الغداء سيكون في مكان آخر..

كان هناك غموض واضح وكان أكثرنا انزعاجا السيد عبد الرحمن البزاز نائب رئيس الوزراء الذي أبدى امتعاضه من هذه الأساليب وعدم أحاطته علما بما يجري!

وصعدنا السيارات وتوجهنا في موكب رسمي شق طريقه في شوارع القاهرة ثم لاحظنا أننا قد خرجنا من القاهرة إلى طريق الاسكندرية الصحراوي. فمررنا بالأهرام ثم في منطقة صحراوية. وإزاء ذلك أخذنا نتهامس حول مصيرنا، وتردد أننا ربما كنا في طريقنا إلى الاعتقال أو إلى المنفى بل أن أحدهم حدد المنفى بأنه النمسا وآخر قال إنه السودان.

وبعد مسافة ليست قصيرة دخلنا إلى منطقة عسكرية وتوجهت السيارات إلى مطار عسكري صغير هناك كانت تربض على مدرجه طائرة مدنية تحمل اسم (الخطوط الجوية العربية).

صعدنا الطائرة، ولم نجد أثراً للرئيس عبد السلام عارف أو المشير عبد الحكيم عامر.. وبعد نصف ساعة من الانتظار والقلق داخل الطائرة وصل الرئيس عارف ومعه المشير عامر وتعانقا عند سلم الطائرة ثم صعد عبد السلام عارف وكان في غاية الانزعاج. وقد صرخ في وجه الملحق الصحفي العراقي في القاهرة. الذي أراد أن يحصل من الرئيس على تصريح صحفي عن زيارته للقاهرة.

وتحركت الطائرة دون أن يعلم أحد من أعضاء الوفد الرسمي أو الوفد الصحفي شيئا عن الجهة التي تقصدها وبعد حوالي نصف ساعة من الطيران لاحظنا أن طيارا جاء من مقدمة الطائرة للسلام على رئيس الجمهورية وسمعنا أنه شقيق الرئيس جمال عبد الناصر. وقد اشاع ذلك الطمأنينة في قلوبنا لأنه من غير المعقول أن تبعث حكومة الجمهورية العربية المتحدة شقيق جمال عبد الناصر في طائرة قد تكون عرضة لخطر القصف.

وأخذت الطائرة تهبط شيئا فشيئا دون أن نعرف المكان وخلافا لما يحدث في عمليات الهبوط فقد هبطت الطائرة مباشرة على المدرج دون أن تحوم كما جرت عليه العادة فوق المطار الذي تنوي النزول فيه.

وكانت دهشتنا عظيمة عندما اتضحت لنا معالم مطار بغداد، ثم كبرت دهشتنا عندما رأينا بعض المسؤولين مصطفين للمشاركة في الاستقبال.

كان الرئيس عبد السلام محمد عارف- بعد عودته من الدار البيضاء إلى بغداد، أثرَ فشل انقلاب عارف عبد الرزاق- يعتقد أن للقاهرة يداً في هذا الموضوع- موضوع انقلاب عارف عبد الرزاق ويحكي أمين هويدي عن ذلك قائلا: "اتصلت بالرئيس عبد السلام عارف تلفونيا مساء يوم عودته وهنأته مرة أخرى بسلامة الوصول، وأخبرته وأنا أضحك، أنه قد آن لنا أن ننام الليلة، أذ عادت الطمأنينة للجميع في وجوده ليباشر سلطاته بحنكته المعهودة بعد ليالٍ صعبة لم نذق فيها للنوم طعما. إلا أنه ردد بطريقته الفريدة: "أن رجل القاهرة في الموضوع"!!

وتواعدنا على اللقاء في مكتبه بالقصر الجمهوري في اليوم التالي..

وفي يوم 22 أيلول 1965 تمت المقابلة وأثبت هنا للتاريخ- هكذا يقول أمين هويدي- ماتم في هذا اللقاء:

1- هنأته بفشل الانقلاب وبسلامة الوصول. وشرحت له في اختصار الموقف كما نراه.

2- وبدأت انصت إلى ما سيقوله الرئيس عارف في هدوء وصبر، وكان نص حديثه كالآتي:

(أ) عرف بخبر الانقلاب من مراسل الأهرام بنيويورك، إذ أنه كان أول من أذاع الخبر، وأكد أنه عميل أمريكي وعلم أيضا الخبر من الرئيس جمال في اليوم التالي [هذا غير حقيقي فأول من أخطره بشهادة كل من حضر مؤتمر القمة كان الرئيس جمال عبد الناصر].

(ب) ثبت لديهم أن الأمريكان وراء المؤامرة، وأن صبحي عبد الحميد هو وعبد الكريم فرحان كانا وراء عارف عبد الرزاق.

(جـ) هاجم الفئات القومية، وذكر أن القاهرة متورطة معهم، مدللا على ذلك بأنه عندما اتصل بي ليبلغني اسناده رئاسة الوزراء إلى عارف عبد الرزاق كنت حريصا على إشراك صبحي عبد الحميد في الوزارة وهذا يعني في نظره الشيء الكثير..

[الذي حدث أنني كنت أشير عليه بأن يجمع الفئات القومية في الوزارة ومن ضمن ما ذكرت صبحي عبد الحميد].

(د) كان يعلم أن عارف عبد الرزاق يدبر انقلابا فاسند إليه رئاسة الوزارة لابعاده عن القوات الجوية، وهي سلاح خطير في يده، ولدفعه إلى القيام بالانقلاب قبل أن تتضح ترتيباته، ولم يسافر إلى الدار البيضاء إلا بعد أن أجرى كافة استعداده لمواجهة الانقلاب المنتظر، وتساءل: ألم أكن اعلم بتدبيرات عارف عبد الرزاق؟ ألم أتناول معه طعام العشاء في منزل عبد الكريم فرحان؟!

(هـ) الذي أكد له حدوث الانقلاب كان أحدى السيدات، إذ زارته قبل سفره وقصت عليه حلما مزعجا بالنسبة له، إذ رأته يسبح في نهر دجلة، وظهرت عليه علامات التعب، بحيث أوشك على الغرق وفجأة رأت كوخا ينصب فوق الماء، وظهر أنه النبي عليه السلام!!!

[كان الرئيس عارف يؤمن بالاحلام، وقص عليَّ الكثير منها في المناسبات المختلفة].

(و) لما علم بخبر المؤامرة رأى في غفوة نوم أقرب إلى اليقظة كافة تفصيلات المؤامرة، وأملاها كما حدثت لمرافقه العميد زاهد قبل وصول أي تفصيلات عن الموضوع، وظهر أن ما أملاه كان مطابقاً لما كان يرد من معلومات. !!!

(ز) هاجم اتصالاتي بكافة الاتجاهات، وأن نشاطي أصبح أكبر من اللازم، وبالرغم من ذلك فانني لا أطلعه على نتيجة اتصالاتي، ثم أضاف: "اقفل بابك يا أمين"، وكرر ذلك أكثر من مرة بلهجة التهديد.

(ح) يتساءل العراقيون، وهو منهم، كيف قبلت القاهرة هؤلاء المتآمرين، ثم كيف تبقي عليهم عندها بعد كل ما حدث؟ إن لجنة التحقيق التي شكلها لبحث الموضوع ستطلب استدعاء هؤلاء لأخذ أقوالهم.

(ط) هاجم صحف القاهرة وإذاعتها، فهي لم تشجب المؤامرة بل التزمت الصمت ولم تعلق عليها.

[ونسي في غمرة غضبه أن القاهرة هي التي قامت بكل الترتيبات لتأمين عودته إلى بغداد].

ويختم السفير أمين هويدي حديثه قائلا: "وخرجت من عند الرجل، والشك يقتله، وقال لي أنه تعب من أهل العراق الذين قتلوا الحسين وأخذوا

يكون". ولم يقتصر شكه على القاهرة وحدها، بل فقد (أبو أحمد) الثقة في أقرب الناس إليه]!!

كلف الرئيس عبد السلام محمد عارف، عبد الرحمن البزاز نائب رئيس الوزراء في وزارة عارف عبد الرزاق ووزير الخارجية فيها وزير النفط وكالة بتشكيل وزارة جديدة في 21 أيلول 1965. فأصبح بذلك أول رئيس وزراء مدني يتولى هذا المنصب منذ القضاء على الحكم الملكي في العراق بعد ثورة تموز 1958.

خطا رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف ورئيس وزرائه عبد الرحمن البزاز- كما يقول مجيد خدوري في كتابة "العراق الجمهوري"- على ما يبدو خطوات بطيئة، ولكنها كانت ثابتة نحو إعادة الثقة إلى الناس وتدعيم نظام الحكم في البلاد.

***

كان عبد السلام محمد عارف- في البدء- من أشد المتحمسين للوحدة العربية، ومن أقوى المناصرين للرئيس العربي جمال عبد الناصر.

فقد كان يتابع باهتمام وجدية- قبيل ثورة تموز 1958- ما أحدثته ثورة يوليو 1952 في مصر من أعمال ومنجزات، وكان يبدي إعجابهُ الشديد بكل ما قامت به الثورة العربية في مصر.

وفي الأيام الأولى بعد ثورة تموز 1958 كان العقيد الركن عبد السلام محمد عارف يردد في خطبه الكثيرة اسم الرئيس جمال عبد الناصر، وينقل إلى الجماهير التي تستمع إليه تحيات الرئيس جمال عبد الناصر "وأن الوحدة بين الأقطار العربية آتية لاريب فيها..".

وبعد أن أصبح رئيساً للجمهورية، بعد ثورة رمضان 1382- كانت الأفكار القومية والوحدوية تشغل باله وتثير خواطره، واضعا إياها نصب عينيه..

وكان يقول في كل مناسبة "إننا نعتبر الجمهورية العربية المتحدة هي الوطن الأم.. وأن الرئيس جمال عبد الناصر هو أخونا الأكبر".

وعند توقيع اتفاقية الوحدة بين القاهرة وبغداد في 26 أيار 1964 قال عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية: "أنها من أسعد ساعات عمري". ثم أردف قائلا: "ثقوا أيها الأخوة أن أخاكم شعب العراق الذي كان دائما وأبدا شريككم في السراء والضراء يلح علينا ويريد أكثر من هذا. إنه يريد الوحدة الدستورية الكاملة. إن هذا الشعب القومي الوحدوي المؤمن الطيب إذ يلتقي بشقيقه شعب الجمهورية العربية المتحدة في هذه الخطوة المباركة إنما يتحد معه ضميراً وقلبا ويدا، ليكونا أقوى دعامة لتحقيق أمل الملايين العربية ويسيرا سيرا حثيثا متواصلا في طريق تحقيق الوحدة الشاملة إن شاء الله.

إن العراق شعب وحكومة على الطريق العربي السوي ومع الجمهورية العربية المتحدة دوما وابدا، نية وقولا وعملا. ويطيب لنا بهذه المناسبة المباركة أن نسجل شكرنا الجزيل نيابة عن الوفد وشعب العراق كله لشعب الجمهورية العربية المتحدة المجاهد وللأخ الرئيس جمال عبد الناصر شاكرين جميله الدائم وأخوته العربية الأصيلة على ما هيأ لنا وللعرب أجمعين من فرص للمشاركة مع شعب الجمهورية العربية المتحدة الشقيق في كل أمر مصيري سواء في أفراح السد العالي أو في الأمور الأخرى المرتبطة بحياتنا القومية الكبرى، إنه ولي التوفيق".

وكان الرئيس عبد السلام محمد عارف قبل ثلاثة أسابيع من توقيع اتفاقية الوحدة بين القاهرة وبغداد، قد أعلن في الرابع من شهر آذار 1964 الدستور المؤقت، الذي جاء فيه: "أن الشعب العراقي جزء من الأمة العربية، هدفه الوحدة

العربية الشاملة. وتلتزم الحكومة بالعمل على تحقيقها في أقرب وقت ممكن مبتدئة بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة".

وفي الكلمة التي القاها من الأذاعة والتلفزيون قبل إعلان الدستور المؤقت. قال الرئيس عبد السلام: "أنه لجدير بنا أن نشير إلى أن إعداد هذا الدستور قد أنجز بعد أمعان الفكر والنظر في الواقع التاريخي والجغرافي والحضاري لشعبنا. وبعد التدقيق الوثيق في مختلف ظروفه وعوامل وجوده القومي ماضيا وحاضرا ومستقبلا فجاء النص في مستهله على الديمقراطية والاشتراكية المستمدين من التراث العربي الإسلامي، وكذلك النص على تثبيت رابطة العراق بالأمة العربية والرسالة الإسلامية التي اعتبرت قاعدة أساسية للدستور.

ولما كان منطق الواقع والتاريخ يقر حتمية الهدف في الوحدة الشاملة بمؤازرة الوحدة الوطنية الكاملة. ولما كان الدستور مصدر التوجيه لكل جهد حكومي وشعبي، لذلك فقد استوجب التمهيد لتحقيق ذلك بالبدء في تقارب دستوري مع الدول العربية والبدء بالذات مع الجمهورية العربية المتحدة حيث بلغ التقارب حد التماثل في بعض نصوص الدستورين، كسبيل لاتحاد دستوري قادم.

ثم قال: "إن في دستوركم قوة لكم ولابناء الأمة العربية وهو في مضامينه قوي الشبه بدستور العربية المتحدة وسوف يكون هذا التقارب سبيلا لوحدة عربية شاملة، البدء فيه سيكون مع العربية المتحدة، وإن مصافحة بغداد للقاهرة قوة يطير صواب الاستعمار منها ويجن جنونه ويتخبط هو وأعوانه فينفثون السموم، ويشيعون الأشاعات ليفرقوا الصفوف، غير أننا لا نأبه بهم. وإننا نقول لهم أننا نؤيد كل قول يقوله الأخ الرئيس جمال عبد الناصر. وأننا نناصره في كل دفاع يقف به ضد الاستعمار.. إننا نؤيد جمال عبد الناصر في حربه على الشعوبية الحاقدة التي تحقد على العرب والاسلام..".

وختم الرئيس عبد السلام محمد عارف كلمته قائلا: "اللهم أشهد أننا وحدويون، نؤمن بالوحدة التي تعز العرب. وتقوي شوكتهم، وتطمئن في ظلالها أمتهم".

يروي محمد حسنين هيكل في كتابه "عبد الناصر والعالم": "أن الرئيس عبد السلام عارف كان بين ضيوف حفلة عملية تحويل مجرى النيل في 14 مايس 1964، والواقع أنه كان من المقرر أن يكون عارف إلى جانب عبد الناصر وخروشوف من خطباء الاحتفال. وقبل أسبوعين فقط من لقائه وخروشوف كانت أحدى المحاكم العراقية قد حاكمت اثنين من الشيوعين العراقيين وقضت بأعدامهما ونفذ الحكم فيهما شنقا.

وفي أسوان بدت المصالحة بين خروشوف وعبد الناصر تامة. فقد قدم الزعيم الروسي إلى الرئيس وسام لينين من لقب "بطل الاتحاد السوفيتي".

أما بالنسبة إلى عارف فأن الأمر كان مختلفا.. فقد لقى خروشوف استقبالا حماسياً من الجماهير في أسوان، إلا أنه القى خطابا طويلاً جرت ترجمته فقرة فقرة.

وعندما خطب عارف واستشهد بآيات القرآن الكريم- فقد كان رجلا متدينا- وكانت الجماهير تتجاوب بالتهليل كلما تلا آية قرآنية. ولم يستطع خروشوف أن يفهم الدافع إلى ذلك التهليل الجامح وبخاصة إذا كان موجها إلى شخص شنق الشيوعيين.

ووضح جليا أنه أنزعج من الاستقبال الذي لقيه عارف. وفي السيارة التي اقلته إلى فندق كاتاراكت، التفت إلى عبد الناصر قائلا:

"يا صديقي الرئيس عبد الناصر، إلى متى ستفرض عليَّ صحبة هذه العنزة؟"

فتساءل الرئيس: "أي عنزة؟".

وهنا هتف خروشوف: "عارف. عارف. عارف"، وأمسك بنسخة من جريدة تحمل صورة عارف وسأل:

"ألا يشبه العنزة؟".

وبعد الانتهاء الفعلي من تحويل مياه النيل، وكان مشهدا مهيبا عميق التأثير في النفوس، تقرر ترتيب يوم راحة لأن خروشوف كان متضايقا من وطأة الحر. كان اليخت "الحرية" قد أبحر إلى "برنيس" على البحر الأحمر وركبنا الطائرة إلى هناك لتمضية يوم في صيد السمك لأن خروشوف كان راغبا في الصيد في البحر الأحمر.

وكان معنا بن بيللا وعارف. وكان العمل قد بدأ في تجهيز القوارب لأولئك الذين يريدون الصيد، كنا في انتظارها على سطح اليخت راح عارف يتحدث إلى خروشوف معبرا عن أعجابه الكبير بالاتحاد السوفيتي.

فصدمه خروشوف فوراً وبحدة قائلا:

"لا نستطيع أن نصادق أولئك الذين يشنقون الشيوعين".

وصعق عبد السلام عارف واسقط في يد المضيف الرئيس عبد الناصر وأحرج. ولم يفه الأثنان بكلمة. لكن بن بيللا الذي كان الروس يشيدون به كبطل الثورة الجزائرية التفت إلى خروشوف يرد عليه مدافعا عن القومية العربية قائلا: أنه- أي خروشوف- لايعرف ما فيه الكفاية عن الوحدة العربية أو العرب.

ومضى بن بيللا يوضح دعواه حتى قال له خروشوف:

"يجب أن أقر بأنني لا أفهمك. ذلك أن هناك وحدة واحدة هي وحدة الطبقة العاملة".

وعندئذ اشترك عبد الناصر في الحديث قائلا:

"ها أنت تعيدنا إلى ساحة الخصومات القديمة. وبصفتي مضيفا لم أشأ أن أشترك في هذه المناقشة وكنت سعيدا بتركها لك ولبن بيللا ولكن يجب أن أشترك فيها الان.

"تقول أن هناك وحدة واحدة هي وحدة الطبقة العاملة. أذن كيف تستطيع أن تفسر حقيقة التخاصم الحالي بين الاتحاد السوفيتي والصين، وهما الدولتان اللتان تحكم فيهما الطبقة العاملة؟

"هل تذكر، كيف حدثتني عن الحرب (العالمية الثانية). أنك تسميها الحرب الوطنية العظمى. فلماذا؟ لماذا لا تسميها الحرب الأيديولوجية العظمى؟ أعتقد- بالحكم والأستناد إلى ما قلته لي- أن السبب هو أن الحرب كانت أكبر من الحزب.

"لقد كانت الوطنية هي التي تصدت لتحدي هتلر وجابهته. هل تذكر ما قلته لي قبل ثلاثة أيام؟ قلت لي: أن ستالين فوجيء عندما غزا النازيون روسيا وأنه اقفل على نفسه باب غرفته في الكرملين وأخذ يشرب بصورة متواصلة ولم يتسلم أية تقارير عن الحرب ومن ثم عقد اجتماعا للمكتب السياسي قال فيه: "أيها الرفاق. أن الدولة التي بناها لينين تسير إلى نهايتها".

"أعتقد أن هذا الكلام كان تصريحا بالهزيمة من جانب الحزب. ولكن الشعوب السوفيتية ذاتها هبت وحولت الهزيمة إلى حرب وطنية عظمى.

"أما وأنك تقول لنا أنه لا يمكننا مهاجمة الشيوعيين، فكيف تهاجم أنت ستالين؟ أننا نهاجم الشيوعيين الأشرار، وستالين مثال ساطع على الشيوعي الرديء".

واستبد الغضب المطبق بخروشوف وصاح:

"استطيع أنا أن أهاجم ستالين لكنكم لا تستطيعون مهاجمته. فليس لكم الحق في مهاجمته".

واستمرت هذه المحاورة الحامية الحادة من الساعة الثامنة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر.

كانت قوارب الصيد في الانتظار، ولكن عندما انتهى النقاش كان وقت اصطياد أي سمكة قد فات.

على أنه في نهاية تلك الساعات الطويلة الحارة من التصارع ظهر أخيراً على خروشوف أنه بدأ يتفهم الموقف العربي.

وتضمن البلاغ المشترك الصادر في نهاية الزيارة: إشادة خاصة بالوحدة العربية، ومنذ ذلك الحين صارت البلاغات عن نتائج اجتماعات الدول العربية مع السوفيت تذكر الوحدة العربية.

ويروي لنا صبحي عبد الحميد- وزير خارجية العراق الذي رافق الرئيس عبد السلام محمد عارف إلى أسوان. وتجول مع الرؤساء العرب وخروشوف في البحر الأحمر على ظهر الباخرة، أن خروشوف كان يحمل فكرة خاطئة عن العراق وعن القضية الكردية، وبعد أن شرح له الرئيس عبد السلام عارف تطورات الوضع في العراق منذ 14 تموز 1958 ونشوء وتطور القضية الكردية بدأ عليه أنه اقتنع نوعا ما بوجهة النظر العراقية".

واجتمع صبحي عبد الحميد وزير خارجية العراق وكروميكو وزير الخارجية السوفيتي على ظهر الباخرة "سوريا"- بعد ذلك- لمدة ساعة ونصف ناقشا تطور العلاقات بين البلدين منذ عام 1958 حتى ذلك الوقت.

ولقد شرح الوزير العراقي الأوضاع الداخلية التي حدثت منذ ذلك الوقت وأعمال العنف والاضطهاد الذي مارسها الحزب الشيوعي العراقي ضد

المواطنين، كما شرح تفاصيل مجازر الموصل وكركوك والحوادث الأخرى التي حدثت في بغداد والبصرة وباقي المدن.

ثم شرح وزير الخارجية العراقي سياسة العراق الخارجية التي تستند على الحياد الايجابي وعدم الانحياز ومحاربة الاستعمار وشجب التمييز العنصري والابتعاد عن الأحلاف العسكرية ومساعدة الدول المكافحة من أجل استقلالها وشجب استخدام الطاقة النووية للأغراض الحربية ومدّ يد الصداقة مع كافة الشعوب المحبة للسلام...

ثم تطرق بعد ذلك إلى علاقات البلدين الاقتصادية وضرورة تطويرها وتنسيقها وإكمال المشاريع التي بدأ بها سابقا.

تكلم المستر كرُوميكو وزير الخارجية السوفيتي عن البرود الذي ساد العلاقات بعد الرابع عشر من رمضان، وعن السياسة الخارجية، وعن موقف بلاده من العراق. ثم تكلم عن الاتفاقيات الاقتصادية والتعاون في باقي المجالات وقال: "أننا من حيث المبدأ نوافق على تحسين وتطوير العلاقات، ومع ذلك أنني سانقل كلامكم إلى مستر خروشوف".

وفي ضحى يوم 18 مايس 1964 عقد اجتماع بين الرئيس عبد السلام محمد عارف والمستر خروشوف في "قصر القبة" في القاهرة، وقد استمر لمدة ساعتين.

افتتح الرئيس عبد السلام الاجتماع فتكلم عن سياسة العراق الخارجية المتحررة التي تستند على الحياد وعدم الانحياز والتي تتسمك بمباديء التعايش السلمي ومحاربة الاستعمار ثم شرح سياسة العراق الاقتصادية التي تستند على التخطيط الاشتراكي العربي.

ثم شرح الأوضاع التي مرَّ بها العراق منذ 14 تموز وكيف سرق عبد

الكريم قاسم هذه الثورة وانحرف بها عن طريقها العربي الاشتراكي التحرري وكيف كافح الشعب لازالة حكمه الدكتاتوري الفردي وكيف قامت ثورة 14 رمضان التي جاءت لتصحيح إنحراف قاسم. ثم تطرق إلى ضرورة تنمية العلاقات الاقتصادية والتعاون بين البلدين وقال أننا نرغب في:

1- زيادة التبادل التجاري بين البلدين.

2- الاستمرار بتجهيز الجيش العراقي بالاسلحة الروسية وسنرسل لهذا الغرض وفداً عسكرياً لعقد اتفاقية تسليح جديدة.

3- ضرورة عقد اتفاقيات اقتصادية وصناعية بين البلدين وتنسيق الاتفاقيات السابقة.

4- تمويل الاتحاد السوفياتي لمشروع سد اسكي موصل على دجلة ومشروع سد الفرات الذي تبلغ تكاليف كل منهما حوالي (60) مليون دينار.

ثم تكلم خروشوف فقال:

"إن سياستنا مبنية على تأييد وحفظ العلاقات الودية مع جميع البلدان ولدينا علاقات طيبة مع سائر بلدان العالم بالرغم من اختلاف أنظمتها مع نظامنا.

إننا نعتبر قضايا النظام داخلية ولا نرغب في التدخل فيها، أما مسائل حفظ السلام في العالم فهي قضايا دولية لذلك سياستنا الخارجية متجهة إلى التعايش السلمي مع كافة الأنظمة.

لدينا وجهة نظر تجاه الأنظمة المختلفة وهذا لا يمكن أن يؤثر على العلاقات الدولية. إننا نسير على هذا الاتجاه حتى مع البلدان التي لا نرحب بأنظمة الحكم فيها.

العلاقات بيننا وبينكم كانت في زمن قاسم جيدة ثم تغيرت بعد ذلك إلا أنها لم تؤثر على الاتفاقات التي كانت معقودة بيننا إذ حرصنا على استمرارها.

إن سياسة قاسم كانت في الأيام الأخيرة من حكمه غير مصقولة. ساءت العلاقات بيننا كثيراً بعد ثورة 14 رمضان وهاجمناكم في صحفنا لأنه كان ليس بمقدورنا السكوت عن جرائم القتل التي ارتكبت في بلادكم.

إننا لا نزال نرقب أعمالكم وسياستكم بعد انقلابكم الأخير في 18 تشرين ثاني ومن الصعب أن نتكهن الآن كيف سيؤثر هذا الانقلاب على سياستكم الداخلية.

أما التعاون معكم فأنه سيسير بصورة جيدة وأننا نرحب بكلامكم عن تحسين العلاقات وسنعمل من جانبنا على تحسينها.

أما بخصوص التعاون الاقتصادي فقد كان لدينا معكم اتفاق كبير ثم تأخر بعد 14 رمضان، والآن لما كان في نيتكم الاستمرار بالتعاون الاقتصادي فإننا مستعدون للتعاون على قدم المساواة في كافة النواحي لأنه مفيد للبلدين.

بخصوص السدين على دجلة والفرات إننا مستعدون لدراسة الموضوع إذا قدمتم طلبا بذلك.

إن رأيي كصديق أنصح أن تسلكوا في سياستكم الداخلية الحكمة والذكاء إننا لا نريد التدخل في شؤونكم الداخلية إلا أن لدينا وجهة نظر نريد أن نقولها لكم لأن سياسة البلد الداخلية هي التي تجعلنا نقول أن سياسة هذا البلد تقدمية أم لا.

إن مشاكل العراق الداخلية غير محلولة وتثير قلقا معينا مسألة الأكراد مثلا فكم يكون جميلاً أن تحل بطريق سلمي وهذا يوطد دولتكم ويقوي مركزكم الدولي ويعزز تعاونكم مع جميع البلدان التي تتطور باتجاه تقدمي.

إن التعاون العسكري في مجال التسليح والخبراء سيستمر معكم وإننا سنقدم معونة عسكرية لكم بموجب الاتفاقية الخاصة.

إننا نؤيد نضالكم ضد الاستعمار ونؤيد سياستكم الخارجية التي شرحتموها لنا.

إن البلدان المتحررة ستتطور إذا واصلت نضالها من أجل تعزيز استقلالها".

وبعد ذلك تبودلت عبارات المجاملة وانتهى الاجتماع بنجاح تام.

**

في عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف- أي منذ تسنمه رئاسة الجمهورية في شباط 1963 حتى مصرعه في نيسان 1966 شكلت الوزارات التالية:

كانت الأولى برئاسة أحمد حسن البكر، وقد تألفت من خليط من البعثيين وغير البعثيين، مع أن رئيس الوزراء وهو ضابط متقاعد، كان نفسه بعثيا منذ سنة 1959 ولكن جميع أعضاء الوزارة الذين عينهم مجلس قيادة الثورة كانوا ممن رشحهم قادة حزب البعث العربي الاشتراكي.

وتألفت هذه الوزارة في معظمها- شأنها في ذلك شأن مجلس قيادة الثورة، من شبان مدنيين وعسكريين واستمرت هذه الوزارة في الحكم حتى يوم 18 تشرين الثاني 1963، حينما أعلن الرئيس عبد السلام محمد عارف في بيان له أذاعه في هذا اليوم تغيير الحكومة وإحلال نظام جديد بقيادته محل نظام الحكم السابق.

وفي 20 تشرين الثاني 1963 كلف الرئيس عبد السلام محمد عارف، الفريق طاهر يحيى، رئيس أركان الجيش تشكيل حكومة جديدة. واختار طاهر يحيى مع عبد السلام محمد عارف أعضاء وزارته من قوميين، وكان ثمانية من الوزراء، بينهم رئيس الوزراء، ضباطا في الجيش، وأصبحت السلطة في أيدي

العسكريين، واختفت الأحزاب السياسية برمتها، وتعرض حزب البعث للقمع واعتقل كبار أعضائه.

وقد جرى تعديل على هذه الوزارة في 31 كانون الثاني 1964 في بعض المناصب الوزارية وفي الأول من آذار 1964 أعفي زعيم الجو الركن جردان عبد الغفار التكريتي من منصبه كوزير للدفاع، وتولى الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء المنصب بالوكالة.

وفي 27 آذار 1964 حل عبد الغني الراوي محل عارف عبد الرزاق كوزير للزراعة، وأصبح زعيم الجو الركن عارف عبد الرزاق قائدا للقوة الجوية.

وفي 18 حزيران 1964 شكل الفريق طاهر يحيى وزارة جديدة أحدث فيها بعض التغييرات الجذرية على وزارته (الأولى)- أي بعد شهر واحد من توقيع اتفاق الوحدة الانتقالي، ودخل الوزارة على أثره عدد من الناصريين بغية تعزيز العلاقات بين العراق والجمهورية العربية المتحدة. وزادت حدة المعارضة لقرارات التأميم، كما زادت موجة النقد الموجهة للحكومة، مما أرغمها على الاستقالة في 14 تشرين الثاني 1964.

عاد الرئيس عبد السلام محمد عارف ليكلف مرة أخرى الفريق طاهر يحيى بتشكيل حكومة جديدة.

وأعلن الفريق طاهر يحيى في نهاية شهر كانون الثاني 1965 الغاء الأحكام العرفية والمحاكم العسكرية التي ظلت قائمة منذ ثورة تموز 1958. وفي أوائل شباط 1965 وبمناسبة عيد الفطر أفرج عن المعتقلين السياسيين.

وفي محاولة من الرئيس عبد السلام محمد عارف للحد من التكتلات في الجيش، وإنشاء نظام حكم مدني- كما يقول مجيد خدوري، أوضح ذلك في كتاب التكليف الذي وجهه إلى الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء والذي ضمنه

خمس نقط، بدأ تثبيت سلطته الشخصية، والحد من نفوذ الضباط المتنافسين. وقاومت تلك المجموعة من الضباط المعروفين بالناصريين، رغبة عبد السلام في السيطرة على الجيش بحجة أنه يكثر من الحديث عن الوحدة العربية، دون أن يعمل لها بإيمان الواثق بها. وتغيرت نظرتهم إلى عبد السلام. فأصبح في نظرهم ضابطا مغامرا، يسعى لتثبيت حكمه الشخصي. وكان عبد السلام بالأضافة إلى ما تقدم يتدخل في المسائل الإدارية فيصدر الأوامر مباشرة إلى موظفين في الوزارات، متجاوزا بذلك الوزراء. كما حاول الحد من نفوذ الوزراء، بأن عين ضباطا موالين في مراكز رئيسية، ونقل الناصريين إلى مراكز أقل مسؤولية. ورأى العقيد الركن صبحي عبد الحميد والزعيم الركن عبد الكريم فرحان في مسلك عبد السلام ما يكشف عن رغبته في محاكاة عبد الكريم قاسم، الذي نفر منه الجميع. وتفاقمت الأمور خلال مفاوضات النفط مع شركة نفط العراق التي كانت قد وصلت إلى مرحلة اتفاق تام تقريبا والتي اعترض عليها الناصريون.

وكانت الخلافات بين الرئيس عبد السلام محمد عارف والضباط القوميين في الوزارة قد بلغت ذروتها لأسباب شخصية وعقائدية، حين أقدم هؤلاء في العاشر من تموز 1965 على الاستقالة. وكان بوسع الفريق طاهر يحيى، الذي كانت سمعته قد تدهورت لدى الرأي العام، أن يستعيد هذه السمعة، لو أنه استقال في تلك اللحظة المؤاتية، غير أن عبد السلام أقنعه بالبقاء، وحل محل الوزراء المستقلين ستة وزراء ممن اشتهروا بتأييدهم للرئيس عبد السلام محمد عارف.

وفي 3 أيلول 1965 أضطر الفريق طاهر يحيى إلى تقديم استقالته، بعد أن بات واضحا أن العلاقات بين رئيس الجمهورية وبين رئيس الوزراء لم تعد ودية.

ويمكن القول أن مناورة الرئيس عبد السلام محمد عارف في تنحية رئيس وزرائه الفريق طاهر يحيى وتعيين عارف عبد الرزاق خلفا له، كانت قد احزنت الناصريين وبعثت الأسى في نفوسهم. ويعتبر هذا التبديل الوزاري أول تبديل سلمي منذ ثورة تموز 1958!

وفي 6 أيلول 1965 شكل زعيم الجو الركن عارف عبد الرزاق حكومة جديدة. وكان معظم وزراء الحكومة الجديدة ممن سماهم الرئيس عبد السلام محمد عارف وأصر على إشراكهم.

وحاول رئيس الوزراء عارف عبد الرزاق الإطاحة برئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف. بعد عشرة أيام من استيزاره، غير أنه فشل وخابت محاولته- كما مرّ بنا سابقا.

وفي 21 أيلول 1965 كلف الرئيس عبد السلام محمد عارف، عبد الرحمن البزاز بتشكيل حكومة جديدة.

أفضى عبد الرحمن البزاز قبل أن يعرض برنامجه على الشعب، بعدة تصريحات في الصحف ومن على شاشة التلفزيون، حاول عبرها إعادة الثقة إلى نفوس الناس، بأن وعد بأنه لن تجري اعتقالات أو تمارس عمليات أبعاد ضد أبناء الأمة، وأن حرية التعبير عن الأراء السياسية ستكون مضمونة، وطلب إلى الناس كذلك أن يمارسوا حق الانتقاد.

أما في الشؤون الداخلية فقد شددت حكومة البزاز على الاستقرار وحكم القانون، وقال في أحد مؤتمراته الصحفية: "لقد تعبنا من الثورات والأنقلابات العسكرية، وآن للبلاد أن تعود إلى الحياة العادية".

وكان الاقتتال في شمال العراق من أهم المسائل التي أولتها حكومة البزاز

عنايتها. وقد تمكن عبد الرحمن البزاز إنهاء الاقتتال مع المتمردين من الأكراد، ووضع مشروع تسوية.

لقد حاولت حكومة البزاز- بتوجيه من الرئيس عبد السلام، إيجاد توازن بين الاشتراكية والنظام الاقتصادي الحر، فأصبح في العراق اقتصاد مختلط، ليس فقط من حيث وجود قطاع خاص وقطاع عام، بل من حيث وجود قطاع مشترك، تستثمر فيه رؤوس الأموال العامة والخاصة.

خطا رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء- على ما يبدو- خطوات بطيئة، ولكنها كانت ثابتة نحو إعادة الثقة إلى الناس وتدعيم نظام الحكم في البلاد، غير أن هذه الخطوات لم تستمر طويلاً، ففي مساء يوم الأربعاء 13 نيسان 1966 صرع رئيس الجمهورية، في حادث الطائرة وبقي عبد الرحمن البزاز يمارس صلاحيته رئيساً للوزراء وفقا لأحكام المادة (56) من الدستور المؤقت؛ ريثما يتم انتخاب رئيس جمهورية حتى كلفه الرئيس عبد الرحمن محمد عارف من جديد بتشكيل حكومة بتاريخ 18 نيسان 1966.

**

لقد تضاربت الأراء في تقويم شخصية عبد السلام محمد عارف ومسيرة حكمة..

فمنها من رأت فيه الشجاعة والاقدام، وعدم مهابته الأخطار ونتائجها!

ومنها من اعتبرت شجاعته ضرباً من التهور وعدم الحكمة!

ومنها من جسدت فيه القومية والوحدة وآمال الأمة العربية!

ومنها من اعتبرته قد انقلب في أواخر عهده على الوحدة ودعاتها!

ومنها من اعتبرته قد سرق الثورة من الآخرين، واستأثر بالسلطة لوحده!

ومنها من وصفته بالسذاجة وقصر النظر.!

ومنها من قومته بغير هذا، أو ذاك.!

ومن خلال الأراء- الايجابية والسلبية- التي سنستمع إليها- من المؤيدين والمعارضين، سنرى صورة عبد السلام محمد عارف من جميع زواياها، واضحة جلية!

قال الزعيم (العميد) فؤاد عارف- في شهادته في المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة المهداوي) عندما وقف عبد السلام محمد عارف متهما امامها: "هذا الرجل- أي عبد السلام- لم أكن أعرفه سابقا، بل كنت أعرفه ضابطا من ضباط الجيش، عندما تعين آمراً للفوج الثالث لواء التاسع عشر، وتعرفون بأن الزعيم كريم كان صديقي ولا يزال وأنا احترمه وهو زعيمي في نفس الوقت، فرأيته بأنه يميل إلى العقيد عبد السلام، بينما أنا كنت لا أعرفه معرفة قوية بل كبقية الضباط، وكان يثق به ويعتمد عليه، ولم أكن أعتقد بأنه يحب ضابطاً كحبه لعبد السلام، وأني استغربت هذا الخلاف الذي حصل، حتى أنه في اليوم الثاني من أيام الثورة قلت لهم بأن الاستعمار يريد التفريق بينكم، فيجب أن تكونوا قلباً واحداً في جسمين].

وقال الزعيم الركن محي الدين عبد الحميد، عضو اللجنة العليا للضباط الأحرار، عن عبد السلام محمد عارف: "إن رأيي في خطب عبد السلام أنها كانت خطباً إرتجالية وغير مبنية على سند- أنا أعتقد أن الضباط كانوا يشعرون أنها خطب ارتجالية، يمين ويسار واتجاهات متناقضة. ولا أعرف ماذا يقصد (أن الجمهورية اشتراكية، وطنية، الاهية، خاكية..) أن في البلد اناساً عقلاء، فهذه كلمات لها وزنها وبصفته كنائب رئيس الوزراء وزير الداخلية، كنا نشعر أنه كل كلمة تحلل وتفسر من قبل الناس العقلاء والمثقفين في البلد، فهي كانت متضاربة متناقضة].

وقال العقيد الركن عبد الوهاب أمين، عضو اللجنة العليا للضباط الأحرار، رأيه في العقيد الركن عبد السلام محمد عارف عند قبوله عضواً في اللجنة العليا، أن أعضاء اللجنة طلبوا أن يبقى عبد السلام محمد عارف تحت التجربة لمدة كافية حتى تتم الدراسات التفصيلية عنه قبل التحاقه بهم، بالنظر لعدم الأطمئنان على ما يظهر، وقد بقي العقيد عبد السلام على ما أتذكر حوالي ستة أشهر أو قد يكون أكثر من ذلك تحت التجربة.

ومرة سمعت- عندما كنت ملحقا عسكريا في السفارة العراقية بالقاهرة- من السفير فائق السامرائي، أن العقيد عبد السلام قال في الاجتماع الذي عقده مع الرئيس العربي جمال عبد الناصر في دمشق، بعد بضعة أيام من الثورة، وعلى مائدة الغداء عن قضية تخص بعض الأشخاص السياسيين العراقيين بلهجة شديدة فيها شيء من الخشونة والكبرياء (عنتكة- كما نسميها في العراق). فاشمأز من ذلك جمال عبد الناصر. ووصفه على حد تعبير فائق السامرائي- بأنه طفل!

وعلى ما ذكر لي أن الرئيس جمال عبد الناصر تطرق لبعض السياسيين للعهد السابق البائد فقاطعه في الحديث العقيد عبد السلام أثناء ما كان يتناول الطعام ورمى السكين والملعقة من يده بحدة على منضدة الطعام وقال له: "هل تريد أن أقتله بطلقة بعشرين فلس" بلهجة شديدة وبوضع حسبما عرفته لايليق بالجلسة التي كانوا فيها].

وقال العقيد وصفي طاهر- الذي كان مرافقاً لنوري السعيد قبل الثورة ومرافقاً أقدم للزعيم عبد الكريم قاسم بعد الثورة- عن عبد السلام محمد عارف: أنه كان يتشكك فيه دائما، وهناك حوادث معينة كان قد ارتكبها عبد السلام عندما كان آمراً لإحدى الفصائل في الكلية العسكرية، منها تبديله دفاتر امتحان لأحد التلاميذ، وأن شخصاً هذا سلوكه لا يمكن أن يوثق به أو يعتمد

عليه. ومنها عندما كان طالبا في الكلية العسكرية في ضمن الدورة التي كنا نحن زملاء فيها لم يكن سلوكه أو سمعته تشجع على أن يثق به أحد، لأنه مشهور بالأنانية وحب الذات، ولا يعرف إلا نفسه، ولا يعرف أية مصلحة].

وقال علي حيدر سليمان- سفير العراق في بون- عن عبد السلام محمد عارف عندما رافقه في (بون) بالمانية الاتحادية: أني لاحظته أنه ضعيف باللغة الإنكليزية. ومن جملة الأشياء التي كنا نتكلم بها خلال سفرتنا، قلت له: أنت أصبحت الأن تريد الدخول في ميدان الحياة السياسية وتكون رجل دولة وفي رأيي مدة سنتين أو ثلاث سنوات في الاشتغال بالسلك الدبلوماسي يكون فيه فائدة كبيرة لك شخصيا.. أنك تتطلع على التنظيم الصناعي والتنظيم الاقتصادي في الخارج وتتصل برجال السياسة ورجال السلك الدبلوماسي وتحتك بالحضارة الغربية، ويصبح لك معلومات يمكنك اكتسابها، معلومات كثيرة يمكنك بالمستقبل إذا كنت تريد أن تكون رجل دولة تفيدك كثيراً، وأنت لا تزال في سن الشباب، هذه هي الأشياء التي كنت أقولها له، أما هو في ذهنه كان يريد الرجوع لعدم كفاءته، أو لأن له غايات أخرى لا أقدر أن أحكم بها، ولكن الشيء الذي أعرفه أن لغته لاتساعد أن يقوم بواجباته كما يجب].

وقال الزعيم الركن خليل سعيد- أحد قادة الفرق- عن عبد السلام محمد عارف: ظهر من الأيام الأولى للثورة بأنه يبغي المصلحة الشخصية مع الأسف. وعندما حضر بعد ما يقارب الشهرين إلى بعقوبة، وجدت أن من اللياقة أن نستقبله استقبالاً يتناسب ورسول الثورة، متناسيا كل الأمور الشخصية التي قابلني بها آنذاك. وفي ذلك اليوم وعلى ما أذكر 10 أيلول 1958 وكنت آمل أني ساجده وقد خبرته الأيام قد أصبح رجل دولة. ولكني وجدته مع الأسف الشديد لايزال بنفس العقلية السابقة، فقد كان خطابه في ملعب الإدارة المحلية خطابا يميل يمينا ويساراً حسب الأهواء وحسب النداءات. وبعد خروجنا من

الملعب وهتاف بعض الجماهير بالاتحاد الفدرالي في داخل البلدة، كان يتكلم بكلمات بذيئة رغم وجود بعض المرافقين وصغار الضباط وضباط الصف بنفس السيارة لأنها مكشوفة من نوع لاندروفر. كان يتكلم بكلمات مبتذلة غير لائقة].

وقال العقيد عادل جلال- أحد الضباط المنفذين صبيحة يوم 14 تموز 1958، والذي عين بعد ذلك قائم مقام لمدينة زاخو في شمال العراق- عن عبد السلام محمد عارف: أنه كان يخطب في الأيام الأولى للثورة بلا معنى، ومرة في مدينة الموصل قال: (لا فرق بين باب لكش وباب البيض). ومن هذا الكلام كان الناس يتذمرون].

وقال الرئيس الأول الركن سليم الفخري- الذي عينه مسؤولا عن الإذاعة والتلفزيون في الأيام الأولى للثورة- عن عبد السلام محمد عارف: "عرفته من مدة طويلة، عرفته عندما كنا في البصرة، وعشت لمدة سنتين معه في بيت واحد ثم التقيت معه بالكلية العسكرية. كنا أمراء فصائل، وعرفته بعد ذلك في مناسبات أخرى، وكنا أصدقاء، فكنا في البصرة نعمل من أجل هذا البلد، وحتى كانت عندنا منظمة سرية وزعت المناشير في وقتها. وعرفت فيه مواطناً شريفاً مخلصاً، ولكن مع الأسف يظهر أنه بعد ذلك انساق لسبب لا أعرفه ولا أستطيع الجزم فيه وراء الاتجاهات الفارغة التي تبعد الإنسان عن الاتجاه الصحيح.

وكانت الخطب التي يلقيها عبد السلام، لم يكن بها فكرة معينة، فتجده يوماً يهاجم الأقطاعيين، واليوم الآخر يهاجم الاستعمار، ويوماً يهاجم الغرب، ويوماً يهاجم الشرق- شعارات لا أتذكر بالضبط وأشياء من هذا القبيل، يعني خطب عجيبة غريبة. فأنا آزرته، من قبيل الأخلاص، فقد كنت أشعر في ذلك الوقت أن واجب كل مواطن قريب منه ويستطيع الوصول إليه أن ينصحه، لأني كنت أشعر أن هذا العمل غير لائق في جمهورية تريد السير إلى الأمام وشق طريق نحو هدف معين. وكان يقول لي أنه أنا صحيح هذه تسرعت وأخطأت بها،

ولكن في المرة الثانية سوف لا تتكرر مطلقا، ولكن عند حدوث السفرة الثانية القى خطابا اسوأ من سابقه، مع الأسف.

ويستطرد سليم الفخري في إبداء رأيه بعبد السلام محمد عارف، فيقول: مرة جاءني في الأذاعة المذيع ناظم جواد بورقة مكتوب فيها "أن فاتح بغداد ومحررها ومنقذها البطل عبد السلام محمد عارف، قلت له أن الذي يفتح بغداد لا يمكن أن يكون من أبنائها. إن عبد السلام هو ابن بغداد، ولا يمكن أن يكون فاتح بغداد، وإنما يكون من المساهمين في تحريرها. نستطيع أن نقبل هذا ونعتز به، أما أن يأتي شخص عراقي ابن هذا البلد، ويقول أنا فتحت مدينة من مدنه. هذا لا يمكن أن يكون مواطنا صالحا، إذا كان يأتي بهذه العقلية، حتى ولو كان هو المحرر]."

ويقول الفريق علاء الدين الجنابي أن عبد الكريم قاسم استغل عبد السلام عارف لتنفيذ الثورة، عبد السلام أهوج، عبد السلام أرعن، وفكره السياسي هزيل، ولكنه مندفع جريء جداً، يرمى نفسه إلى الموت، إنه مغامر، نعم أن هذا أحسن تعبير. قال لي جاسم العزاوي، وهو سكرتير عبد الكريم قاسم، بعد فترة من قيام الثورة: "أرجو أن تنبه فؤاد الركابي بأن عبد السلام عارف لاقومي ولا وحدوي. عبد السلام عارف يريد أن يركب الموجة القومية الوحدوية وراح يستغل حزب البعث العربي الاشتراكي، وبعدين بضربه، فتنبهوا من ذلك".

وقد نقلت هذا الكلام حرفيا إلى المرحوم فؤاد الركابي في وقته. المهم بالتأكيد كان جاسم العزاوي يعرف عبد السلام أكثر مما أعرفه، وأن سير الأحداث أكدت صحة هذا القول من تصرفات عبد السلام في تشرين سنة 1963، فإنَّ عبد السلام عارف ما كان أبداً وحدوياً ولا قومياً، وضربه للتيار القومي الوحدوي في العراق سنة 1963 بعد أن قام بالردة على ثورة رمضان، مستغلا ظروفاً معينة مرت بالبلاد أوحى للعديد من الضباط القوميين

الوحدويين بأنه وحدوي قومي وناصري. وبعد ذلك، عندما استتبت لـه الأمـور وتربع على كرسي الحكم وحده، بدأ يصفي التيار القومي الناصـري الوحـدوي في العراق. ولا نريد أن نعيد التاريخ ونذكر الحركات والانقلابات الـتي قـام بهـا التيار الناصري. إذن عبد السلام لم يكن وحدوياً ولا قوميـاً ولا ناصـرياً. وإنـني أؤيد أن عبد السلام عارف هو أسوأ من عبد الكريم قاسم. فعبد الكـريم قاسـم ربما لديه بعض الجوانب الايجابية، بينمـا عبـد السـلام عـارف لا يملـك إلا روح المغامرة وحب السلطة".

ويقول محمد صديق شنشل- أول وزير للإرشاد في حكومة ثورة 14 تمـوز 1958- عن عبد السلام محمد عارف، أنه بدون أدنى شك كان بطلاً جريئاً، فهـو الذي أذاع 'البيان الأول للثورة وأن عبد الكريم قاسم جاء إلى الأذاعة بعد ذلك.

ويؤكـد الأسـتاذ شنشـل أن الكفـاح الشـعبي ونضـال الأحـزاب القوميـة والوطنية والصحافة الحرة، مهَّد لقيام ثورة تموز 1958، وأن القوى الـتي عاونـت عبد السلام كانت بلا حدود. كما أن للرئيس جمال عبـد الناصـر، دوراً كـبيراً في نجاح الثورة، فسفره إلى الاتحـاد السـوفيتي ووقوفـه بثبـات إلى جانـب الثـورة في العراق كان سبباً قوياً ومباشراً لعدم التدخل الأجنبي لإحباط الثورة.

ويجمل الأستاذ شنشل رأيه في عبد السلام محمـد عـارف فيقـول: "إن هـذا الرجل كان لا يهمه شيء قـط سـوى نفسـه، وكـان باعتقـادي- رجـلا لا يريـد (الوحدة) مع الجمهورية العربية المتحدة بأي حال من الأحـوال. وإنـني اشـبهه برئيس دولة عربية فالاثنان يدعيان بأنهما وحدويان ولكنهما ليسا كـذلك. فكـل منهما يدعو لنفسه. وكلاهما يتمتعان بالجرأة والأقدام إلى حد التهور والطيش!!

ويضرب الأستاذ شنشل أمثلة كثيرة على هذا التشـابه بـين (الرئيسـين) في تصرفاتهما السياسية!!

ويروي لنا اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب عن معرفته بعبد السلام محمد عارف ورأيه فيه قائلا: "عرفته أول مرة، في معتقل القوميين، الذين اعتقلوا بعد إخفاق ثورة رشيد عالي الكيلاني عام 1941. وكان يومها عبد السلام برتبة ملازم ثان، ويشغل منصب آمر المعتقل في معسكر الرشيد. وكان ضمن المعتقلين العقيد محمود الهندي، السوري الذي كان آمر كتيبة خالد الثالثة- التي كنت منتسبا لها. وكان المرحوم الهندي ضابطا متميزا في عسكريته، وفي خلقه. وكانت صلتي به صلة وثيقة جدا. فعزمت على زيارته في ذلك المعتقل، ومعي بعض المال هدية له. غير أنه اعتذر عن قبول المال، بالرغم من اعتقادي أنه بحاجة ماسة إليه، ولم يفد معه الحاحى الشديد لقبول الهدية!

وكنت قد دخلت المعتقل، بعد أن سألت عن آمره، فقيل لي بأنه الملازم عبد السلام محمد عارف. فقصدته في مكتبه، وفاتحته برغبتي في زيارة المعتقلين بعامة، ومحمود الهندي بخاصة.

ففوجئت بأنه لم يقتصر على موافقته فقط على هذه الزيارة، بل أبدي استعداده لمعاونتي ومرافقتي في هذه الزيارة، فشكرته على روحه الوطنية وتمنيت له التوفيق في حياته.

ثم التقيت به عام 1948 في فلسطين، وكان وكيل مساعد الفوج الثاني من اللواء الرابع، وكنت ضابط ركن اللواء في مدينة (جنين) الباسلة. وكان من واجباتي زيارة القطعات للإطلاع على الأوضاع ومعاونتهم في حل مشاكلهم. فكنت إذا وصلت الفوج اسأل عن مساعد الفوج فيأخذني أحد منتسبي الفوج إلى خيمة المساعد، وكان يومها الملازم الأول عبد السلام محمد عارف فأجده متوجها نحو الكعبة لإداء فريضة الصلاة. فانتظره حتى يقضي صلاته، ثم يرافقني في جولتي. وكنت بحكم منصبي أعلم أن عدد الضباط الموجودين في (جنين)

كانوا 132 ضابطاً. كان خمسة منهم فقط ملتزمين أشد الالتزام بتعاليم الدين الحنيف. وكان عبد السلام أبرزهم. وكنت على أطلاع بانحراف كل منحرف. أما هو فما وجدت عليه انحرافا ولا مظنة.

ثم دار الزمن دورته، فنقل إلى اللواء الخامس في الموصل، وشغل منصب ضابط ركن اللواء، وكنت آمرا للفوج الثالث للواء الخامس، وعلى اتصال وثيق به في الأعمال الرسمية وغير الرسمية. وكنت أجده من حيث التدين متمسكا بدينه. وفي الشعور القومي، وحدوياً لاغبار عليه. ومن حيث الصفات العامة، متميزاً بالشجاعة والأقدام.

وحدثت بعض المشاكل بينه وبين آمر اللواء عمر علي، فتضايق كل منهما بالأخر، فأراد عبد السلامُ النقل من اللواء، فكتبت له رسالة إلى نجيب الربيعي- قائد الفرقة الثالثة- فنقله إلى فرقته، وإلى اللواء العشرين حيث أصبح آمر فوج فيه. وبهذا اللواء وهذا الفوج نفذ الثورة.

وكان الرئيس عبد السلام محمد عارف يصوم يوماً ويفطر يوماً آخر. فقد حدث مرة في عام 1965 عندما زار العراق أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة، أقام لهم رئيس الجمهورية مأدبة غداء في القصر الجمهوري، وقد لاحظ أعضاء الوفد أن الرئيس عبد السلام لا يتناول الطعام.

وعندما سألته، قال لي: "أنني اليوم صائم. فقد دأبت أن أصوم يوماً وأفطر يوماً".

وهنا- داعبته قائلا: "الرئيس لا يكتفي بخيمة أو دار في الجنة، فأنه يحرص على أن يكون مقره في الجنة في قصر فخم كالقصر الجمهوري". وضحك الجميع]!!

ويقول أحمد الحبوبي- أحد وزراء عبد السلام محمد عارف- أن الرئيس

عبد السلام كان شجاعا، مترفعا عن الصغائر، وكان مرنا في تصرفاته السياسية، فإذا عرضنا عليه موضوعا، كان قد عارضه سابقا، وأبدينا له المبررات، فإنه يرجع عن موقفه ورأيه السابق ويوافق عليه. ويضرب أحمد الحبوبي الكثير من الأمثلة على ذلك. ويؤكد بأن خلافه معه واستقالته من الوزارة، كان تضامنا مع زملائه الوزراء المستقيلن الذين يتفق معهم في الأهداف والمباديء.

ويروي لنا الدكتور جابر عمر- أول وزير معارف في حكومة ثورة الرابع عشر من تموز 1958- عن معرفته بعبد السلام محمد عارف قائلا: "كان أول لقاء له معي في سنة 1941 عندما كنت في القوة الصحراوية التي يقودها الزعيم الفلسطيني فوزي القاوقجي، أثناء الحرب العراقية البريطانية، إذ جاء بعض الضباط الشبان يريدون الالتحاق بنا. فكانت نصيحتي لهم: أن الأمور شبه منتهية، ولذلك فالأفضل أن يعودوا من حيث أتوا، ولا يعرضوا أنفسهم للملاحقات.. وكان أحدهم عبد السلام عارف- كما أكد لي ذلك بنفسه.

واللقاء الطويل الذين تم بيني وبينه باستمرار كان أثناء حكم عبد الكريم قاسم، حيث شعرت منه احتراما لي، احتراما خاصا، لما يعتقده فيَّ، ولعلاقات مع الرفاق والأقارب معه.

وكان في مجلس الوزراء- في الأشهر الأولى للثورة- اللولب، وله الكلمة الحاسمة في أغلب الأمور والمواضيع المطروحة على بساط البحث، إذ كان عبد الكريم قاسم كثير الصمت، قليل الكلام!

وكان عبد السلام عارف ذا شخصية ديناميكية نادرة، يسافر ولا يمل، ويخطب بالجماهير ولا يسأم، ويناقش في مجلس الوزراء في الصغيرة والكبيرة، وأنه كان مطلعا على شؤون العراق تفصيليا. وكان يعتز بأنه قومي عربي ومسلم مؤمن. ومن هذا المنطلق يبت في أقواله وتصرفاته. وكان حقا متعبا للوزراء الآخرين. ولذلك فقد اعفينا سوية من المسؤولية من قبل عبد الكريم قاسم."

ويضيف الدكتور جابر عمر قائلا: "ومن الإنصاف أن يقول الحقيقة من يعرف عنه ما يعرف حقا. وأني لمقتنع تماما من أنه يتمتع بحيوية نادرة، وجرأة تصل إلى الطيش أحيانا، أما جرأته الأدبية فواضحة. وقد يعتبرها الكثيرون ممن لا يرغبون فيه ولا يميلون إليه، تحديا واعتداء.

وبقي طيلة معرفتي به- حتى مصرعه- يتمتع بما عرفته عنه: مندفعاً، كثير الانفعال، لا يعبأ بالأخطار مهما كانت جسيمة"!!

وقد حلل ليث عبد الحسن الزبيدي في رسالته الجامعية عن "ثورة 14 تموز 1958 في العراق" شخصية عبد السلام محمد عارف، قائلا:

"أن نشأة عبد السلام عارف في محيط اجتماعي ضيق تسوده نزعة طائفية وطموح لا حدود له، خلق له مصاعب كثيرة، منذ الأيام الأولى للثورة.

[فقد ذكر هديب الحاج حمود وزير الزراعة في عهد عبد الكريم قاسم: أن عبد السلام عارف ذكر لأحد الضباط الأحرار الموجودين معه في الفوج ليلة 14 تموز 1958 بأنهم سينفذون الثورة، وهناك ثلاث جماعات يجب استئصالها وهم: الأكراد والمسيحيون والشيعة].

فهو يحقد على جميع من تخاصم معه سواء في أيام الطفولة، أو في مرحلة الدراسة، وحتى عندما أصبح عضوا في اللجنة العليا للضباط الأحرار..

[فنتيجة لخصومة عبد السلام مع سكرتير اللجنة العليا للضباط الأحرار العقيد المهندس رجب عبد المجيد نراه بعد قيام ثورة 14 تموز يعارض اسناد أي منصب مهم إليه، ويحاول إبعاده عن القطعات العسكرية، وذلك باسناد منصب مدير عام مجلس الأعمار إليه].

أن عبد السلام عارف جريء وشجاع، ومنذ أن كان طالباً يشترك في المظاهرات الطلابية، ويحمل الشعارات المنددة بوجود القوات البريطانية، وعندما

كان ضابطا في الجيش عرف عنه اقتحام المواقف الصعبة، فهو اجرأ من عبد الكريم قاسم، إذا كان هناك سبب للمقارنة بينهما، ولولا إقدام عبد السلام عارف على تنفيذ الثورة لما تجرأ أحد من أعضاء اللجنة العليا على تنفيذها.

غير أن عبد السلام كان يثير الخصومات الكثيرة ولا يتجنبها كما ينبغي لمن يكون في منصب خطير كمنصبه نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ونائب القائد العام للقوات المسلحة، فمزاج عبد السلام، جدل وخصومة ومعارضة. وقد حاول أن يكون أكثر شهرة من عبد الكريم قاسم بالأكثار من زيارة المواقع العسكرية والمحافظات والخطابة في الضباط والجنود والجماهير الشعبية والإدعاء بأنه هو مفجر الثورة ولا أحد سواه، وكان هذا الموقف يغيض الزعيم عبد الكريم قاسم، إلا أنه يغض النظر ويخطط ضده.

[فخطاب عبد السلام عارف في دمشق قد أثار عبد الكريم قاسم، لأنه لم يذكر اسمه في الثورة، حيث جاء في خطابه المذكور: "فارسلت القوات إلى عدة أهداف وأمرت بتوجيه جماهير الشعب إلى باستيل عبد الاله.. واستلمت النتائج، وقلت الحمد لله.

ويذكر محمد صديق شنشل وزير الارشاد في الوزارة الأولى للثورة "بأنه تكلم مع عبد الكريم قاسم حول زيارات عبد السلام عارف للمحافظات وخطبه المرتجلة أمام الجماهير التي كانت تسبب مشاكل داخلية وخارجية في غنى عنها، وطلب من قاسم أن يحدث عبد السلام بذلك أو يمنعه من الخطب المرتجلة إذا اقتضى الأمر "فكان جواب عبد الكريم قاسم للسيد شنشل" دع الحبل يلتف حول عنقه"!

وبسبب تصرفات عبد السلام المذكورة آنفاً، فقد نفر منه كثير من الضباط

الأحرار، على الرغم من أن هؤلاء الضباط هـم أقـرب إليـه مـن حيـث ميولـه القومية والإسلامية من عبد الكريم قاسم. ولذلك فقد خلق له خصمين خطرين في الشهرين اللذين اعقبا الثورة، وهما:

الخصم الأول- عبد الكريم قاسم الذي كان يحاول أبعاده ليستأثر بالسلطة.

الخصم الثاني- الضباط الأحرار أعضاء اللجنة العليا الـذين كـانوا ينتقـدون أسلوب عمله وتصرفاته وخطبه المرتجلة البعيدة عـن الموضـوعية، بـالرغم من أنهم يعارضون عبد الكريم قاسـم في نفس الوقـت، إلا أن معارضـتهم لعبد السلام كانت أشد وأقوى، مما حدا بعبد الكريم قاسـم إلى الاسـتفادة من ذلك حتى يبعد عبد السلام عـن مناصـبه الـتي أسـندت إليـه في يـوم الثورة].

ويؤكـد ليـث الزبيـدي أن البحـث في عقيـدة عبـد السـلام محمـد عـارف السياسية مسألة شائكة ومعقدة، فرغم أن إحساس عبد السلام القـومي لا شـك فيه، إلا أن أفكاره القومية كانت غـير واضـحة، وغالبـا مـا يكـرر "أنـه لا يـؤمن بديمقراطيـة الانكليـز ولا بنازيـة الالمـان ولا ببلشـفية الـروس، وإنمـا بالعروبـة والإسلام فقط" دون أية مباديء وأفكار محددة.

ويذكر أغلب أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار، أن عبد السلام عارف كان ساذجا ولا يفهم من المباديء والأفكار السياسية سوى مصلحته الشخصية وطموحه الكبير.

ويذكر علي صالح السعدي- أمـين سـر القيـادة القطريـة لحـزب البعـث العربي الاشتراكي سابقا- أن "عبد السلام عارف كان طموحا كبيراً، ولا يمكن أن يوجد في تاريخ العراق إنسان أسوأ منه عقلاً وتفكيراً وسياسة وسلوكاً، شـخص

يعيش في تناقض يومي بين ادعاءاته وسلوكه، وليست لديه أية عقيدة إطلاقاً، شخص يغدر بأخيه وبولده وبكل شيء من أجل أن يبرز..!!

أما مصطفى علي- وزير العدل في عهد عبد الكريم قاسم فيذكر بأن "عبد الكريم قاسم جاء بثورة عظيمة، ولكن جاء بفنائها معها، جاء بعبد السلام عارف"!!

ومن ناحية أخرى دخل عبد السلام محمد عارف في صراع مع العناصر اليسارية من الضباط والمدنيين وقد ترتب على جولاته في المحافظات والخطب الكثيرة التي يلقيها بهذه المناسبات وبدون تردد حول موضوع الوحدة ووجوب تحقيقها على الفور، إلى احتدام الصراع بين القوى والأحزاب السياسية وعلى الأخص الانشقاق الذي حدث بين القوميين الذين كانوا يسيرون وراء شعار "الوحدة" والعناصر الأخرى بما فيها الديمقراطيون والشيوعيون الذين كانوا يرفعون شعار "الاتحاد الفدرالي".

لقد كانت خطب عبد السلام الفتيل الذي اشعل التمزق بين هذه القوى التي كان يعرف كل منها قوته وجماهيره وشعاراته. إن الخطب التي كان يلقيها عبد السلام بدون تحفظ أو بعد نظر في الأمور أدت إلى استفزاز كثير من الجهات في داخل العراق وخارجه. في وقت كانت فيه الثورة وما زالت في مراحلها الأولى. وعلى سبيل المثال تطرق إلى حركة "مصدق" مما أدى إلى استفزاز الحكومة الإيرانية في نفس اليوم الذي اعترفت بالنظام الجديد في العراق].

ويقول مجيد خدوري في كتابه "العراق الجمهوري" عن عبد السلام محمد عارف أنه "كان ينتمي إلى عائلة متدينة، وبسبب شدة تمسكه بالإسلام راح يظهر تحيزاً للسنة، مما أثار قلقل الشيعة والطوائف غير الإسلامية. غير أن عارف لم يكن في صميمه تقيا ورعا، وكان تظاهره بالتعصب للإسلام نتيجة نشأته في بيئة محافظة"!

ويحلل محمود الدرة في كتابه "ثورة الموصل القومية" شخصية عبد السلام محمد عارف فيقول: أن القاسم المشترك بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف: كان حاجة كل منهما إلى الآخر، ليسد ثغرة الضعف والنقص فيه، وليحقق طموحه الشخصي على كتف صاحبه.

فتهور أو شجاعة عبد السلام هي وحدها الكفيلة بالقيام بمغامرة 14 تموز يسندها ويدعمها لواء مشاة يقوده زعيم حركة الضباط الأحرار عبد الكريم قاسم.. وما عدا هذه المصلحة الخاصة، فلا تجمع بين الاثنين صفة واحدة مشتركة على الأطلاق، ولا عجب أن يطفو على سطح ثورة 14 تموز الانقسام والانفصال بين الشخصين حالما يتحقق نصر الثورة.

ولا عجب كذلك أن يكسب عبد الكريم قاسم، بشخصيته الغامضة التي لا تخلو من دهاء ميكافيلي جولته مع عبد السلام، باليسر والسهولة التي تحققت له، حينما أهدى عبد السلام فوزه الساحق إلى عبد الكريم، فأعلن من إذاعة بغداد التي استولى عليها، بيان الثورة بوصفه (نائبا) لقائد القوات المسلحة عبد الكريم قاسم القابع بمعسكره في المنصورية على بعد 96 كيلومتر ينتظر مصير مغامرة الثورة التي يقوم بها صاحبه عبد السلام في تفويض النظام الملكي في العراق.

ويحتار المرء في تفسير الدوافع التي دفعت بعبد السلام لكي يختار منصبا مدنيا (وزارة الداخلية) لدى قسمته الغنائم مع زميله، فيتخلى بمحض إرادته، عن الجيش الذي حقق مبتغاه، وترك لزميله، رئاسة الوزارة وقيادة الجيش، مكتفيا بتأييد الشارع وتصفيقه وحماسته!

وتزول الحيرة، بعد أن كشف عبد السلام أوراق هويته الشخصية من خلال خطبه الارتجالية وهو يتنقل في الطائرة في مدن العراق الرئيسية.. فيقول

لمواطنيه، ويكرر قوله: "لا قصور ولا ثلاجات ولا قاصات، جمهورية خاكية، سماوية إلهية، ديمقراطية، اشتراكية، تعاونية... الخ".

وترجمة هذه الكلمات إلى اللغة التي يفهمها العرب- غير العراقيين هي:

لقد انتهى عصر الاستغلال والترف، فلا نسمح لمواطنينا بالعيش في القصور التي تتوافر فيها مستلزمات الحياة العصرية كالثلاجات!.. ولا نسمح بوجود رأسماليين يخزنون نقودهم بالخزائن الحديدة (القاصات).. وجمهوريتنا عسكرية يكتفي رجالها بارتداء الملابس العسكرية (الخاكي).. وبالتالي فهي مسلمة بعقيدتها، مع خليط من مباديء العصر الاقتصادية.

ولقد استفزت خطبه الارتجالية التي لا معنى لها ولا مضمون مشاعر الاكراد وأبناء الطوائف المذهبية والدينية التي يعج بها العراق واستفزاز المثقفين العراقيين.

في حين أن انتصاره على النظام الملكي أعطاه رصيدا كاسحا لدى الجماهير التي كانت تتلاقفه عند نزوله من طائرة الهليكوبتر التي كان يتنقل فيها بين المدن، وهي تهتف له: "نحن جنودك يا سلام" مما ملأ نفسه بالغرور والتعالي على زملائه الضباط الأحرار، فرفض بأصرار رجاءهم له بتأليف مجلس قيادة الثورة طبقا للميثاق الذي أقره".

ثم يقول الأستاذ الدرة: "ومع أن عبد السلام، كما ظهر على حقيقته، فيما بعد، لا يؤمن بالوحدة العربية (السياسية) التي تذيب شخصيته ودوره القيادي، فإنه أراد الظهور على المسرح السياسي كزعيم قومي يستمد من شخصية عبد الناصر الذي أصبح رمزا للنضال القومي المتحرر، القوة والتأييد المعنوي ليركب موجة الحماس القومي في العراق، زعيما للمشرق العربي، زعامة عبد الناصر للمغرب الأفريقي"!

ويروي حسن العلوي في كتابه "رؤية بعد العشرين" عن عبد السلام محمد عارف قائلا:

كان الحادي عشر من أيلول 1958 الذي تقرر فيه إبعاد الرجل الثاني في سلطة الثورة عن مناصبه القيادية والوزارية متوقعا بعد سلسلة الاجتهادات التي إتهم العقيد عبد السلام عارف بتظهيرها في خطابات ارتجالية خلال جولاته في ألوية القطر بعد نجاح الثورة مباشرة.

لم يكن عبد السلام عارف شأنه شأن أغلب العسكريين يمتلك الأدوات الخطابية المطلوبة وكانت ثقافته العامة وخبرته السياسية الناشئة لا تساعدانه على الأحاديث الطويلة التي انشغلت بها موجات الاذاعة العراقية.

وقد لا يكون بعيدا أن الدبلوماسيين العرب والاجانب أبرقوا إلى حكوماتهم توقعاتهم الأسبوعية حول اقتراب انفجار الرجل الصامت في وزارة الدفاع لاسكات صوت حليفه ونائبه في الوزارة والقوات المسلحة.

كان المفروض بالسياسيين المحترفين أو الوحدويين المحيطين بعبد السلام عارف بذل جهد لمحاولة تقنين أحاديثه وجدولة طروحاته لاسيما أن وزير الارشاد في تلك الحكومة والذي يتحمل مسؤوليته في هذا الخطأ كان من السياسيين المتمرسين في حزب الاستقلال وكان بأمكانه أن يبرمج أو يكبح من عنفوان عبد السلام عارف بطريقة أو اخرى. لكن الذي يبدو أنهم تركوه يموت خطيبا كما ترك عبد الكريم قاسم فيما بعد، والذي ظل صامتا إلى أن اسكت عبد السلام فاستعاد دوره في تكرار الخطابات مع وجود الفوارق الكبيرة بين حديث كل منهما سواء في تعبير المقاسات السياسية أم في اتجاه الأحاديث.

يبدو أن نجاح عبد السلام عارف الباهر في تنفيذ الثورة كان مفاجأة لعبد السلام نفسه فأختلت موازينه ذلك الاختلال الفاضح، لقد نجح الرجل في قتل

الملك والأمير والحاشية وأعلن بصوته في الأذاعة سقوط الملكية وقيام الجمهورية الأولى لأول مرة في العراق منذ (4000) سنة، وهو إنجاز أسطوري يسجل لهذا الضابط الشجاع، لكن المشكلة أن عبد السلام تصور كما يتصور كثير من العسكريين أن بإمكان قاتل الملك أن يكون ملكاً.

يقول شكسبير "ليس المهم أن تكون ملكاً بل المهم أن تكون آمناً" وهذا الذي حدث، لقد فقد عبد السلام عارف مناصبه القيادية في الثورة وأبعد سفيراً في بون فوجد الشارع الشيوعي في هذا الأبعاد نصراً مؤزراً يستحق الأهازيج والهتاف والترانيم الشعبية (رايح سفير البون عندي وصية) لكن الأمر كان لو تحكم الشيوعيون باعصابهم قليلاً نصراً للضباط الأحرار الذين ضاقوا بعبد السلام في اجتماعات الهيئة العليا قبل الثورة. فترك آخر اجتماع له معهم قائلاً في حدة (هذا حدنا وياكم) على رواية محسن الحبيب.

كان عبد الكريم قاسم حليف عبد السلام في تلك الاجتماعات، حتى إذا أزفت فرصة الثورة، استأثر معه بموعد التنفيذ. يقول الضباط الأحرار أن استئثار عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بتنفيذ الثورة دون الرجوع إليهم، إنما كان مقدمة لاستئثارهما بالسلطة مع أن الثورة، لو فشلت، فأن رؤوسهم ستتدحرج تحت أقدام الأمير عبد الاله، فليس خلاف الضباط مع عبد الكريم ومجموعته كان بسبب ابعاده لعبد السلام كما هو شائع ومعروف في الأوساط العامة.

إنهم يرون أن عبد السلام اتفق مع صاحبه على أبعادهم عن مواقع السلطة، مشردين بين ملحق عسكري وموظف مدني وضابط مدفعية. وقائد منهم ثبتت أقدامه في الصحراء قريبا من الحدود الأردنية.

والضباط الأحرار، كما كتبوا في مذكراتهم، يجمعون على أن فكرة القائد العام ونائب القائد العام للقوات المسلحة، كانت مرفوضة منذ أن عرضت عليهم قبل الثورة، وهم يتساءلون: إذا كان لعبد الكريم حق في أن يكون قائدا عاماً.

لأنه رئيس اللجنة العليا للضباط الأحرار، فما هو حق صاحبه في المنصب الثاني، علما أن لعبد الكريم قاسم نائبين هما محي عبد الحميد وناجي طالب، كانا يترأسان الجلسة في غيابه؟..".

ويروي اسماعيل العارف- أحد وزراء عبد الكريم قاسم- في كتابه (تأسيس الجمهورية العراقية) عن عبد السلام محمد عارف قائلا:

كان عبد السلام عارف، وهو في السجن، يتوقع أن يقوم أعوانه من الضباط بأنقلاب لانقاذه- إلا أنه بعد مضي مدة طويلة، وهو في السجن يئس من ذلك فبدأ يكتب الرسائل الواحدة تلو الأخرى إلى الزعيم عبد الكريم قاسم متوسلاً إليه لأطلاق سراحه والعفو عنه، وحاول أن يضرب عن الطعام مرات عديدة إلا أن محاولاته فشلت، وأيقن أن الرسائل التي يكتبها لاتصل إلى يد عبد الكريم قاسم، فاغرى ذات يوم أحد حراس السجن بالمال لكي يوصل رسالة إلى عبد الكريم قاسم، فاخذها الحارس منه، وسلمها كالعادة إلى آمر الانضباط العسكري في أوائل تشرين الثاني 1961. وعندما جئت إلى وزارة الدفاع في ذلك اليوم مررت على آمر الأنضباط لأشرب قدحا من القهوة العربية الجيدة عنده فاطلعني على الرسالة، وقد استهلها عبد السلام بـ"سيدي وقائدي وأخي الزعيم عبد الكريم.. أنني منك كهارون من موسى.. لقد طال انتظار عطفك عليّ ورأفتك بي..الخ". فعلّق آمر الانضباط قائلا: "أنظر إلى هذا المحتال.. إنه ما دام في السجن يبدي الاستعطاف ويسأل الرحمة، ولكن حالما يصبح طليقا يبدأ في التآمر. سوف لا أعطي الرسالة إلى الزعيم عبد الكريم.." إلا أنني نصحته بتقديمها له ما دامت موجهة إليه، وفيها ذلك الاستعطاف، فعرضها آمر الانضباط على عبد الكريم قاسم في نفس اليوم بينما كنت حاضرا.

وبعد أن قرأها عبد الكريم سلمني أياها، وقال لي: "اقرأها .." فقرأتها ثانية،

وقلت له: "الأفضل إلا تخلق منه بطلا ومحوراً تدور حوله المؤامرات ضـدك، فإما أن تنفذ فيه الحكم، أو تطلق سراحه وتبقيه في بيته، فلم يعد له الآن من حول أو قوة".

وفي 25 تشرين الثاني 1961 أصدر عبد الكريم قاسـم قـراره بـالعفو عنـه فاطلق سراحه من السـجن- وجـيء بـه إلى مقـر عبـد الكـريم قاسـم في وزارة الدفاع، وبينما كانا سوية اتصل بي الزعيم عبد الكريم قاسم هاتفيا وطلـب مـني الحضور. فحضرت وفي غرفته وجدت عبد السلام عارف جالسا يتحـدث معـه. فتصافحنا.

وقلت له: "أرجو أن تكـون هـذه بـادرة حميـدة لتعـود الأمـور إلى طبيعتهـا ويعمل الجميع لخدمة هذه الجمهورية الفتية" وبعد فترة قصيرة أوعز عبـد الكـريم قاسم إلى مرافقيه باحضار سيارة لتقل عبد السلام بعد أن اطلقنا سـراحه؟.. إنـه يريد أن تحسب رواتبه على أساس راتب نائب رئيس الوزراء، وليس على راتب العقيد. إن هذا الرجل ينظر إلى المادة دائما قبل أن يفكر بالمصلحة العامة].

تؤكد السيدة وفاء عبد السلام: "أن والدها تبرع برواتبه المتجمعة أثر أطلاق سراحه إلى المنظمات الفلسطينية".

ويروي لنا محسـن حسـين- معـاون المـدير العـام لوكالـة الأنبـاء العراقيـة آنذاك- عن رأيه بالرئيس عبد السلام محمد عارف- وذكرياته عنه قائلا:

"عرفت الرئيس عبد السلام محمد عارف بعد أيام مـن ثـورة 14 تمـوز عـام 1958. كنت محررا في جريدة "الجمهورية" التي صدرت في أعقاب الثـورة، وكانـت تحمل لفترة اسم (عبد السـلام محمـد عـارف) رئيسـا للتحريـر، وأذكـر أن هـذه القضية قد نوقشت في أعلى المستويات حينذاك، وأثير تساؤل عما إذا كـان يحـق

لنائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية أن يرأس تحرير صحيفة بموجب القانون؟!)، فاجاب عبد السلام عارف: إن الذي يقوم بالثورة، يستطيع أن يغير القانون..!

وقد رافقت عبد السلام عارف في عدد من جولاته (الشهيرة) بعد الثورة حيث القى خطبه في الجماهير التي كانت تحتشد لرؤية مبعوث الثورة فإذا بها تفاجأ بكلام غير منسق، وأفكار مشوشة غير مترابطة أساءت إليه وأساءت إلى الاتجاه الذي كان يمثله!

وقد قمت بتغطية زياراته إلى الديوانية والعمارة والحلة.

وأذكر أنه أتصل بي في 11 آب 1958 فعرضت عليه أن أعد موضوعا عن مرور شهر على الثورة فطلب مني أن أحضر في اليوم التالي إلى وزارة الدفاع حيث تعقد اجتماعات مجلس الوزراء وذهبت بالفعل أنا والزميل المصور حازم باك. وهناك أخذني إلى شرفة القاعة المخصصة للاجتماعات وقال لي: إن البعض يريد أن يوقع بيني وبين عبد الكريم قاسم من خلال ما تنشره جريدة الجمهورية ولذلك أريد نشر افتتاحية بعنوان (الأخوين) تتحدث عن العلاقة الأخوية بيني وبين عبد الكريم، كذلك أريد نشر صورة لي معه في الصفحة الأولى تؤكد هذه العلاقة. وقال أن عبد الكريم قاسم سيأتي بعد قليل وسأخبره لالتقاط الصورة.

وبالفعل تم ذلك والتقطت الصورة في صدر القاعة حيث كان يوضع العلم العراقي.

وعندما عدت إلى الجريدة أخبرت المختصين فيها بطلب عبد السلام عارف وجرى تنفيذه بنشر المقال والصورة.!

لكن المفارقه، أن الصورة أحدثت أزمة أخرى، إذ أنها نشرت معكوسة أي اليمين في اليسار واليسار في اليمين ولأنهما كانا يرتديان الملابس العسكرية فقد ظهر المسدسان في غير موضعيهما!!

وأخبرني عبد السلام عارف فيما بعد أن المحيطين بعبد الكريم قاسم صوروا له نشر الصورة بهذا الشكل مقصود للاساءة إليه، وأن ما أراده لتحسين العلاقات بينهما قد أدى إلى العكس.

ويستطرد محسن حسين في سرد ذكرياته قائلا:

"ومن ذكرياتي عن عبد السلام عارف أنه قد اتصل بي هاتفيا عام 1964 وكان رئيسا للجمهورية وكنت مديرا للأخبار الداخلية في وكالة الأنباء العراقية وكان منزعجا للغاية، وأخذ يصبح بأعلى صوته أنه سيضطر إلى غلق الوكالة لأنها تسيء إلى النظام والاستقرار ثم اخبرني بشيء غريب للغاية، وقال أنه كان في زيارة إلى كركوك. وفي المطار سمع نشرة أخبار الأذاعة التي تضمنت خبرا عن فيتنام جاء فيه أن الثوار هناك قصفوا أحد المطارات.

وعقب الرئيس عبد السلام عارف: أنكم بذلك تعلمون المتمردين هذه الأساليب..

ثم أصدر أمراً بمنع إذاعة ونشر مثل هذه الأخبار...

[ملاحظة: في تلك الأيام كانت الوكالة هي التي تعد نشرات الأخبار الأذاعية وترسلها باليد إلى المذيعين لأذاعتها].

وخلال حكم عبد السلام عارف كان هناك تناقض واضح بين الأهداف وبين الأفعال.

فقد جاء عارف إلى الحكم بحجة أنه وحدوي، وتصور الناس أن الوحدة ستقوم بين العراق ومصر خلال فترة قصيرة، غير أن ذلك لم يحدث قط رغم

اسناد الرئيس جمال عبد الناصر لعبد السلام عارف. ولهذا فقد حدثت خلافات بينه وبين المجموعات القومية التي كانت تشترك في الحكم.

وفي إحدى زياراته إلى القاهرة (شباط 1966) جرى ترتيب بأن يلتقي الرئيس جمال عبد الناصر بالصحفيين العراقيين المرافقين للرئيس عبد السلام عارف وكنت أنا واحدا منهم أمثل وكالة الأنباء العراقية.

وقبيل عقد المؤتمر الصحفي الذي تم في قصر القبة حيث يقيم الرئيس عبد السلام عارف استدعاني وقال لي أنه يريد مني بصفتي مندوبا لوكالة الأنباء العراقية أن أوجه سؤالا محدداً إلى الرئيس عبد الناصر، وقرأ لي السؤال ومفاده: أن هناك فئات سياسية في العراق تدعي أنها مدعومة من الرئيس عبد الناصر وتمثل خطه السياسي، فهل هذا صحيح أم أنكم (أي عبد الناصر) تؤيدون الرئيس عبد السلام عارف؟.

ويبدو لي أن السؤال ذكي. إذ أن عبد الناصر قد أجاب بوضوح أنه يؤيد الرئيس عبد السلام عارف، وأنه ليس هناك فئة يحق لها التحدث باسمه في العراق.

وقد نشر المؤتمر الصحفي بالنص الكامل وبضمنه السؤال والجواب. وأحدث التأثير الذي أراده عبد السلام عارف في وضع تلك الفئات السياسية.

وأؤكد أننا عندما خرجنا من المؤتمر الصحفي قال لي أحد الوزراء العراقيين، وكان حاضرا معنا، أنه لا يستبعد أن أقتل عند العودة إلى بغداد بسبب هذا السؤال؟

ويبدي أحمد حمروش في كتابه "قصة 23 يوليو" رأيه في عبد السلام محمد عارف قائلا:

كان عبد السلام عارف يحاول الاعتماد على شخصيته دون الاعتماد

الجدي على تنظيمات مكتفيا بسيطرته على الجيش والشرطة وأجهزة الأمن ولو أنه لم يبالغ نسبيا في استخدامها.

كما أن عبد السلام عارف كان يتعثر في خطواته نحو الوحدة وهو الذي هرع يروج لها في الأيام الأولى من ثورة 14 يوليو (تموز) 1958.

صحيح أنه بدأ تنسيق سياسي بين مصر والعراق يوم 26 مايو (أيار) 1964 بعد زيارة عارف لمصر لحضور احتفال تحويل مجرى النيل عند السد العالي في أسوان مع خروشوف وأحمد بن بيللا وهي الزيارة التي تهجم فيها خروشوف على عارف متهما أياه بشنق الشيوعيين، وما تبع ذلك من حوار طويل عن قضية وحدة الطبقة العاملة والوحدة العربية كلها، كما روى محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم).

وصحيح أنه شكل لذلك مجلس رئاسة من جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف كان مفروضا أن يجتمع مرة كل 3 شهور.. وكان الأعضاء من الجانب المصري هم عبد الحكيم عامر وعلى صبري والدكتور محمود فوزي ومحمود رياض وأمين هويدي (وهم جميعاً عسكريون عدا واحد فقط) ومن الجانب العراقي صبحي عبد الحميد وعبد الرزاق محي الدين وشكري صالح زكي.

كما عين 3 وزراء للوحدة مع العراق، من مصر: شعراوي جمعة وكمال الحناوي وعلي السيد علي.. ومن العراق: ناجي طالب وأديب الجادر وعبد الستار الحسين.. وعين فتحي الديب أمينا عاماً للمجلس.

وفي 16 أكتوبر (تشرين الأول) انبثقت قيادة سياسية موحدة من رئيسي الجمهوريتين.

ولكن ظلت هذه التنظيمات شكلية المظهر محدودة الأثر.. الوحدة الوطنية في العراق لم تكتمل وعدم اعتماد نظام الحكم على حزب ثوري، والتمزق الذي

شمل القوميين والضعف النسبي لشخصية عبد السلام عارف، واشتعال العداء ضده من جانب الحزب الشيوعي وحزب البعث.. كل هذه العوامل أخرت تحقيق الوحدة الوطنية، وكانت بالتالي دافعا إلى شكلية أجراءات الوحدة مع مصر.

ولم يقف الخلاف والتناقض بين عبد السلام عارف وأعوانه من جهة والمختلفين معه من جهة أخرى، وأنما امتد إلى دائرة السلطة، تماما كما حدث مع البعث ولكن بصورة أخرى.

كان عبد السلام عارف قد تأخر متعمدا في تشكيل مجلس قيادة الثورة، الأمر الذي أثار حفيظة المقربين إليه.

وعندما قرر عبد السلام عارف تعيين شقيقه عبد الرحمن رئيسا للأركان اعترض على ذلك: صبحي عبد الحميد وعارف عبد الرزاق وعبد الكريم فرحان وهادي خماس (رئيس المخابرات)، لأنه لم يكن مؤهلاً أو حاصلاً على شهادة كلية أركان الحرب.

وزادت التناقضات بين الشخصيات الملتفة حول عارف، واستقال وزير الاعلام عبد الكريم فرحان فيما سمى بأزمة الأذاعة عندما رفض مدير عام الأذاعة عبد اللطيف الكمالي عمل دعاية سافرة لعبد السلام عارف وتضامن معه الوزير.

سافر عبد الكريم فرحان إلى مصر يوم 30 يونيو (حزيران) واستقال تضامنا معه دون وجود أية رابطة تنظيمية كل من صبحي عبد الحميد وزير الداخلية، وأديب الجادر وزير الصناعة وفؤاد الركابي وزير الشؤون البلدية وعزيز الحافظ وزير الاقتصاد وعبد الستار الحسين وزير العدل.

ولم يكن هذا التضامن قائما على أسس تنظيمية وأنما كان عفوياً وحماسياً.

وعندما رفض المستقيلون العودة، شكل عبد السلام عـارف وزارة جديـدة برئاسة طاهر يحيى يوم 11 يوليو (تموز) 1965.

ولم يلبث عبد السلام عارف أن كلف عارف عبـد الـرزاق بتشـكيل وزارة جديدة مستهدفا إبعاده عن قيادة القوات الجوية أولاً وعزله عن الفئات القوميـة ثم تصفيته ثانياً. رفضت التنظيمات القومية الاشتراك في وزارته.

وكان عارف عبد الرزاق قد قرر القيام بانقلاب ضد عبـد السـلام عـارف ولذا قبل الوزارة واستجاب لطلبات عبد السلام عارف بنقل عدد مـن الضـباط خارج بغداد وذلك تفاديا للاصطدام وكشف خطة الانقلاب مبكراً.

ولكن استمرار نقل الضباط كان يعنى ابتعاد العناصر التي يمكـن الاعتمـاد عليها، ولذا قرر الأسراع بالانقلاب ليكون ليلة 14- 15 سبتمبر (أيلـول) 1965 أثناء وجود عبد السلام عارف في الدار البيضاء بالمغرب بعد أسبوع من تعيينه.

وعندما شعر عارف عبد الرزاق بفشل خطته ركب طائرة حربية صباح يوم 15 سبتمبر (أيلول) وهرب إلى القاهرة.

ويستطرد أحمد حمروش قائلا:

أول قرار لعبد السلام عارف كان تحديد إقامة صبحي عبـد الحميـد وعبـد الكريم فرحان في منزليهما وتكليف الدكتور عبد الرحمن البزاز بتشكيل الـوزارة الجديدة.

كانت هذه التغييرات قد أضعفت قدرة النظام في نظر الجماهير ولم تعد لـه شعبية مطلقا..

التنظيمات القومية مشغولة بخلافاتها الخاصـة.. الحـزب الشـيوعي يحـاول استجماع قوته ومواصلة نضاله.. وحزب البعث يعيد تنظيم نفسه وخاصـة بعـد

الضربة التي وجهتها له أجهزة الأمن في سبتمبر (أيلول) 1964، عندما أكتشفت محاولة إعادة لتنظيم الحزب واعتقال عدد كبير من الأعضاء.

كان موقف القاهرة من عبد السلام عارف موقف التأييد المصحوب بالحيرة، فهو في تصرفاته الداخلية يتناقض مع بقية القوميين ويعطي الفرصة لضعف النظام لأعدائه وأعداء القاهرة].

ويتحدث لنا الدكتور حازم البكري عن معرفته بالرئيس عبد السلام محمد عارف ورأيه فيه فيقول: بدأت معرفتي بعبد السلام محمد عارف في أوائل عام 1956 في الوقت الذي كانت فيه جموع الشعب العراقي تعلن وتعبر عن سخطها تجاه الحكم الملكي القائم يومذاك، وتعد العدة للاطاحة به، واستمرت معرفتي به حتى عام 1965. ومن خلال هذه الفترة وقفت على بعض ما كان يتصف به من خصال حميدة وخصال يعاب عليها.

* لقد كان عبد السلام عارف صريحا تجاه الحق لا يكتم أمراً جرى ولا قولا قيل حتى من أقرب الناس إليه، ويردد دائما (قل الحق ولو على نفسك). وكان متمسكا بدينه لايفوته فرض من فرائض الإسلام إلا إذا اضطر إلى ذلك. وكان بسيطا في حياته متمثلا بالقول المشهور (مدّ رجلك على قدّ بساطك). كما كان لا يحمل حقدا في صدره إلا بمقدار، وغالبا كان يتجاوز عن حقده بعد فترة وجيزة. وكان شجاعا وشجاعته تصل به إلى حد التهور. وهذا ما مكنه من السيطرة على بغداد بسرعة صبيحة يوم 14/ تموز، بالرغم من إدراكه بأنه يفتقر إلى كثير من مقومات نجاح الثورة.

أما من خصاله التي يعاب عليها والتي أوقعته في مهاوي التهلكة:

* تسرّعه في اتخاذ قراراته بدون التأكد من خطئها أو صوابها. وقد وضح ذلك بعد تسنمه مقاليد الحكم. ومن ذلك مثلا، الضجة التي آثارها في

وعندما رفض المستقيلون العودة، شكل
برئاسة طاهر يحيى يوم 11 يوليو (تموز) 1965.

ولم يلبث عبد السلام عارف أن كلف عا
جديدة مستهدفا إبعاده عن قيادة القوات الجوي
ثم تصفيته ثانياً. رفضت التنظيمات القومية الا

وكان عارف عبد الرزاق قد قرر القيام بـ
ولذا قبل الوزارة واستجاب لطلبات عبد السلا
خارج بغداد وذلك تفاديا للاصطدام وكشف

ولكن استمرار نقل الضباط كان يعني ا
عليها، ولذا قرر الأسراع بالانقلاب ليكون ليل
أثناء وجود عبد السلام عارف في الدار البيضاء

وعندما شعر عارف عبد الرزاق بفشل
15 سبتمبر (أيلول) وهرب إلى القاهرة.

ويستطرد أحمد حمروش قائلا:

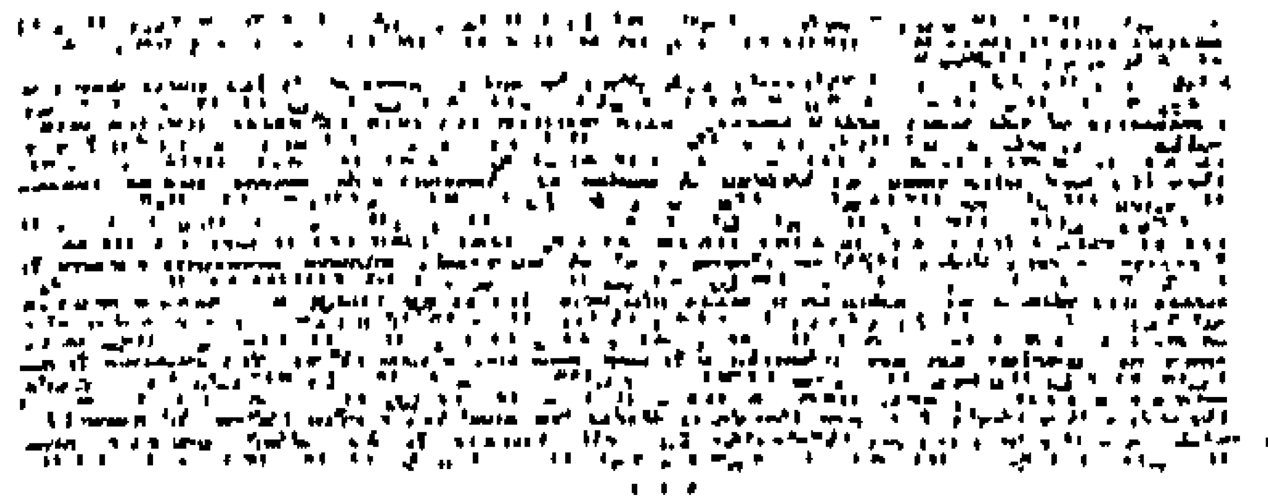
أول قرار لعبد السلام عارف كان تحديد
الكريم فرحان في منزليهما وتكليف الدكتور ع
الجديدة.

كانت هذه التغييرات قد أضعفت قدرة ا
شعبية مطلقا..

التنظيمات القومية مشغولة بخلافاتها الـ
استجماع قوته ومواصلة نضاله.. وحزب البعـ

صفوف القضاة يوم تعيين صديقه كامل الخطيب رئيسا لمحكمة تمييز العراق
مخالفا بذلك نصوص القانون. ثم اضطراره إلى أصدار مرسوم آخر بتعيين
نائبا لرئيس المحكمة.

* كان عبد السلام عربيا أقليميا، ولم يكن قومياً وحدوياً (وإن كان قد ر
رفع شعار الوحدة بعد ثورة 14/ تموز). وقد تجلى أمر ذلك بعد ثور



المؤتمر طلب أن يزور أسواق القاهرة، وفي أحد المحلات التجارية الفخمة
أعجبته بعض قطع الأثاث البيتيه. فأخذ يتعامل عليها بنفسه. وبعد أن
اتفق شخصيا مع صاحب المحل على السعر وكان (15000 ألف جنيه
مصري) طلب من سكرتيره عبد الله مجيد أن يدفع المبلغ من حقيبة يحملها
ولكن صاحب المحل رفض استلام المبلغ بالعملة المصرية حسب تعليمات
حكومته. وهنا أصر عبد السلام على دفع المبلغ بالعملة المصرية التي حملها
معه من بغداد. ثم كثر الجدال وأرتفع صوته. وكاد الأمر أن يحدث أزمة
لولا تدخل الوزير المصري المكلف بمرافقته حيث اتصل تلفونيا بمسؤولي
حكومته ومن ثم حل القضية على أساس أن المبلغ قد سحب من رصيد
السفارة العراقية. أما عبد السلام فكان قد تشاغل وكأن الأمر لا يعنيه!!

* كان عبد السلام سريع الانفعال في حالة غضبه أو في حالة سروره على
السواء. أما في حالة غضبه، فربما يكون له عذر في ذلك لأن هذه الحال

تنطبق على أكثر العراقيين. وأما في حالة السرور، فهي حالة قليلة الحدوث بصورة عامة. وقد كان عبد السلام لا يستطيع ضبط نفسه أو السيطرة على عواطفه خلالها. حيث كانت تظهر انعكاسات ذلك على تصرفاته وفي كلامه.

في اليوم الثاني من قيام ثورة 14/ تموز وبعد مقتل نوري السعيد، خابرني كامل الخطيب واقترح علي أن أمر عليه في داره واصطحبه بسيارتي للذهاب إلى دار الإذاعة (المقر الوقتي لعبد السلام يومذاك) لتهنئته بنجاح الثورة. ولما ولجنا الباب الرئيس شاهدنا عبد السلام واقفا (مخبوصاً) وهو يصدر تعليماته ويوجه بعض الشباب. وما أن لمح كامل الخطيب الذي كانت علاقته به جيدة جداً، إلاوبادره بقوله (ها.. أبو مصطفى، شفت أشلون أنا بطل، عملناها وقتلنا الخونة) ثم أردف ذلك بقيامه بحركة صبيانية لا تليق به. وهنا اقترب منه الخطيب وقال له بصوت خافت: (يمعود اثقل)!!

وربما لم ينس العراقيون خطبه الارتجالية في الأسبوع الأول حينما التف حوله آلاف العراقيون وهم يهزجون مرحبين به ويظهرون فرحهم تجاه الثورة، حيث وقف متكلما وهو يصرخ بانفعال (لا قصور ولا ثلاجات ولا عمارات ولا سيارات إنها ثورة خاكية...).

* سرعة تقلبه وعدم ثباته على رأي واحد، وتأثره بما كان يقال له. وأخذه بكلام القائل من غير تمحيص سواء أكان سليما مقبولا، أم كان مدسوساً فيه افتراء واضح، وهذا ما اغرى به المنافقين والمنتفعين وأوقعه في كثير من المشاكل.

بعد قيام ثورة رمضان سألني يوما بعض المعلومات عن حزب البعث العربي الاشتراكي فشرحت له كثيراً من مفاهيم الحزب وأهدافه. وعززت

كلامي باعطائه نسخة من نظام الحزب- الدستور- وكتاب (في سبيل البعث) وبعض المنشورات الأخرى. وقد اقتنع بكلامي وأخذ يثني على مفاهيم الحزب ووعد بأنه سيكون قريبا منه. ولكنه سرعان ما أنقلب على الحزب وعليّ بالذات بعد تحريض أثنين من رؤساء الكتل المتعددة يومذاك المناهضان للحزب. وقد أدى الأمر إلى أعتقالي يوم 19/ تشرين بأمر شخصي منه].

هذا.. ومن جهة أخرى، فأن التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي في كانون الثاني 1974 قد أكد أن العراق في عهد عبد السلام محمد عارف "أصبح ملغوما بدرجة كثيفة بشبكات التجسس الأمريكية والبريطانية والإيرانية والإسرائيلية وغيرها. وكانت تلك الشبكات متغلغلة في القوات المسلحة وأجهزة الأمن والمؤسسات الاقتصادية، وفي بعض الحركات السياسية والدينية، وفي مراكز حساسة أخرى من الدولة والمجتمع، حتى كاد العراق أن يصبح ساحة مكشوفة أمام الأعداء الاستعماريين والصهاينة والرجعين".

وشهد الوضع الاقتصادي والاجتماعي بشكل عام تدهوراً وتردياً خطيراً. وأشتد التوتر والقلق بين الناس- كما يقول سمير عبد الكريم في كتابه "أضواء على الحركة الشيوعية في العراق"- حيث شعرت الجماهير بسلبية السلطة وعجزها عن القيام بأي شكل يكفل تحسين الوضع، وبقي العراق خاضعا للسيطرة الاقتصادية الاستعمارية المتمثلة- بالدرجة الأولى- في هيمنة الشركات الاحتكارية على أهم أكبر ثرواتنا والمصدر الأساسي لدخلنا الوطني. كما كان لتفشي النزعة الاستهلاكية وأهمال التنمية بجوانبها المختلفة، وللخلل الخطير في موازين التجارة الخارجية والفوضى والأنحراف السائد في سياسة الاقتراض والتعامل مع البلدان الاجنبية، آثارها الخطيرة على الاستقلال الاقتصادي للبلاد وعلى إرادتها.

أصبح الوضع الاقتصادي خاوياً تعمه الفوضى، وميزانية الدولة شبه خاوية....!!

وسادت في الريف العراقي أوضاع سيئة وبالغة التعقيد، بسبب طبيعة النظام العارفي والبيروقراطية واليمينية.

وقد زاد عدد الفلاحين المعدمين في الريف، كما زادت نسبة الهجرة من الريف إلى المدينة، وانخفضت إنتاجية الأرض، وأصبح العراق بلدا مستوردا للمحاصيل الزراعية، بعد أن كان بلدا مصدراً أو مكتفياً بانتاجه على أقل تقدير، دون أن يكون ذلك نتيجة مباشرة للزيادات الحاصلة في عدد السكان ومداخيل الأفراد وبالتالي زيادة الاستهلاك العام.

واتخذ النظام العارفي قرارات التأميم على نسق ارتجالي وغير موضوعي، وفي ظروف سياسية خاصة، وعدم إيمان النظام الذي أقدم عليها بمحتواها وأبعادها التقدمية، فزاد ذلك من التعقيدات التي تعاني منها الصناعة في البلاد واتسعت دائرة الفساد والعجز في هذا الميدان الحيوي، ووضع (أصحاب الشأن) و(الأهل والأقرباء) في مسؤوليات كبيرة لا يعونها، فأهتز الوضع الاقتصادي بشكل رهيب. كما أن سيطرة البيروقراطية واليمينية على المشاريع الصناعية المؤممة، وضع القطاع العام الصناعي- برغم ملكية الدولة له- في خدمة الأوساط الطفيلية والبرجوازية والبيروقراطية التي كانت تهيمن بأساليب مباشرة أو غير مباشرة، على مقدرات البلاد، وبذلك فقدت هذه الخطوة مضامينها التقدمية، وجعلت من القطاع الصناعي العام عالة على الدولة يستنزف ميزانيتها بدلا من أن يساهم في تطور البلاد الاقتصادي، ويمد الدولة بموارد جديدة، ويؤمن لها قدرا من العملة الصعبة.

غير أن الظواهر العامة التي كانت سائدة في الميدانين الزراعي والصناعي، ظواهر الفساد والتواطؤ مع البرجوازية، ونشوء الفئات الطفيلية المستغلة، كانت

سائدة في القطاع التجاري العام أيضا، فلم تحقق سيطرة الدولة على جزء من القطاع وجعله خاضعا للمصالح الوطنية ومخططات التنمية، كما لم تحقق نتائج إيجابية ملموسة لصالح الجماهير باستثناء توفير بعض السلع الأساسية بأسعار معقولة].

ويضيف سمير عبد الكريم عن عهد عبد السلام محمد عارف قائلا: "كان نظام الردة التشرينية نموذجا صارخا لتسلط زمرة من الارسطقراطية العسكرية اليمينية على البلاد، تلك الارستقراطية المنقطعة الجذور عن قاعدة الجيش وعن الشعب وعن حركته الوطنية، مما جعلها تستند استنادا مطلقا على العلائق العشائرية والطائفية والعائلية والشخصية ولا تجد من يتعاون معها غير الانتهازيين والمتساقطين من الحركة الوطنية، وتحول الجهاز الإداري إلى جهاز روتيني يتزعمه (مسؤولون) في النهب والسلب، فكثرت الاختلاسات والرشاوي".

ويؤكد الرئيس أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية في خطاب القاه في 1970 بمناسبة ذكرى ثورة تموز قائلا عن عهد عبد السلام محمد عارف: [وتحولت الدولة التشرينية ومؤسساتها إلى أوكار لعناصر الردة ووجوه الرجعية وأعوانها وعملاء المخابرات الأجنبية الذين أحتلوا فيها مواقع قيادية، كانوا يوجهون من خلالها شؤون السياسة والجيش والاقتصاد بشكل مباشر أو غير مباشر].

ويعود سمير عبد الكريم في كتابه آنف الذكر ليقول: "وباختصار فإنَّ حكم عبد السلام عارف كان حجر عثرة لابد من إزالتها، لكي يكون العراق في المكان الملائم من حركة التحرر الوطني والقومي، لأن وجوده صار خطراً يهدد أمن وآمال الجماهير، فالحكم المرتعد أمام الشركات الاحتكارية والملتقي جوهريا مع التخطيط الرجعي الاستعماري، والذي تتراوح عناصره بين الأميين والطارئين

السراق، من الخطورة بمكان أن يبقى في موقع التأثير في حياة الجماهير وصنع مستقلبها، لذا كان لابد من إزاحة هذا الحكم وتصفيته..]!!

وشنت صحيفة (الرقيب) السرية التي تصدرها الرابطة القومية في العراق- والتي يتزعمها عدنان الراوي والدكتور هشام الشاوي- حملة قاسية ضد نظام الرئيس عبد السلام محمد عارف في عددها (الأول- السنة السادسة) الصادر في شباط 1966- أي قبيل مصرع عبد السلام محمد عارف بشهرين، فكتبت تقول حول بيان القيادة السياسية الموحدة: "وهكذا لعب الحكم في العراق بعد أن شهر أفلاسه التام، ورقته الأخيرة، فكانت فشلا ذريعاً، بعد أن حلق بتوقعات السذج إلى القمم. جاء الهبوط إلى القعر مرة أخرى بذلك البيان (العتيد). ويتضح الآن للجميع بأن القاهرة لا تريد، ولا يمكن أن تتوقع، وحدة حقيقية مع حكم رجعي مزيف، أخذ العملاء بزمام الأمور فيه، كهذا الحكم في العراق. أما تأييد القاهرة لوحدة التراب العراقية، وبشجبها لتمرد الخونة الانفصاليين في الشمال، فهو ليس بجديد ولا بكثير على القاهرة، وهو موقف عام تمليه الاعتبارات القومية، لا الرغبة فيه اسناد حكم بغداد. وكان رائعا أن تشجب الأحلاف والتكتلات الاستعمارية بصراحة وقوة. ونحن على ثقة بأن القاهرة كانت ترغب في ذلك. غير أن المفاوض العراقي أصرَّ كما يبدو على صياغة النص بشكل قابل لتفسيرات عديدة، فجاءت الفقرة الثامنة من البيان ضعيفه جداً، واكتفت بالإشارة إلى "التمسك بسياسة عدم الانحياز ورفض الاحلاف والتكتلات" دون أي تحديد، وعليه بامكان (العباقرة) في بغداد أن يجدوا تعليلاً لارتباطهم بحلف إسلامي ديني صرف، حسبما يدعون لا يتناقض مع هذا الالتزام، خاصة وأن الفقرة التاسعة التي أضيفت بالحاح من الجانب العراقي تقول: "تأييد الخطوات التي اتخذها العراق لتوثيق علاقاته بالدول المجاورة له". أما طبيعة هذه الخطوات،

والغاية المرجوة من سفرة عدنان الباجه جي إلى تركيا والاتصالات مع الكويت وإيران، فهذا ما لا يعلن عنه، ويبقى طي الكتمان..

وختمت صحيفة (الرقيب) السرية كلمتها قائلة: "حكم العراق قائم على التزييف.. إننا لا نستغرب هذه الصياغة. أما وقد لعب ورقته الأخيرة، وكانت فشلا كاملا. فلينتظر أذن نهايته المحتومة"!

وهاجمت هذه الصحيفة السرية- الموالية للرئيس جمال عبد الناصر- في نفس هذا العدد الرئيس عبد السلام محمد عارف هجوما شديداً، كما هاجمت وزارءه وأعوانه كذلك.. فقد كتبت تحت عنوان (الغاز وأحداث وأخبار) تقول:

* الرجل الصغير في الكرسي الكبير.. ملهاة العراق المحزنة. لا ندري: انبكي من فرط الضحك، أم من شدة الألم؟!.. يا علماءُ النفس والاجتماع: كيف تفسرون هذه الظاهرة؟!.. أراذل الناس فوق القمم.. في بلد العروبة والأنفة والرجولة.

* ذلك الذي يستقبل العمال الكادحين متربعا على عرش كبير، إلا يثير الشفقة؟...قاتل الله الحرمان!

* ذلك الذي يتحدث عن غيبوبة ونبؤات.. الا يفضح ضحالته؟!.. قاتل الله الجهل!

* تتجاوب في أنحاء قصر كبير، أصداء لأقوال بذيئة، والدار بأهلها لا بجدرانها العالية!

* سياسة الحكم اتجاه الاعتداءات الإيرانية، فضيحة ومذلة كبرى.. أسود على شعبهم، وفئران أمام الأعاجم!

* أجمعت المنظمات والكتل القومية في العراق على إدانة الحكم القائم برمته، وكانت بياناتها صريحة وعديدة.

* عاد حاكم العراق، في عزلته الرهيبة، إلى ورقة الوحدة يلعبها مرة أخرى، ولن ينجح في ذلك مطلقا. جميع الجهات المعنية تعرف زيف نواياه وباطل غاياته، ضعوا المتاجرة جانبا فإنها لن تخدع أحداً بعد اليوم، واسقطوا القناع إذا كنتم رجالا؟!

* يقول العارفون أن بيان الإخوان المسلمين الأخير، الذي تطاولوا فيه بذلك الأسلوب الرخيص على السيد الرئيس جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة تفوح منه رائحة من يدعي بأنه (بديع) و(شريف).. ويعرف الجميع أنه وزع علنا في كل مكان، ولم تحرك السلطات ساكنا..!!

* أضيف إلى الراتب الضخم الذي يتقاضاه رئيس الجمهورية مخصصات لسائق وخادم..!!

* وزارة البزاز، في رأينا فرع فاسد عميل لأصل فاسد عميل، شعب العراق غني عن الاستشهاد بنصوص المواثيق لأدانته. أن وراء وزارة البزاز. حكما عميلاً رجعياً فاسداً، وخلاص العراق قمين بإسقاط هذا الحكم برمته لا بتغيير الوزارة فقط. الفرع يهلك بقطع الأصل، والأصل هو موطن الداء، ومصدر البلاء كله. إننا لا نرجو من هذا الحكم أي خير. كلما اسرعنا بتقويضه كان ذلك أصلح للشعب والوطن]!!

لقد تميزت الاتجاهات السياسية الداخلية في العراق في عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف كما يقول مجيد خدوري- بما يلي:

أولاً: تأكيد الحكم العسكري وبروز عبد السلام محمد عارف الرجل القوي في النظام، الذي لم تكن لديه الرغبة، شأنه شأن عبد الكريم قاسم. في الاعتماد على الأحزاب السياسية فبينما أثار قاسم حزبا على آخر، أمر عارف بحلها جميعها، وأعتمد على مجموعة من الضباط الوحدويين.

ثانياً: تأكيد الوحدة العربية، كأساس لعلاقات العراق مع الدول العربية الأخرى، وعلى الأخص مصر التي ازداد أنصارها السياسيون في البلاد بعد سقوط قاسم. وواصل عارف الذي نادى بوحدة العراق ومصر في سنة 1958 الدعوة للوحدة كسياسة رسمية لنظام حكمه. ولكن الوحدة السياسية ظلت من الناحية العملية بعيدة عن التنفيذ، كما كانت في أي وقت مضى. غير أن سياسة العراق الخارجية كانت تسير حتما في ركاب مصر. وقد أيد عارف علنا جمال عبد الناصر في مؤتمرات القمة العربية وفي المحافل الدولية.

ثالثاً: على الرغم من أن عبد الناصر شدد على الاشتراكية والعلمانية ولم يذكر الإسلام إلا على سبيل المجاملة، فأن عبد السلام عارف لم يبدِ باديء ذي بدء اهتماما بالاشتراكية. وأكد بأنه يستمد آراءه الاجتماعية والسياسية من الإسلام، لا من مصادر أجنبية. وظل حتى بعد أن استجاب للنفوذ المصري، وتبني الاشتراكية العربية في تموز (يوليو) سنة 1964، يظهر تمسكه بالدين مؤكدا بأن قاعدة الأشتراكية هي الإسلام].

**

كان عبد السلام محمد عارف.. كما مر بنا- قد ترعرع في منطقة الكرخ، المعروفة بأصالتها القومية ونزعتها العربية وبحبها للتقاليد الشعبية الموروثة، وفي محلة من محلاتها الشعبية الصميمة، وفي عائلة عربية تنتسب إلى عشيرة "الجمُيلة".

وكان عبد السلام محمد عارف شقيا (وكيحاً) في طفولته، ويتحدث لنا أحد زملائه في طفولته فيقول "أنه كان كثير الحركة، ومرة كنا نلعب في أحد درابين (أزقة) الكرخ كرة قدم، فمرت قطة (بزونة) بالقرب منا فلحقها عبد السلام- وكان على عداوه مع البزازين- وأراد ضربها، وكان بالقرب منه "صباغ عبي" يغلي قدره الذي يصبغ به العبي (جمع عباءة) فتعثر به- وانسكب ماء القدر المغلي على

قدمه اليسرى فانسلخ الجلد، وعولج من قبل أحد المضمدين غير أن آثار السلخ ظلت باقية إلى الأخير!!

ولكن عندما ولج مرحلة الشباب، كان يبدو عليه أنه أكبر من عمره في التصرفات السلوكية ولا يرتضي العبث مع الآخرين فتراه جادا في أكثر الأحايين، ولكن حين تحضره النكتة، كان لا يدعها تفلت منه مهما كانت الظروف!!

وبعدما تخرج في الكلية العسكرية، كان لا يحلو له إلا الجلوس في دكان لبيع السكائر لصاحبه السيد محمد العمر (موقعه كان على سكة الترام في محلة التكارته) بالكرخ ويجلس هناك ساعات فراغه، وعندما لا يكون لديه واجب عسكري- يساعد صاحب الدكان في (تزيين) السكائر. وكان أغلب معارفه وأصدقائه حينما يحتاجون إليه في شيء، يجدونه جالسا هناك.

وفي 18 شباط 1945 عقد الملازم الأول عبد السلام محمد عارف قرانه على "ناهدة" ابنة حسين فريد الرَّيس- وهي من مواليد الأول من أذار 1924- أي تصغره بثلاث سنوات!

وفي 8 آذار 1945 جرت حفلة زفافه واقيمت الأفراح بهذه المناسبة.

وانجب عبد السلام محمد عارف سبعة أولاد، ثلاثة ذكور وأربع بنات. وهم حسب تسلسل ولادتهم:

1- وفاء.. ولدت في 7 آذار 1947- وقد تزوجت بعدئذ من ابن عمها صلاح عبد السميع.

2- سناء.. ولدت في 26 كانون الأول 1950، وقد تزوجت من الدكتور وميض القادري.

3- أحمد.. ولد في 6 نيسان 1953، وقد تزوج من سيدة سورية، ويقيم حاليا في (أبو ظبي) بالخليج العربي.

4- جلاء.. ولدت في 1956- وهي غير متزوجة.

5- محمد ومحمود (توأمان) ولدا في 1958- توفي محمد في 6/ 10/ 1983 منتحرا. أما محمود فأنه يحمل شهادة (دكتوراه) بالطب البشري، ويقيم حاليا في (أبو ظبي).

وقد سئل مرة عبد السلام محمد عارف عن أسلوبه في تربية أولاده، فقال "نفس الأسلوب الذي نشأت عليه، وهو التمسك بأهداب الدين الحنيف، وعندما يشب الولد منهم أترك له حرية اختيار الطريق الذي يريده دون أي تدخل من جانبي إلا بالقدر الذي تحتمه أبوتي، وهو مجرد النصح والتوجيه..

واستطرد قائلا: "وهكذا عندما طلب ولدي أن يكون طياراً، وافقته وشجعته، وهكذا فعلت مع الآخرين اللذين اختارا أن يكونا ضابطين ليسهما في الدفاع عن الوطن".

اشترى الرئيس (النقيب) عبد السلام محمد عارف قطعة أرض تقع بالقرب من المقبرة الملكية في الأعظمية. وابتدأ ببناء دار له في الأول من شهر تشرين الأول 1949. وفي 15 كانون الأول 1949 اتم بناءها. وانتقل إليها في نفس اليوم. وقد حمل هذا المسكن رقم 24/ 9/ هيبة خاتون.

وفي عام 1962- في عهد عبد الكريم قاسم- حصل على دار في منطقة زيونة، المشيدة من قبل جمعية بناء المساكن للضباط، ولم يسكن هذه الدار، بل عرضها للايجار.

وفي أواخر أيامه سكن وعائلته في دار تعود إلى (آل الـذكير) تقـع بـالقرب من القصر الجمهوري، على نهر دجلة.

كانت أكلته المفضلة (الباميـة البايتـه)، يفطـر عليهـا في اليـوم التـالي مـع (الثريد)!

وكان يخلط الشاي مع الحليب، ولا يشرب الشـاي لوحـده إلا اضـطرارا. ويحتفظ بالشاي والحليب في (ترمس) في الثلاجة، ويشـربه بـاردا مثلجـا بعـد أن يصحو من قيلولته بعد الظهر.

وكان من المغرمين بالأكلة الشعبية المعروفة (الباجة)، وكـان يأكلـها دائمـا عند الباجه جي الشهير (ابن طوبان) الذي يقـع مطعمـه بـالقرب مـن مسـكنهم القديم في الكرخ.

كما كان من الذين (يحُلوّن) بعد الأكل- أي يأكـل الحلويـات بعـد وجبـة الطعام- وكان يحب (البقلاوة) الموصلية.

كان يهوى فـن التصـوير الفـوتغرافي.. وضـمت صـوره البومـات عديـدة لمراحل حياته وعائلته.

لم يذق المسكرات طيلة حياته.. ولم يدخن إلا نادرا.

كان انيقا في ملبسه، ويفضل الملابس ذات اللون الرصاصـي، أو الغامقـة. وعندما أصابه الهزال في أواخر أيامه، كان يفضل البدلات المخططة طولا.

كان يؤمن بأن (الأحلام) قد تكون صادقة عند (البعض)، وأنه كـان يـردد دائما مع أصدقائه وأقربائه بأن جميع (أحلامه) قد صدقت، ويستشـهد بـالآخرين الذين كان يقصها عليهم.

وعشية يوم سـفره إلى البصـرة، في جولتـه الأخـيرة، قـال لزوجتـه وابنتـه الكبرى بأنه رأى في (الحلم) ما ازعجه، وأنه ربما لا يعود إليهم!!

كان كريما سخيا، إذ كان يساعد الفقراء من أقاربه وأبناء محلته القدامي.. ويذكر اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب، وهو من المقربين منه حتى لحظاته الأخيرة: أن عبد السلام محمد عارف كان نزيها إلى أبعد الحدود، يعيش براتبه الرسمي، وأضيف إلى ذلك أنه عندما كان يقبض راتبه يتصل بي هاتفيا قائلا: "عندك وقت نذهب في جولة روحانية" فأفهم مقصده، فهو يريد بهذا التعبير الذهاب إلى عماته الساكنات في الأعظمية وتقديم 50 دينار لكل واحد منهن.

وكنت على صلة بوالده الحاج محمد عارف، أزوره ويزورني، وقد زرته يوماً، ولم أكن أدري أن الرئيس عبد السلام موجود في دار أبيه، وإذا به يحمل الشاي وهو يقدمه لي. لأن والده ليس لديه خادم يخدمه في الدار!

وكنت مطلعا على دواخله كثيراً، فما وجدت عليه- شهد الله- ما يمس في خلقه، وذمته، وسلوكه شيئا].

وفي منتصف الشهر الثالث من عام 1964 وزع ديوان رئاسة الجمهورية نشرة عن سيرة (رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف). وقد جاء في الفقرة (13) منها ذكر (صفاته العامة) بما يلي:

"أسمر اللون، أسود العينين، قوي البنية، معتدل القوام، متزوج وله سبعة أطفال، قوي الإرادة والقيادة والشخصية. محبوب من أقرانه واتباعه، يوثق به ويعتمد عليه ويتحمل المسؤولية بدرجة كبيرة. يتفاني في إداء واجبه بكل إخلاص. كتوم ومبدع. ذهنية وقادة. صريح جداً. طيب القلب والسريرة. طابعه الشجاعة والوفاء وكرم النفس. معلوماته العامة واسعة جدا. وبارز في الفنون والعلوم العسكرية. ميال جدا وشغوف بالمطالعة والتتبع والدراسة، لاسيما في القضايا السياسية والاجتماعية والأدبية. يعرف الناس معرفة حقه، مؤمن بالله أشد الإيمان. قوميته دعامتها الإسلام. له شعبية كبيرة في بلده بصورة خاصة، والبلاد العربية والإسلامية بصورة عامة].

وقيل في حينه، أن هذه (الصفات) التي اسبغت على الرئيس عبد السلام محمد عارف كان قد كتبها الدكتور محمد بديع شريف، رئيس ديوان رئاسة الجمهورية. وأن عبد السلام أضاف عليها بعض العبارات!!

كان يبدو على الرئيس عبد السلام محمد عارف أن تصرفاته تتسم- أحيانا- بالتناقض، فكان إذا جلس في غرفته بالقصر الجمهوري مستقبلا (شخصية) من رجال الدولة، أو (ضيفا) رسميا، ترتسم على محياه الجدية الصارمة..!!

وإذا كان خارج الدوام الرسمي، أو بعيداً عن (الرسميات) فعندئذ تظهر روحه المرحة، وتنطلق على لسانه (القفشات) و(النكت) ويضحك من كل قلبه!

فكان المقربون والمحيطون به يعرفون ذلك جيدا. فتراهم جادين في رسمياتهم، مرحين في خصوصياتهم خارج أوقات الدوام!!

ويحكي هؤلاء قصصا وطرائف عن عبد السلام محمد عارف لا يمكن عدّها أو إحصاؤها.. أو حتى ذكر بعضها..!

ففي الأيام الأولى- بعد قيام ثورة 14 تموز 1958- كان العقيد الركن عبد السلام محمد عارف يخطب في الجماهير بأسلوب العامة، وباللهجة البغدادية المعروفة!.

فنسمعه في خطبه في المعسكرات يستهل كلامه بـ"السلام عليكم أبو خليل" [في العراق يسمون "الجندي" بـ"أبو خليل"، و"الشرطي" بـ"أبو اسماعيل"].

وأطلق في كثير من خطبه شعارات جديدة- لاربط بينها، ولا تهدف إلى مفاهيم معينة. فتارة يقول: "أن جمهوريتنا اشتراكية، وطنية، إلاهية، خاكية..." وتارة أخرى"

"لاقصور، ولادور، لاحاكم ولامحكوم، لاأحزاب، لاكتل، أمة واحدة وحزب واحد"

"لاشرقية ولا غربية، لا جنوبية ولاشمالية، لاجوني ولاجون بول، وإنما حمدو حمود"

"لا إقطاع بعد اليوم، لا قصور، لا ثلاجات، لا تلفزيونات". "لاتفارت، لاطبقات، ولاجلالات، وفخامات بل حرية وعدل ومساواة".

وقد سببت هذه الخطب للعقيد الركن عبد السلام محمد عارف ردود فعل لدى الجماهير وكانت سببا مهما في التآلب عليه والتنديد به، وبالتالي أبعاده عن المسرح العسكري والسياسي.

وظلت هذه العادة مستحكمة به، ولو بصورة أقل- عندما أصبح رئيسا للجمهورية- فقد قال في أحدى خطبه في معسكر في "رانيه" عندما طلب الضباط والجنود أن يحدثهم ويلقي كلمة فيهم، قال ضاحكا: "شأحجي- البامية انقلبت شيخ محشي".

ويروي لنا عبد الرحمن فوزي- أحد كبار موظفي الإذاعة والتلفزيون في عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف "أن الدكتور محمد بديع شريف رئيس ديوان رئاسة الجمهورية كان يؤكد عليه دائما بحذف كثير من الكلمات من خطب الرئيس عبد السلام التي يلقيها في مناسبات مختلفة.

ويقول عبد الرحمن فوزي أنه كان يعمل "مونتاج" على الخطب التي يطلق فيها الرئيس عبد السلام الكلام على سجيته، من دون الأخذ بالاعتبارات الدبلوماسية والدولية، لاسيما تلك التي "ينكت" فيها!!

ومرة تناول الرئيس عبد السلام في خطبة له أحد رؤساء الدول وأخذ يسبه ويشتمه، "وينكت" عليه قائلاً:

- بشرفكم يا جماعة مو "صاحبنا" شكله يشبه الثور؟!

ويقول عبد الرحمن فوزي، أن الشريط المسجل عليه تلك الخطبة كان قد وصل إلى دار الأذاعة، لأذاعته.. غير أن سكرتير رئاسة الجمهورية عبد الله مجيد حضر بنفسه، وطلب شطب تلك الجمل من ذلك الشريط. مما اضطررنا إلى حذف نصف الشريط، وابقينا على ما يصلح منه للأذاعة. ولا يسبب الأحراج!

ويروي المصور الشهير السيد جان صاحب ستوديو (بابل)، أن عبد السلام محمد عارف كان يعتبر الأقدم في قائمة الضباط الذين خبأ لهم القدر موقعا خطيرا في العراق، ودأبوا على زيارته في محله بشارع الرشيد في بغداد، بل إن عبد السلام صار زبونا له مذ كان ضابطا برتبة ملازم في الجيش العراقي. وقد وثق له قرانه بقرينته يومذاك بصورة، ثم استمرت علاقته به حتى بعد تموز 1958..

"كان عبد السلام كثير التردد على المحل، وبعبارة أخرى كان أحد زبائني القدامي، ومن نتائج اعتياده على زيارتي، فإنه كان يلتقط صوره الرسمية إبان حكم البلاد في المحل. وقد سبق لي أن قلت أنني لم التقط صورة شخصية لمسؤول خارج الاستديو".

ومن المفارقات التي صادفها (جان) مع عبد السلام، أنه أحسَّ ذات مرة أن عبد السلام كان ضجرا، فسأله:

- خير.. سيدي..؟!

فأجابه عبد السلام: والله ياجان إن القيام بانقلاب عسكري عندي أسهل من التقاط صورة.

وتروي لنا السيدة وفاء عبد السلام محمد عارف، أن والدها- عندما كان رئيسا للجمهورية اختلف مع والدتها في أمر من الأمور "فجاء جدي، أبو

والدتي، وطلب من أمي أن تذهب معه إلى بيته، وعندما هم جدي الخروج من البيت تصحبه والدتي، التفت والدي نحوه وقال:

- والله يا عمي.. راح أركب الدبابة واجي لبيتكم وآخذ مرتي منك".

وتروي "نكت" عديدة عن عبد السلام محمد عارف، لاسيما تلك التي تمس الأمور السياسية..

فعندما قدم الأمير البدر ابن الأمام يحيى أمام اليمن إلى بغداد أصطحبه عبد السلام إلى جامع الأمام الأعظم لأداء صلاة الجمعة.

وبعد خطبة الجمعة، أعتلى عبد السلام المنبر والقى كلمة طويلة تحدث فيها عن الثورة التي أطاحت بالنظام الملكي في العراق، واستشهد بالأية الكريمة: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة".

وقيل في حينه، أن الأمير البدر الذي ينتسب إلى العائلة المالكة في اليمن قد امتعض من ذلك الخطاب، الذي أصبح موضوع تندر لدى الجماهير!

ويروي لنا الدكتور رؤوف نجم الدين الواعظ، المستشار الصحفي في السفارة العراقية بالقاهرة؛ أنه عندما عاد الوفد العراقي من زيارة السد العالي بأسوان بعد افتتاحه. كنا نحن أعضاء السفارة العراقية في القاهرة بتوديعه في مطار القاهرة الدولي. وكان "خروشوف" و"ابن بيللا" و"جمال عبد الناصر" و"عبد الله السلال" واقفين في المطار..

وجه "ابن بيللا" دعوة رسمية إلى "خروشوف" لزيارة الجزائر، (نظرا لمواقف الاتحاد السوفياتي المؤيدة لنضال الأمة العربية ومناصرة ثورة الجزائر)، فرحب "خروشوف" بهذه الدعوة "وأنه سيقرر موعدها بعد ذلك".

وهنا التفت الرئيس عبد السلام- الذي كان متواجدا أيضاً ويقف بالقرب من الرئيس الجزائري "ابن بيلا" قائلا للمترجم ضاحكا:

- قل له.. لو تموت ما تشوف بغداد.

وعندما قام المترجم بترجمة هذه الكلمات التي تفوه بها الرئيس عبد السلام محمد عارف، احتقن وجه "خروشوف"، ونظر إلى الزعماء العرب الواقفين، ثم انفجر ضاحكا وقال:

- انتو العرب.. مكارين!

ويروي لنا أحمد الحبوبي- أحد وزراء الرئيس عبد السلام محمد عارف- أنه عندما استقال هو وبعض زملائه من الوزارة، قال له عبد السلام:

- هاي الكفخة جتكم من عمكم من القاهرة؛ (ويقصد الرئيس جمال عبد الناصر).

وعند عودتي من القاهرة في شباط 1964 مع رشيد عالي الكيلاني في نفس الطائرة وبعد لجوئنا السياسي في الجمهورية العربية المتحدة والعودة إلى الوطن، بعد غياب خمس سنوات، استقبلني الرئيس عبد السلام محمد عارف في مكتبه برئاسة الجمهورية، فابتدرني قائلا:

- يابه.. اشسويتو هناك.. كلها قضيتوها بالونسة والراحة؟!

فاجبته فورا:

- يا سيادة الرئيس.. إذا كنتم قد حاربتم نظام عبد الكريم قاسم بالرشاشات والدبابات.. فنحن هناك في القاهرة- حاربناه بالكلمة والقلم، فضحك وقال: هاي.. غلبتني بيها!

وكان عبد السلام محمد عارف لا يتورع قبيل ثورة الرابع عشر من تموز

1958 من التلميح بـالثورة في المناسبات..، فعنـدما تعـرض الحـاج نجـم الـدين الواعظ- وكان مفتيا للديار العراقية- لحادثة اغتيال بالقرب من صـيدلية سـامي سعد الدين القديمة المقابلة للمتحف البغدادي عند جسر المأمون مـن قبـل أحـد الأشخاص قبيل تموز 1958 بأسابيع، زاره العقيد الركن عبد السلام محمد عارف في داره الواقعة في شارع الضباط بالأعظمية، وجرى الحـديث بينهمـا، وتواصـل حول الاوضاع الراهنة آنذاك في العراق، وفساد الحكم والتسبب في أجهزة الأمن والشرطة، وإمكان القيام الثورة في العراق على غرار ثورة يوليو في مصـر. وهنـا انبرى الحاج الواعظ متهكما بعدم القدرة على قيام مثل تلك الثـورة، "لأن مـاكو رجال بالعراق"!

فأجابه عبد السلام متحمسا: لاعمي.. أكو رجال بـالعراق.. وراح تسـمع قريبا شلون يسوون ثورة!

ولذلك سارع عبد السلام محمد عارف بعد نجاح ثورة تموز إلى زيارة الحاج نجم الدين الواعظ، فقال له باغتباط:

- هل صدقتني يا عمي.. إنه أكو رجال في العراق.. وشفت اشسوينا!

ويروي لنا الدكتور صباح العزاوي أنه شاهد العقيـد الـركن عبـد السـلام محمد عارف في ساحة الشهداء بالكرخ بالقرب من جامع حنان، وقد أخرج رأسه من سيارته في يـوم 15 تمـوز 1958 وصـاح بأحـد الأشـخاص السـائرين علـى الرصيف بأعلى صوته قائلاً:

- لك (فلان) شفت شلون كلبناها (أرأيت كيف قلبناها).

ومضى في سيارته.. وتركنا مشدوهين!

ويروي عن الرئيس عبد السلام محمد عارف أنه كـان كـثيراً مـا ينكـت في خطبه التي يلقيها على جماهير المحافظات ويستعمل الأمثلة والهوسات الشعبية.

ففي أثناء زيارته لناحية (الشـوملي) بمحافظـة بابـل ارتجـل أحـد الشـعراء الشعبيين قصيدة مرحبا بالرئيس عبـد السـلام، وعارضـا بعـض مطالـب أهـالي الشوملي، ومنها طلب أن تباشر الجمعية التعاونيـة في المنطقـة بتوزيـع الأراضـي على المستحقين وبانشاء جسر، وتبليط طريق الشوملي.

وبعد أن انتهى الشاعر الشعبي من قصيدته. رد الرئيس عبد السلام عليـه، بأنه سيطلب إلى الجمعية أن تباشر بتوزيع الأراضي، وسيكلف المسـئولين بأقامـة جسر. أما عن تبليط طريق الشوملي، فقال هازجا: "الشوملي، الشوملي، نـاركم، ولاجنة هلي".

وفي خطاب القاه الرئيس عبـد السـلام محمـد عـارف عنـد زيارتـه مدينـة "الرمادي" على جماهيرها المحتشدة، استهل ذلك الخطاب قائلا:

- يا أهل الرمادي.. يامن ذررتم الرماد في عيون الأعادي.

وضج الجميع بالتصفيق والضحك والاستحسان!

وفي خطاب آخر القاه في مدينة البصرة، استهل الرئيس عبد السـلام محمـد عارف كلمته التي القاها في الجماهير المحتشدة التي جاءت لاستقباله وتحيته، قائلا:

- يا أهل البصرة.. يا من زرعم نومي بصره، اشكركم وارحب بكم، وأرجـو أن تقدموا لي بعد خطابي هذا شاي نومي بصرة...!

ثم قال أيضا متحدثا عن مدينة البصرة، فوصفها بأنها "طاسه ابطن طاسـه، بالبحر رقاصة"!

فضحك الجميع، وضجوا بالتصفيق وصفير الاستحسان!!

وفي آخر خطاب له القاه في مدينة (القرنة) قبيل مصرعه في الطـائرة بمـدة وجيزة، قال تعقيبا على أحد خطباء الاحتفال الكـبير الـذي أقـيم لـه في سـاحة

البلدية، الذي كان قد طالب بتخفيض (المهور) لكي يتمكن الشباب من الـزواج وتكوين أسر عراقية:

- نذرا عليّ يا أهل القرنة.. لو الله مدَّ بعمـري، لازوجكـم جميعـاً، لتنجبـون للوطن صبيان وبنات، ولنفتخر بكم يوم القيامة.

وصفق الجميع له، هاتفين بحياته، ومتمنين أن تحقق أمنياتهم.

**

كنت قد أجريت حوارا في ضحى يوم 15 شباط 1964- أثـر عـودتي مـن القاهرة، بعد غياب دام ما يقرب من خمس سنوات، والفت العديـد مـن الكتـب هناك تناولت أحداث العراق السياسية- مع الرئيس عبد السلام محمد عـارف في مقره برئاسة الجمهورية في القصر الجمهوري.

وبدأ الحوار معه تقليديا: أين.. ومتـى ولـدت؟... مـا هـي المـدارس الـتي تخرجت فيها..؟ ومتـى تزوجـت.. وكـم ولـدا انجبـت؟ ومـاذا تتمنـى لمسـتقبل أولادك؟!

قلت له: ما هي أهم الكتب التي أثرت في حياتك؟!

أجاب: كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسـين هيكـل. وكتـاب (حيـاة نابليون). وكتب مصطفى صادق الرافعي. وسلسلة (الفكـر) الأوربيـة للـدكتور أحمد بدوي، وأهمها كتاب (نيتشه). وسيرة الخلفاء الراشدين. ومجلة (الرسـالة). ومؤلفات الأستاذ أحمد حسن الزيـات. وتفسـير القـرآن الكـريم للشـيخ محمـود شلتوت. ومؤلفات الشيخ شلتوت (شيخ الأزهر) وجمهورية أفلاطـون والكتـب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحديثة. ومقدمة ابن خلدون.

وسألته: ما هي أهم الشخصيات التاريخية التي أثرت في حياتك؟

أجاب: الرسول ﷺ. والخلفاء الراشدون. نابليون خالد بن الوليد عمر بن عبد العزيز: عبد الرحمن الداخل. أبو جعفر المنصور. جمال الدين الأفغاني. وصلاح الدين الأيوبي.

سألته: ما هي أهم الشخصيات المعاصرة التي تأثرت بها؟

أجاب: غاندي. نهرو. ديفاليرا. أتاتورك. ديكول. تشرشل. روزفلت. وجمال عبد الناصر.

سألته: ما هي أهم الأحداث العربية التي أثرت في حياتك؟

أجاب: نكبة فلسطين. الوحدة ما بين سوريا ومصر. الأنفصال ما بين سوريا ومصر. ثورة الجزائر. ثورة 23 يوليو. ومؤتمر القمة العربي سنة 1964. ثورة 14 تموز 1958. وثورة 14 رمضان 1963.

سألته: ما هي أهم الأحداث العالمية التي أثرت في حياتك.

أجاب: الحرب العالمية الثانية. اختراع القنبلة الذرية، اختراع القنبلة الهيدروجينية. رجل الفضاء. مؤتمر باندونك. التضامن الأسيوي الأفريقي. نشوء فكرة الحياد وقيام مؤتمرات الحياد وعدم الأنحياز.

سألته: من هم الأشخاص الذين أثروا في حياتك تأثيرا مباشرا وبصلة حية؟

أجاب: الوالد الحاج محمد عارف. عبد الكريم قاسم لأنه غيرّ مجرى تاريخ حياتي منذ الرابع من تشرين الثاني 1958 بأيداعي إلى السجن والأحكام التي بعدها.

سألته: ما هي أشد أزمة مررت بها في طفولتك؟

أجاب: ما بين الخامسة والسادسة سكب على رجلي قدر ماء كبير يغلي أشد الغليان كاد أن يودي بحياتي، لولا قدرة الباري حيث أقعدني الحادث أكثر من سنة.

سألته: ما هي أشد أزمة مررت بها في حياتك خلال العمل العربي؟

أجـاب: نكبـة فلسـطين سـنة 1948. نكبـة الانفصـال مـا بـين سـوريا والجمهورية العربية المتحدة.

سألته: ما هي مشاعرك ليلة الحكم عليك بالاعدام من قبل عبد الكريم قاسم الذي كان زميلا لك لفترة ما في العمل؟

أجاب: قلت إنَّا لله وإنا إليه راجعون، وكنت مؤمنا أشد الإيمان بـالله وهـو الذي ينقذني في أحلك الأزمات. وكلما تأسفت على تغيير الأمور عن الخطة التي وضعت إليها، والانحراف القاسمي الشعوبي الـدكتاتوري. وبطبيعة الحال تأسفت على خيانة الزمالة، وخيانة المواثيق والإيمان.

سألته: ما هي أحاسيسك وانت في السجن الإنفرادي؟

أجاب: كنت صابرا مؤمنا وصابرا على الأيام، ولكـنني كنـت متأكـداً كـل التأكد من أن النتيجة ستكون كما هي الان، وأن رسـائلي الـتي كنـت أرسلها خفية من السجن تؤيد ذلك.

سألته: ما هي الكتب التي قرأتها خلال فترة سجنك؟

أجاب: منعت عني كافة الكتب لسنتين ونصف، حتى الصحف، ولا املك إلا القرآن الكريم. ثم سمح لي بتفسير القرآن الكريم للطبري، وقبيـل الأفراج عنى سمح لـي بـبعض القصـص والصـحف المحـدودة جـدا، وكانت تقطع في أكثر الأحيان، وقبل أن يفرج عني بخمسة عشر يومـا سمح لي براديو ترانزستور. وحـين ذلـك قلـت لمـدير السـجن: "هيـئ الأسباب، سأخرج"، فاستغرب في حينه، ولكنني كنت أعرف لو لم يقرر كريم قاسم بنفسه إخراجي من السجن، لم يسمح بذلك، حيث أعرف أخلاقه أكثر من غيري.

سألته: كيف استطعت أن تلائم بين حياتك البيتية كزوج وأب وبين تحركاتك السياسية المجهولة النتائج في بعض الأحيان؟

أجاب: الإدارة في البيت قبل 14 تموز 1958 عربية صرفة، وبطبيعة الحال كانوا يجهلون جميع ما كنت أنوي القيام به. ولكن بعد 14 تموز 1958 ودخولي السجن أصبت بنكبة كبيرة إذ من الصعوبة بمكان إدارة العائلة وما اعانيه سواء كان في سجني أو مشاغلي الحالية. ومع ذلك نحن نوفق جهد الأمكان بين تربية الأطفال وإدارة الأسرة وما تتطلبه المسؤولية، ولكن الأخيرة طغت على أمور العائلة التي قد لا اتفرغ لها في كثير من الأحيان.

سألته: ما هو أحساسك عندما كنت تقدم على عمل ثوري يعرضك للموت أو الاعدام؟!

أجاب: أحساس شخص مؤمن بالله وبحق الشعب والأمة عليه، فكنت متأكداً من النصر في كل الأحيان، ولا أهتم بالحياة بقدر الذرة.

سألته: ما هي الأمنية التي تضرعت بها إلى الله على قبر الرسول (ﷺ)؟

أجاب: كل ما تمنيت به تحقق الان من القضاء على الخونة والاذناب والملحدين أي القاسميين الذين تعاونوا مع عبد الكريم قاسم وخانوا الأمانة..

أهدافنا القومية والإسلامية بعضها تحقق والآخر أن شاء الله في دور التحقيق.

وأما بالنسبة لي شخصياً لم أطلب سوى الغفران ورضا الباري، وأن يجعلني من عباده الصالحين، وأن تكون اسرتي، ومن معي على غرار ذلك، وأن يتشفع لنا رسولنا الكريم عند ربنا.

سألته: ما هي مشاعرك تجاه غدر عبد الكريم قاسم بك بعد صداقة وعمل طويلين؟

أجاب: ليس لدي جواب الان على سؤالك هذا.

سألته: كيف استقبلت ثورة 23 يوليو 1952؟

أجاب: لا جواب.

ثم طرحت عليه الاسئلة التالية، فلم يجب عليها... وهي:

س- كيف استقبلت حادث تأميم القناة؟

س- كيف استقبلت حادث العدوان الثلاثي الأثيم؟

س- ما هي عوامل الأزمة الكردية في شمال الوطن برأيك؟

س- ما هو اسلم حل بالنسبة لاوضاع العراق الراهنة للازمة الكردية بنظرك.

س- هل تحل الأزمة الكردية على مستوى عراقي أم على مستوى عربي؟

س- ما هي أهم اعتراضاتك على الأساليب التي اتبعها عبد الكريم قاسم في حل هذه الأزمة؟

وكان الرئيس عبد السلام محمد عارف يرد على هذه الأسئلة التي طرحتها عليه بكلمة.

- لا جواب.

قلت له: يا سيادة الرئيس: لماذا لم تجيني على هذه الأسئلة.. هل هناك محظور على مثل هذه الاسئلة.

أجاب ضاحكا: كلا.. ولكن بعدين أجاوبك عليها..!!

قلت: هل استمر في طرح الاسئلة.. أم نكتفي بذلك؟

أجاب: استمر.. ماكو مانع.

سألته: ما هي أهم المشكلات الاجتماعية التي يجب أن يوضع لها الحلول في عهدكم؟

أجاب: أهم مشكلة هي المشكلة الأخلاقية سواء كانوا القاسميين أو الشيوعيين المحليين أو غيرهم، كانوا يتصفون بالتفسخ الأخلاقي، فأهم شيء هو تقويم الأخلاق فرديا أو داخل الأسرة أو المجتمع.

* مشكلة الدين، فهذه الفترة العصيبة بالإضافة إلى الفترة الاستعمارية كان هؤلاء الخونة يحاربون الدين، بل يتأبطون الالحاد، فلذلك لدينا مشاريع هامة لدرء المحاولات الفاشلة الفاسدة والرجوع إلى الله. وديننا الحنيف الذي هو أساس حياتنا.

* الروح الشعوبية واللاقومية، فبفضل الاستعمار وأعوانه، إضافة إلى الفترة الحرجة لحين قيام ثورة 14 رمضان، ثم انحراف بعض القوميين بأظهارهم اللافتات والشعارات الزائفة. وعليه لدينا الطرق المثلى للاهتمام بقوميتنا ووحدة امتنا وحدة قومية إنسانية.

* النهج لجعل الشعب بتنظيم وشعور واحد للتوجه نحو الأهداف الحقيقية للأمة وفي حركة عربية واحدة ولدينا الأسس للعمل بصحة وبدقة على إنجاز ذلك.

* وأما المشاكل الاجتماعية الأخرى فلها دراساتها الخاصة، أسوة بباقي الأمم المتمدنة واضعين لها انجع الحلول.

سألته: ما هي أهم التشريعات التي تنوي الحكومة أصدارها في القريب؟

أجاب: الدستور المؤقت، وهو شامل ويحتوي على أسس لقوانين أخرى كالانتخابات والضمان الاجتماعي.

سألته: ما هي أهم المشاريع التي تنوي الحكومة القيام بها لقطع مسافة التخلف التي وقف عندها العراق بحكم الظروف القاسية التي مر بها العراق؟

أجاب: الحقيقة الحكومة مهتمة في أمرين إثنين، بالإضافة إلى واجبها نحو أهدافها القومية.

أولاً الأمن والاستقرار. ثانياً إنماء الحياة الاقتصادية وترتكز الحياة الاقتصادية على القطاعين الرئيسين: القطاع الزراعي والقطاع الصناعي. ونحن سائرون على أحدث الأساليب العلمية والعملية لأنجاز ذلك وفق مصلحة البلد.

وسألته: ما هي مشاعرك ليلة اتخاذ الأمم المتحدة قرارا بتقسيم فلسطين.. وأين كنت يوم ذاك؟..

وهنا قال الرئيس عبد السلام محمد عارف بأني لا أجيبك على هذا السؤال أيضا في الوقت الحاضر. وبعدين إن شاء الله أجيبك عليه. ثم نظر إلى الساعة المعلقة في الجدار المقابل لمكتبه وقال: سألقاك مرة أخرى في القريب.

وخرجت من مكتب رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف والاستغراب يحيط بي على عدم إجابته على تلك الأسئلة التي طرحتها عليه، والتي لا تقلق سياسة الدولة من قريب أو بعيد- بل كان في اعتقادي وتصوري. أن إجابة رئيس الجمهورية عليها في تلك الفترة- سيكون فيه جانب قومي ووطني يدعم مواقفه السياسية!

وبعد أن أصبح مركز الرئيس عبد السلام محمد عارف مأمونا تماما في الجيش في أيام حكمه الأخيرة- كما كان يعتقد- بعد تصفية الضباط المنافسين له، والقضاء على كتلة عارف عبد الرزاق، واقتناع جميع عناصر الجيش بأن الحكم لن يتردد في الضرب بيد من حديد كل من يشتبه بعدم ولائه واخلاصه..

بدأ رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف العمل لكسب التأييد الشعبي لنظام حكمه وراح يتجول في البلاد، ويخطب في كل مدينة وقرية.

وفي الأسبوع الثاني من نيسان 1966 بدأ عبد السلام محمد عارف جولة في المحافظات الجنوبية.

فقد غادر بغداد صبيحة يوم 12 نيسان من مطار الرشيد على متن طائرة روسية من نوع (توبيلوف 124) متوجها إلى البصرة، بقيادة الرئيس الأول (الرائد) الطيار عدنان أمين خاكي، يعاونه الرئيس (النقيب) الطيار طاهر صالح التكريتي والملازم الأول الطيار فؤاد القزاز والملاح الملازم الأول جعفر صادق الشكرجي. وكانت الطائرة تحمل رقم 634.

ويروي لنا الرئيس الطيار (اللواء فيما بعد) طاهر التكريتي قائلا:

أن سفرتنا وطيراننا كان مريحا. فالطائرة روسية الصنع قد حورت إلى كراسي مريحة والحقت بالرف الجمهوري. وعند وصولنا إلى مطار البصرة أمرنا الرئيس عبد السلام بأن نعود بالطائرة إلى بغداد، وقال: "ارجعوا إلى بغداد، وعند عودتنا سنطلبكم، لتعودوا بنا إن شاء الله".

وفي 13 نيسان سافر من البصرة إلى القرنة بالسيارة.

وفي القرنة حيث حُشّد نفر كبير من الأهلين، القى خطابا طويلا في ملعب البلدية استمر إلى ما بعد غروب الشمس.

وحين عودته في طائرة هليوكوبتر، كان القدر له بالمرصاد، فسقطت الطائرة به وبمرافقيه في أرض النشوة، بالقرب من القرنة. محترقة بمن فيها"!

وهكذا... انتهت حياة أول رئيس جمهورية في العراق..

وهكذا... ذهب عبد السلام محمد عارف مع الغابرين...

ولقي الموت- الذي كان لا يهابه في كل مراحل حياته- في ابشع صوره!

وترحم عليه مناصروه ومؤيدوه وبكوه بكل جوارحهم..

أما الذين كانوا يناهضونه فقد انزاح من أمامهم، ومن مسرح الأحداث، خصم عنيد جريء إلى غير رجعة.

وقال خصومه عند مصرعه: لقد صعد لحما وهبط فحماً!!

لقد استغرق حكم عبد السلام محمد عارف رئيسا للجمهورية العراقية، ثلاث سنوات وشهرين وستة أيام.. أي 1162 يوماً.

**

وفي السادس من تشرين الثاني 1980 وزعت مديرية التقاعد العامة على ورثة المشير الركن عبد السلام محمد عارف (هوية أسر الشهداء) وتسلم كل وريث مستحق حصته من راتبه التقاعدي.

أما تركته فقد وزعت على الورثة- بعد بيع الدارين (مسكن الأعظمية ومسكن دور الضباط في زيونة) بمبلغ 35 الف دينار. فنال ابناءه الذكور مبلغا لم يتجاوز الستة آلاف دينار، بينما كانت حصة الإناث مبلغا لا يتجاوز الثلاث آلاف دينار. وخمسة الأف كانت حصة زوجته!

***

محاكمته!

محاكمته!

وقف عبد السلام محمد عارف في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت المصادف 27 كانون الأول 1958- لأول مرة- في قفص الإتهام في المحكمة العسكرية العليا الخاصة التي يرأسها العقيد فاضل عباس المهداوي. وعضوية العقيد عبد الهادي محمد الراوي والعقيد فتاح سعيد الشالي والمقدم شاكر محمود عبد السلام والرئيس الأول إبراهيم عباس اللامي.

وكان يمثل الإدعاء العام العقيد ماجد محمد أمين.

وأعلن (المهداوي) أن محاكمة العقيد الركن عبد السلام محمد عارف ستكون جلساتها سرية.

وبعد أن وجهت الأسئلة التقليدية عن اسمه وعمره ومهنته ومحل سكناه وعن اسم محاميه.. قال المهداوي:

- يتفضل الأدعاء العام بالقاء الاتهام.

فوقف العقيد ماجد محمد أمين ليلقي بيان الادعاء العام:

سيادة الرئيس... أصحاب السيادة الأعضاء: يسرد الإدعاء العام اليوم قصة مؤلمة لخيانة أحد الضباط الأحرار الذي عمل تحت لواء الزعيم المنقذ عبد الكريم قاسم منذ سنة 1956 حتى انبثاق فجر الثورة التحررية في يوم 14 تموز الخالد. ولما ظهر الحق واشرقت شمس الجمهورية الديمقراطية الفتية وعلا صوت الشعب العراقي بعربه واكراده بانت النفوس على حقيقتها. وإذا بعبد السلام السائر خلف زعيم الضباط الأحرار بالأمس يتآمر على قتل زعيم الثورة اليوم ويقف بجانب الاستعمار وأدعياء القومية المزيفة والطامعين فينا صفا واحداً.. ولم تمض بعد أربعة أيام من عمر الثورة المباركة فكأنه كان معهم على موعد لخيانة الثورة وقائدها والشعب العراقي الحر الكريم.

يقول زعيمنا الشعبي الجرئ عبد الكريم قاسم.. (أنني لست وحدي هذا اليوم أنما أنا معكم وأنتم معي وأنا مع الشعب والشعب مني وأنا منه) بهذا الإيمان يا سيادة الرئيس الإيمان بالشعب عمل الزعيم الحبيب قبل أكثر من عشرين عاماً بكتمان وحذر وحكمة وإخلاص.

ومن أجل هذا الشعب حمل رسالة الثورة ونادى بها وصمم خطَطها وضحى في سبيلها بحياته براحته بزهرة شبابه بصحته يفكر بالشعب وبمصير الشعب يحس بأحساسه ويتألم لآلامه ويفرح لأفراحه وكان طيلة هذه الأعوام الطوال لم يهدأ له بال ولم يستقر على حال ما دام الاستعمار وعبيد الأستعمار يتحكمون بمصير بلده العزيز عليه وينهبون ثروات شعبه ويزجون بأبنائه المواطنين الأشراف في غياهب السجون والمعتقلات.

لم يهدأ له بال.. حتى انقض كالصاعقة ليلة 14 تموز بلوائي مشاة على وكر المؤامرات والدسائس ومعقد الاحلاف العسكرية العدوانية وبؤرة الظلم والفساد.. وكر الاستعمار.. وكر عبد الاله وفيصل ونوري السعيد.

ولم تمض ساعات قليلة من صباح 14 تموز الأغر وإذا بالكيان الاستعماري الدنس ينهار على رؤوس الخونة وإذا بالشعب يستجيب لنداء زعيمه الأوحد وينطلق كالمارد الجبار من السجن الكبير وراء سجانية يفتش عنهم كل شبر من أرض الوطن العزيز حتى قضى الشعب والجيش على رؤوس الخيانة في الحال ودفع بالباقي إلى السجون وظل يتعقب الذيول ولا يزال لهم بالمرصاد.. فكانت الأيام الأولى من الثورة حربا مقدسة بين الشعب من جهة وبين الاستعمار والجواسيس والأذناب من جهة أخرى.. بين الحق والظلم.. بين الحرية والعبودية.. بين النور والظلام.

قضاة الشعب.. كان من مكاسب تلك الثورة العظيمة وحدة الشعب وتكاتف وتضامن كافة المواطنين على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ولغاتهم

وعقائدهم وأديانهم.. هذه الوحدة المباركة التي ادهشت الأعداء قبل الإصدقاء وهذا الاجتماع الشعبي الشامل على التمسك بالنظام الجمهوري الديمقراطي والذود عنه وحمايته من اعتداء كل مخرب أفاك ومفرق هدام.

وقد شعر الاستعمار والأذناب والخونة والطامعون بخطر وحدة الصف الداخلي على مصالحهم وأغراضهم فبادروا على الفور بتدبير المؤامرات الدنيئة لتحطيم الوحدة العراقية المباركة والكيد لها وتفريق كلمة الشعب وأضعاف إرادته وتمزيق شمل الأمة وتجزئة العراق الحبيب إلى أجزاء متخاصمة ولكن خاب فأل الاستعمار والمشعوذين والطامعين... إذ قضى الشعب العراقي الحر بقيادة زعيمه عبد الكريم قاسم على كافة مؤامراتهم وهي في مهدها مما زاد في رص الجبهة الوطنية وفي التفاف الشعب حُول زعيمه المنقذ وفي التمسك بوحدة عربه واكراده ونظام جمهوريته الديمقراطي السليم.

وقد شاهدت ساحة محكمة الشعب الكثير من هؤلاء الخونة أعداء الشعب وأعداء الجمهورية الديمقراطية أعداء القومية المتحررة يتمرغون في خياناتهم أذلاء مستضعفين تتعثر ألسنتهم في قول الحق وتسودُّ وجوههم عند سماع الأدلة الدامغة.

ويقف المتهم عبد السلام اليوم في صف هؤلاء أعداء الشعب وأعداء الجمهورية الديمقراطية وأعداء القومية العربية المتحررة.. دفعه حب الظهور إلى التآمر على الشعب وهو في غمرة النضال يكافح تحت قيادة بطل 14 تموز الزعيم عبد الكريم قاسم، وبدافع مركب النقص هذا انساق لارتكاب أبشع جريمة وهو يرى بعينيه كفاح الشعب العراقي العظيم والتفافه حول جيش الشعب وزعيم الشعب في سبيل القضاء على الجلادين أذناب العهد البائد وركائز الاستعمار.

وقد سمع بأذنيه زئير الشعب يشق الآفاق هاتفا بحياة الجمهورية الديمقراطية وبحياة جيش الشعب وبحياة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم محطم

الأغلال والرائد الشريف للقومية العربية التحررية والحارس الأمين للجمهورية الديمقراطية ونصير السلام في الشرق العربي.

رأى المتهم الحاضر بعينيه كل هذا ولمسه بيده فلم يستطع ضبط نفسه فأفلت زمام أمورها وغلى الحقد في قلبه وملأ الطيش رأسه وأخذته العزة بالأثم وإذا به يرى نفسه فوق الشعب لا بل الشعب لم يكن في حسابه شيئا مذكورا.. فحمل معول الهدم بدلا من مشعل الحرية وتآمر على الجمهورية الديمقراطية الفتية بدلا من اعلاء شأنها وإرساء دعائم كيانها.. وحمل لواء الفرقة وتصديع الجبهة الداخلية بدلا من تدعيم وحدة الشعب ورص الصفوف ورفع سلاح الخيانة والغدر لاغتيال زعيم الأمة وحبيب الشعب بدلا من تقديم الولاء والأخلاص والطاعة لمن أحسن إليه وجعل منه نائبا لرئيس الوزراء ومعاونا للقائد العام للقوات المسلحة ووكيلا لوزير الداخلية.. وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان..

قضاة الشعب.. أن دور المتهم في حركة الضباط الأحرار قبل 14 تموز يلقي الضوء على نواياه بعد الثورة الكبرى.. أننا نعلم علم اليقين أن المتهم عبد السلام لم يكن أحد مؤسسي هذه الحركة ولا حتى من الضباط الأحرار الأوائل وأنما انظم إلينا في السنوات الأخيرة. وخلال سنة 1956 وقد عارض كافة الضباط في قبوله إذ لم يكن شخصياً محلاً لثقة الجميع وهو يعلم قبل غيره أنه لم يكن في عداد هذه الزمرة الطيبة من الضباط لولا رغبة وأصرار زعيمنا وقائد ثورتنا عبد الكريم قاسم بقبوله.. وأنني أترك تفصيل ما قام به من أعمال إلى الشهود العقيد وصفي طاهر والعقيد الركن عبد الوهاب أمين والعقيد رفعت الحاج سرى والعقيد عبد الكريم الجده نظرا لارتباطه معهم في السابق.. إلا أنني أورد لكم قضية واحدة نظرا لعلاقتها بموضوع الدعوى وبنشاط المتهم الذي أدى إلى شق صفوف الشعب بعد قيام الثورة المباركة.. كان من أهم المواضيع التي

بحثت قبل الثورة موضوع تقرير الوحدة أم الاتحاد مع الدول العربية الشقيقة وقد دام نقاش هذا الموضوع ثلاثة أيام وانتهى بإقرار وحدة الشعب العراقي عربا واكرادا كخطوة أولى لترصين الجبهة الداخلية والأخذ بمبدأ التضامن والتعاون والتكافل مع الشقيقات العربيات طيلة مدة فترة الانتقال حيث يستفتى الشعب بعد هذه الفترة استفتاء حرا لاختيار النظام الذي ينبثق عن رغبة وارادة أكثرية الشعب سواء في الوحدة أم الاتحاد. فاذا كان الأمر كذلك لماذا خرج المتهم وبعد أربعة أيام من قيام الثورة على هذا القرار الخطير؟ وكيف جاز له أن يخرج على إرادة الشعب وهو أصغر فرد فيه.

قضاة الشعب.. قلت سابقا لما ظهر الحق وأشرقت شمس الجمهورية الديمقراطية الفتية وعلا صوت الشعب العراقي بعربه واكراده بانت النفوس على حقيقتها وإذا بعبد السلام المفروض فيه أن يسعى لتوحيد كلمة الشعب ورص صفوفه تحقيقا لسياسة زعيم البلاد الأوحد يتنكر إلى كل ذلك بدافع من شهوة الحكم والانانية وحب الظهور وأخذ يسعى حثيثا منذ الأيام الأولى للثورة لجمع رهط ضال من البعثيين أدعياء القومية المزيفة وغيرهم من الموتورين تحت شعارات مضللة القصد من ورائها تفريق الكلمة وشق الصفوف بغية الوصول إلى ناصية الحكم. كما أخذ المتهم يكتل الضباط وينظمهم ويقرب من يدعو لتقديسه ويبعد كل من لا يؤمن به ولا يعترف بزعامته.

وسيطر على مطبعة الشعب والأخبار وأصدر جريدة الجمهورية بأسمه الصريح وصار يوجهها بنفسه توجيها يتنافى مع روح الثورة ودستور الجمهورية الديمقراطي المؤقت كما اتخذ من مقرها وكراً للمؤامرات والدسائس مما أدى إلى انشقاق وبعثرة الجهود في صفوف الوحدة الوطنية الأمر الذي أحدث ثغرات كثيرة استغلها الاستعمار والرجعية والإقطاع والطامعون لمصلحتهم فكان من جرائها هذه السلسلة من المؤامرات الدنيئة والتي يقصد منها جر سفينة

الجمهورية إلى شاطئ الخراب والدمار، والعودة بنا إلى دور العبودية والسير وراء ركب الاستعمار ولعل اكتشاف المؤامرة التي كان يروم القيام بها العقيد أحمد حسن البكر وزمرته الباغية في القضية التي احيلت على محكمتكم المحترمة خير دليل على ذلك.

قضاة الشعب.. ظهر من شهادة العقيد عبد الكريم الجدة والمقدم عبد الغني عبد الستار بأن المتهم كان لا يمانع في الاستعانة بالقوات الأجنبية المرابطة في الأردن ولبنان آنذاك في التدخل بشؤون العراق الداخلية والقضاء على ثورة الشعب في 14 تموز حيث قال المتهم بصدد إصراره على البقاء في العراق وعدم الذهاب إلى (بون) بقوله (أريد أن يستفيد الاستعمار خير من أن يستفيد الشيوعيون) ولا ندري من هم الشيوعيون الذين يقصدهم المتهم هل الشعب الذي بارك الثورة في اللحظات الأولى والتفت حول زعيمها وظل ولا يزال الحارس الامين لكيانها ومبادئها أم أدعياء القومية المزيفة من أمثاله الذين تآمروا مع الاستعمار والرجعية والإقطاع والمنتفعين والوصوليين على كيان جمهوريتنا الحبيبة وشعبنا العظيم.

وقوله أيضا (كان يجب أن استمر إلى الفلوجة ولا أنفذ الخطة) وكان يقصد من ذلك خطة 14 تموز التي كلفه الزعيم عبد الكريم قاسم بتطبيق جزء منها وقوله أيضا (أني متندم واقرأ الفاتحة على روح نوري السعيد) أبهذه العقلية الرجعية الاستعمارية الاعتدائية الضحلة الآسنة تريد أن تحكم الشعب العراقي الذي أنطلق كالأسد الوثوب يوم 14 تموز.

تصوروا يا قضاة الشعب لو قدر الله لهذه العقلية أن تستولي- لا سامح الله- على منصة الحكم، ألم تكن دماء أبناء الشعب الزكية تسيل كالنهران في شوارع بغداد وبقية المدن العراقية الأخرى؟ عقلية تندب حظها على قيامها بعمل

شريف وتترحم على حياة نوري السعيد القذرة النتنة وتتمنى قراءة الفاتحة. ما سمعنا هذا حتى من الذين كانوا يعيشون على فتات موائد نوري السعيد.

ولما انكشفت حقيقة المتهم وافتضح امره لجأ إلى ابشع الطرق واخسها، طرق الغدر والاغتيال طرق الخبث والجبن فجعل هدفه حياة الزعيم الحبيب عبد الكريم قاسم، ومادري بأن كل الشعب هو عبد الكريم قاسم وكل فرد فيه حارس لحياة عبد الكريم قاسم.

قضاة الشعب.. ولما فشل المتهم وعصابته المجرمة في القضاء على حياة زعيمنا الغالي استمرت هذه العصابة على العمل في الخفاء وخلال وجود المتهم في بون عمل على ايصال حلقة المؤامرات وربطها بالسلسلة المرسومة لها وصرنا نسمع بأن حدثا خطيراً سيتم في 5- 11 وأن لهذا الحدث أهميته الكبرى بسياسة العراق الداخلية والخارجية وأن المتهم سيعود إلى العراق ويشترك في الحكم بعد نجاح انقلابه المزعوم ومما يؤيد صحة هذه الشائعات عودته من بون يوم 4- 11 رغم تبلبغه ببرقية وزارة الخارجية المؤرخة 31-10 المعنونة إلى السفير علي حيدر سليمان في بون والتي تنص على مايلي:

(مايلي من سيادة رئيس الوزراء.. أن الموقف في الوقت الحاضر يقتضي بذهابه إلى بون وبعد مدة يخبرنا برأيه).

وكذلك تأكيده الشخصي على الطيار جاويد عمر بعدم الأباحة بأسمه وهويته ثم طلبه سيارة تقف جنب الطائرة خلافا لما هو متبع في المطارات لنقله متخفيا عن الانظار إلى داره وعلى طريق جسر الصرافية.

قضاة الشعب.. أن الإدعاء العام يرى بأن هذه الحوادث ما هي إلا جزء من تطبيق خطة المؤامرة التي وضع الشعب وزعيمه اليد عليها فازاح ستارها وكشف حقيقتها وكما تأيد لنا من شهادات الشهود بأن إدارة جريدة الجمهورية

أخذت تبث الدعوى لهذه المؤامرة وتصرح بأن المتهم سيشترك بمظاهرات في شوارع بغداد يوم 5-11 حاملة لافتات وصور للزعيم عبد الكريم قاسم تحتها صورة جمال عبد الناصر كان الغرض منها رفع صورة الزعيم وإبراز صورة جمال عبد الناصر بعد نجاح المؤامرة المزعومة.

التكييف القانوني: الإدعاء العام يسند للمتهم الأفعال الجرمية التالية:

1- أن المتهم عبد السلام عارف كان له نصيب في تنظيم وقيادة عصابة موتورة من الضباط تترأس بعض القطعات المسلحة بقصد القيام بثورة ليلة 4-5 تشرين الثاني للقضاء على نظام الحكم القائم وتغييره كما جاء في شهادات الشهود المحفوظة باضبارة القضية كل ذلك مما ينطبق على أحكام المادة (80) من قانون العقوبات البغدادي لذا اطلب تجريمه بمقتضاها والحكم عليه بموجبها.

2- أن المتهم أخذ يتحين الفرص للانفراد بزعيم البلاد واغتياله وقد تأيد من شهادات الشهود: الزعيم المتقاعد فؤاد عارف متصرف لواء كربلاء والزعيم الركن محي الدين عبد الحميد قائد الفرقة الرابعة والعقيد عبد الكريم الجدة بأن المتهم سحب مسدسه عندما كان في مقر الزعيم عبد الكريم قاسم قاصدا قتله. إن عمله هذا ينطبق على أحكام المادة (214-6-60) من قانون العقوبات البغدادي. لذا اطلب تجريمه بمقتضاها والحكم عليه بموجبها.

قضاة الشعب.. أن الإدعاء العام يطالبكم باسم الشعب الذي تحرر من عبودية العهد الأسود عهد الأستعمار عهد عبد الاله وفيصل ونوري السعيد أن تقطعوا رؤوس الخيانة التي أرادت أن تعود بهذا الشعب إلى قبضة الاستعمار والرجعية والاقطاع، أن تعود به إلى الظلام بعد أن رأى النور وإلى العبودية بعد

أن تنسم عبير الحرية وإلى السيطرة الأجنبية وتحكم الاقطاع والرجعية بعد أن حطم هذه القيود وعاش حرا مستقلا سيدا].

المهداوي- هل أنت مذنب أم بريء؟

عبد السلام- بريء إن شاء الله.

ثم نودي على الشاهد الأول، الزعيم (العميد) المتقاعد فؤاد عارف- 45 سنة- متصرف كربلاء- وبعد أن أدى اليمين- سأله المهداوي رئيس المحكمة:

- بين شهادتك حول محاولة المتهم عبد السلام محمد عارف في اغتيال سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء وما هي الدوافع لذلك؟

الشاهد- عندما نقل العقيد عبد السلام محمد عارف إلى وظيفة سفير في بون أنا كنت يوم الخميس في بغداد ذهبت لزيارته في داره أنا والسيد طاهر يحيى ووجدته في داره ولم يتكلم حول ذهابه أو عدمه.

في يوم الجمعة جئت إلى الزعيم فقال لي أن العقيد عبد السلام لايريد الذهاب إلى بون فأنت بصفتك صديقه وصديق الجميع تذهب لتنصحه بالذهاب إلى بون.

جئت صباح السبت أنا والعقيد طاهر يحيى إلى دار المتهم وتكلمنا معه بالموضوع ونصحته بالسفر فأجاب بأن وضعه لا يساعد على السفر إلى بون في الوقت الحاضر وذلك لمرض أهلي، ولا زلت أنا ساكن في الكراج، فبعد مناقشة قلت له لنذهب إلى الزعيم فوافق على الذهاب. فجئنا لسيادة الزعيم أنا وطاهر يحيى والمتهم وعند وصولنا نزل طاهر يحيى، ولم يرافقنا إلى سيادة الزعيم فذهبت والمتهم ولم نجد الزعيم لأنه كان خارج فجلسنا في غرفة السكرتير حوالي ربع ساعة وبعد ذلك ذهبنا إلى الزعيم أحمد صالح العبدي فجلسنا هناك فقلت لأحمد

صالح العبدي أنت تكلم مع العقيد عبد السلام بلزوم الذهاب لأن الظروف تتطلب ذلك وحاول أحمد صالح العبدي اقناعه فلم يتمكن مجيبا أني لا أذهب.

وبعد ذلك جاء الزعيم فكان الزعيم ينصحه وأنا وأحمد صالح العبدي فكان يتذرع بشتى المعاذير بعدم تمكنه من الذهاب إلى بون. وفي حوالي الساعة الحادية عشرة خرج أحمد صالح وذلك لوجود موعد له مع السفير التركي وبقينا أنا والعقيد عبد السلام والزعيم في غرفة الزعيم عبد الكريم، وخرجت أنا من الغرفة لأفسح المجال للزعيم ربما وحده يمكنه أن يؤثر عليه. وعند خروجي قال لي الزعيم أين ذاهب؟ فقلت له ذاهب خارج الغرفة وسأعود فعلمت من كلامه بأنه لا يرغب بخروجي، ورجعت حالا إلى الغرفة. وكانت المحاولات لاتزال جارية وكان الزعيم ينصحه ويقول له بأنك شطرت البلد إلى قسمين ويجب أن تسافر إلى خارج العراق حتى تهدأ الأمور وترجع وكان جوابه بأن وضعه لا يساعد وكان في ذلك الوقت الجو حار، وأنا كنت داخل الغرفة لمدة خمسة ساعات وكنت واقف اتطلع إلى الصورة وظهري بمواجهتهم وفي هذه الأثناء سمعت الزعيم يقول ماذا تعمل يا عبد السلام وعندما استدرت وجدت عبد السلام داخل الغرفة وجالس على الكرسي ويده تحت السترة والمسدس ظاهر من يده والزعيم عبد الكريم ماسك بيده فهجمت عليه وأخذت المسدس من يده.

الرئيس- المسدس خارج الغلاف؟

الشاهد- خارج الغلاف لكنه تحت السترة لم يخرج خارج السترة فلم اره لأن الزعيم ماسكه من معصمه. وبعد ذلك دخل الزعيم محي حميد، وأنا بعد أن أخذت المسدس من يده انسحبت إلى الجانب وافرغت المسدس. وعندما دخل الزعيم محيي سأل قال: ماذا بعبد السلام وكان عبد السلام لا العفو إني لا اقتلك ولا يمكنني قتلك، فقال له الزعيم

كيف تثبت أنك تريد قتل نفسك ولماذا لم تقتل نفسك في بيتك، تأتي إلى هنا لتقتل نفسك؟ هذه المحاولة التي حصلت، عندها دخل العقيد آمر الانضباط وقال أخاف لديه مسدس آخر فتشوه فلم يجدوا.

الرئيس- آمر الأنضباط عبد الكريم الجدة؟

الشاهد- نعم.. فدخل الجماعة الباقون جميعهم الزعيم أحمد وقواد الفرق الأربعة وناجي طالب فجلسنا جميعاً وتقدم الزعيم كريم إلى عبد السلام وقال له: عبد السلام عفيت عن هذا الشيء الذي صدر منك ومصلحة البلد تقتضي أن تسافر خارج العراق لأن البلد انشق إلى قسمين لأني أريد أن أبعدك عن أشخاص السوء وعندما تستقر الأمور ترجع. فأجاب بأني لا أسافر..

الرئيس- عمن يبعده؟

الشاهد- إذا كنت تقول أني لم أعمل شيء فابتعد عن أشخاص السوء وكان يتذرع بأن وضعه لا يساعد وأعذار أخرى وعندما حان وقت الغذاء تغدينا وبقينا حتى الليل فاقترحت أن نتركه والزعيم عبد الكريم يتكلم معه لربما يؤثر عليه، فخرجنا إلى خارج الغرفة ولم نعرف ما دار بينه وبين الزعيم وبعد ذلك دخلنا إلى غرفة رئيس أركان الجيش فوجدناه جالساً بالقرب من الزعيم عبد الكريم، فقال إني ساسافر وفعلاً سافر صباح يوم 9-10-1958 وأنا والزعيم أوصلناه إلى المطار.

الرئيس- ما هو الدافع الذي جعلك تبكي في حادثة سحب المسدس من قبل المتهم على الزعيم؟

الشاهد- كل واحد له ضمير وشرف يتألم لهذه الظروف الحالية لأني كنت أعرف علاقة عبد السلام مع الزعيم عبد الكريم مثل أخ أو ابن

ووالد. فسحب المسدس في تلك الظروف حقيقة تألمت وحدث لي شعور غريب.

ثم نودي على الشاهد الثاني الزعيم (العميد) محي الدين عبد الحميد- 44 سنة- ضابط في الجيش- وبعد أن أدى اليمين سأله المهداوي رئيس المحكمة عن دافع عبد السلام عارف لمحاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم. فأجاب قائلاً:

- سيادة الرئيس كنا مجتمعين بلجنة ترقية الضباط وأرسل علينا رئيس أركان الجيش للحضور في غرفته فحضرنا نحن قواد الفرق في غرفة رئيس أركان الجيش فشاهدنا هناك سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم وأخبرنا أن عبد السلام عارف بالوقت الحاضر موجود في غرفته وممتنع عن السفر إلى الخارج بعدما تم الانفاق على سفره، وطلب سيادة الزعيم عبد الكريم من عندنا أن نعقبه بعد ذهابه إلى غرفته بعد دقيقه واحدة من ذهابه، فلما ذهب سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم إلى غرفته فنحن قواد الفرق تبعناه. كنت أنا أسير في المقدمة ودخلنا غرفة السكرتير، فكان على باب غرفة الوزير الذي بين غرفة السكرتير والوزير كان العقيد وصفي فطلبنا منه أن ندخل ففتح الباب ودخلنا فكنت أول الداخلين فشاهدت عبد السلام عارف جالس على الكرسي أمام الباب وسيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم منحني عليه والزعيم المتقاعد فؤاد عارف بجانب الكرسي، فلما تقدمت إلى الكرسي في هذه الأثناء رأيت فؤاد عارف يأخذ المسدس من يد عبد السلام وذهب إلى جانب والزعيم الركن عبد الكريم قاسم كان ممسك بيده وهو قابض وثم فؤاد عارف أخذ المسدس فبقي عبد السلام عارف في محله، واستدار إلى الخلف وأنا جلست بجانبه والزعيم الركن عبد الكريم قاسم جلس، وكان عبد السلام يبكي، وكان الموقف حرجاً جداً ولا نعرف الأسباب ما هي وسألته لماذا هذه الأشياء لماذا هذه الحوادث

تحصل باعتبار أنه هو كان لما دخلنا، وطلبنا سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم على أساس هو بدل رأيه بالسفر. أمتنع عن السفر بعد ما تم الاتفاق، وبقينا نتداول الحديث وبعدئذ جاءت فترة الغذاء، وبعد ذلك أخذنا عبد السلام عارف إلى غرفة رئيس أركان الجيش حتى نترك سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم إلى أشغاله وكان من وقت إلى آخر يحضر الزعيم عبد الكريم قاسم إلى الغرفة وبقينا حتى الساعة العاشرة ليلا من الساعة الحادية عشر والنصف صباحا حتى الساعة العاشرة مساء، وبعدئذ قرر عبد السلام عارف السفر، وفي اليوم الثاني ودعناه في المطار هذه خلاصة الحادث الذي وقع والذي شاهدته.

الرئيس- الكلمات التي تفوه بها المتهم والزعيم الركن عبد الكريم قاسم في هذا الحادث في حادث سحب المسدس من قبل المتهم على الزعيم؟

الشاهد- الحديث دار خلال هذه المدة كثير ولكن في بداية الأمر كان الزعيم يعاتبه عن الأسباب الداعية إلى سحب المسدس فرد عليه عبد السلام عارف أنا أريد أقتل نفسي فقال له تريد تقتل نفسك أقتل نفسك في بيتك وليس هنا في غرفتي تسحب مسدس هذا في بداية الأمر بعد سحب المسدس مباشرة.

الرئيس- هل كان في المسدس عتاد وهل العتاد كامل؟

الشاهد- نعم كان فيه عتاد ولا أعرف هل كامل العتاد أم لا.

الرئيس- هل كان شعور الزعيم بأن المتهم يروم قتله؟

الشاهد- نعم سأله لماذا تسحب المسدس علي؟ فادعى أنه يريد الانتحار أجابه الزعيم بأن الأنتحار لا يكون هنا في غرفتي.

ثم نودي على العقيد عبد الكريم عبد الرحمن الجدة- 40 سنة، آمر الأنضباط العسكري.

وبعد أن أدى اليمين سأله المهداوي رئيس المحكمة عن شهادته حول محاولة عبد السلام محمد عارف اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء، وما هي الدوافع لذلك، فأجاب قائلا:

- عندما تبلغ العقيد الركن عبد السلام عارف بالذهاب لاستلام مهام منصبه في بون سمعنا أنه رفض وأبى الذهاب فجاء وطلب الزعيم فحضر في وزارة الدفاع في الساعة العاشرة من اليوم الذي سبق سفره إلى بون. وبقي هناك وكان قادة الفرق الأربعة مجتمعين ورئيس أركان الجيش الزعيم أحمد صالح وكانوا يأخذوه مرة إلى غرفة الاجتماع ومرة إلى غرفة الزعيم ونحن واقفين على الأبواب في الخارج. من جملتهم عبد الغني عبد الستار- سكرتير وزارة الدفاع والرئيس الأول الركن جاسم العزاوي والمرافقين الموجودين منهم وصفي طاهر وكانت المحاولات في اقناعه بالسفر واستمر هذا الموقف من الساعة العاشرة صباحا وحتى الساعة الحادية عشر ليلا. وهو يتكلم معهم ويريدون اقناعه ومن جملة الكلام الذي دار فيما بينهم عندما دخل الزعيم كنت واقف في الممر وكان غني عبد الستار واقف بجانبي والرئيس الأول جاسم رآني المتهم قال لي كريم أنا اليوم أردت أن آتي إليك حتى تعتقلني قلت له لماذا اعتقلك لماذا لا تسافر معزوز مكروم، قال لي أنا لا اسافر. قلت له أن القضية تتطلب اطاعة الأوامر والسفر لأن هذا الخلاف وعدم إطاعة الأوامر يشق الشعب ويفيد الاستعمار وأذناب الاستعمار قال لي أنا أريد الاستعمار وأذناب الاستعمار يستفيدوا قلت له: لماذا؟ قال لأنني ندمت كان لازم استمر بالسفر إلى الفلوجة ولا أنفذ الخطة وفي الوقت الحاضر اقرأ الفاتحة على نوري السعيد.

والله وبالله وثلاث اسماء الله هذه العبارة هو الذي قالها بعد ذلك في الواقع أنا صدمت كشخص مثله يتكلم مثل هذه الكلمات. بعد ذلك هو دخل ناداه الزعيم وكان مع الزعيم فؤاد عارف أنا بقيت بالباب فسمعت صوت الزعيم قائلا تسحب مسدس؟ فحالا دخلت وفتحت باب الغرفة ودخلت رأيت سيادة الزعيم ماسك عبد السلام من يديه وفؤاد عارف يفتش عن المسدس أنا حالا قمت بالتفتيش تحت السترة فوجدت غلاف المسدس ولا يوجد فيه المسدس، فقال لي فؤاد عارف كريم أنا أخذت المسدس وبعد ذلك دخل رئيس أركان الجيش وقادة الفرق ومحي حميد والزعيم العقيلي وأحدهم قال لي كريم تأكد أخاف لديه مسدس ثاني فتشته فلم أجد مسدس ثاني.

الرئيس- ماذا تعتقد هل حقيقة كما يدعي بأنه يريد الانتحار أم يريد اغتيال الزعيم؟

الشاهد- المحكمة هي التي تقدر، الزعيم مستدير إلى الخلف وهو يسحب مسدس أما هو بعد ذلك عندما مسكوه وأخذوا المسدس منه قال أنا أريد الانتحار. فهل ينتحر في غرفة الزعيم أم في بيته؟ هذا يترك تقديره للمحكمة..

الرئيس- المحكمة تقدر كل شيء سواء أراد الانتحار أو اغتيال الزعيم ولكن رأيك الشخصي؟

الشاهد- في رأي الشخصي هو لم يرد الانتحار بل أراد قتل الزعيم.

ثم نودي على العقيد رفعت الحاج سري- 41 سنة، مدير الاستخبارات العسكرية. وبعد أن أدى اليمين سأله المهداوي رئيس المحكمة عن دور عبد السلام محمد عارف قبل الثورة وبعدها.

فأجاب قائلا:

الشاهد- في أول نشاطنا وتكتلنا ضد العهد البائد لم يكن العقيد عبد السلام عارف منتمياً إلى تنظيماتنا ولكن في سنة 1956 حسبما اعتقد فاتحه سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم في الانتماء إلى تشكيلاتنا وهذا ما أثار استغرابنا لأنه لم يوجد لنا ثقة بالعقيد المتقاعد من ناحية حبه للظهور وعدم تكتمه، وكان يثار بقليل من المديح بالشيء الموجود لديه، ولم التق به إلا قبل الثورة بشهرين في إحدى الاجتماعات وفي ذلك الاجتماع رأيته متجاوباً معنا بالشعور ومتجاوباً مع أهداف وحتى استغربت في هذا الاجتماع موقفه هذا وصارحته برأيي هذا، بأن انطباعنا عنه كان سيء جداً، وفي هذا الاجتماع رأيت تفكيره وسياسته بالنسبة لأهداف الثورة جداً طيبة وكان متفق معنا بأكثر الأسس التي بحثت. هذه قبل الثورة بحوالي شهرين تقريباً حتى أنه في ذلك الاجتماع بين بأنه ليس له مطمع خاص وغاية خاصة للتضحية في سبيل البلد وأنه يبقى إذا نجحت الثورة كآمر لواء لا يريد منصب أكثر من آمر لواء وهذا الذي صارحته به. ثم عند نجاح الثورة رأيناه خرج عن الحدود والاتفاقات التي كنا متفقين عليها فأحب أن يظهر ويبرز وركبه حب الظهور واعتز بنفسه كثيراً حسبما بين في خطاباته خصوصاً وأعتقد أن الهتافات والتصفيق الشعبي هو الذي أخرجه عن طوره الطبيعي فدفعه إلى الظهور والتوصل إلى الحكم المطلق وهذا الذي جعل الأكثرية تنسحب من جانبه وخصوصاً الخطب التي القاها كانت تدل على ضحالة وتستفز الغير أن كان في الخارج أو في الداخل وكثرت أساءته.

الرئيس- وضح بالنسبة للدول الخارجية والداخل؟

الشاهد- في الخارج استفز إيران مع أنه كان شخص مسؤول.

الرئيس- في أي عبارة.. أذكرها؟

الشاهد- لا أذكر النص ولكن تهجمه على إيران وأمريكا وعلى إنكلترا وتركيا ولا أذكر النصوص.

الرئيس- الفكرة؟

الشاهد- ذكر حركة مصدق فاستفز إيران وأمريكا بالاسم ذكرها بالدول الاستعمارية ولكن كشخص مسؤول يذكر الشيء العام عن الدول الاستعمارية ولا يخصص. ثم بالداخل استفز الأهالي بتكتله بجانب فئة من الفئات كحزب البعث استند عليهم حتى يبرز وهؤلاء هم الذين غروه في تصفيقهم وبذلك شق الشعب إلى شقين وهذا هو جرمه الأساسي الذي اعتقد.. كان الشعب كتلة واحدة في يوم الثورة ولكن بعد ذلك انشق وحتى الآن لاتزال آثارها بادية، كل هذا من تصرفاته تلك. ثم لما كثرت اساءاته وكان يعرفها الزعيم نقله إلى سفير، ثم رجوعه من هناك، فالطريقة التي عاد بها من النمسا كانت غير طبيعية ولا تصدر عن شخص مسؤول. وقبل مجيئه سبقت إشاعات كثيرة أن هناك مؤامرة ويوم الخامس في ذلك الشهر سيأتي عبد السلام عارف وعنده مشروع مؤامرة، وبّالحقيقة لم نكن نصدق هذه الاشاعات الكثيرة لأنه ليس بإمكانه العودة من دون أمر ومع من يتآمر؟ ليس له رصيد في الجيش والشعب كله لا يؤيده بالموضوع وجاء فعلا في اليوم الخامس من ذلك الشهر وكانت هذه هي نتيجته. هذه معلوماتي قبل الثورة عنه وبعد الثورة.

الرئيس- بصفتك مدير استخبارات هل كان يحضر عندك وتبين له المحاذير التي كانت توجدها تصرفاته سواء كانت في الجيش أو الشعب؟

الشاهد- لما شعر أن أخطاءه كثرت ولم يبق له سند في الجيش قبل نقله كان يمر علي وكان يعترف بأخطائه هذه، كنا نتذاكر فيها ويعترف بها، وقال أنه اخطأ فعلا وهو على استعداد بالشيء الذي يقرره سيادة الزعيم أو نقرره نحن بالاتفاق وتكرر تردده علي.

الرئيس- عندما عين سفيراً في بون وكما سمعنا من شهادة الشهود أنه كان باتفاق مع كبار الضباط المسؤولين وسيادة الزعيم ومعك لماذا امتنع عن السفر إلى بون في مقر وظيفته الرسمي؟

الشاهد- هو امتنع ولكن أسباب امتناعه غير واضحة، أما أن تكون لديه غاية من امتناعه هذا وهذه الغاية إذا تحقق بها لا نرى لها أساس، فأما تكون لديه قطعات من الجيش يستند عليها وأما تكون لديه كتلة شعبية يستند عليها والاثنين غير موجود حتى البعثيين كانوا متنصلين من عنده.

وفي الجيش لايوجد من يسنده وما يسنده من الضباط لا يتجاوز أصابع اليد الواحده أما أن يكون مغروراً بالهتافات التي صدرت باسمه في أول أيام الثورة واعتقد بأنه إذا أصدر كلمة واحدة فالشعب كله من ورائه، وأما أن يكون بوضع غير طبيعي أي تفكيره غير متزن.

الرئيس- بالنسبة لوظيفتك المهمة في الجيش هل أن سياسة الزعيم عبد الكريم قاسم كانت تدعو المتهم إلى أن يختلف معه مثل هذا الاختلاف أو أن يعارضه أو يعمل ضده؟

الشاهد- كلا. لا أعتقد أن سياسة الزعيم تختلف معه إلا من ناحية واحدة، سياسة العقيد عبد السلام الرئيسية أنه يريد الوحدة المباشرة

مع الجمهورية العربية المتحدة، وسياسة سيادة الزعيم عبد الكريم أن الظروف هي التي تملي وتبت بذلك هذا هو الاختلاف الجوهري.

الرئيس- وضح؟؟

الشاهد- بالنسبة له يريد اتحاد مباشر ووحدة مباشرة مع الجمهورية العربية.

الرئيس- بصورة فورية؟

الشاهد- نعم بصورة فورية.

الرئيس- هل قررتم أنتم ضباط الثورة ذلك قبل حدوث الثورة المباركة؟

الشاهد- هذه السياسة كنا متفقين عليها على أساس أن الظروف والأيام هي تثبتها وتحددها لأن هذا اتجاه حتمي (قضية الوحدة) لا يمكن أن تبقى الدول العربية كلها متفرقة ولكن في سياسته هذه الأخيرة رأى أن تكون الوحدة مباشرة وفورية.

الرئيس- هل كان قبل الثورة مقرراً أن تكون فورية؟

الشاهد- كلا لم تكن مقررة أن تكون فورية. كانت مقررة أن الظروف هي التي تحددها وتمليها ولكن نتيجتها حتمية.

ثم نودي على الشاهد الخامس العقيد الركن عبد الوهاب الأمين- 40سنة، ضابط في الجيش الذي بين للمحكمة دور عبد السلام محمد عارف قبل الثورة وأثناءها وبعدها. وتحامل في شهادته على المتهم لأن الأخير كان ضده وناقشه عبد السلام في ذلك.

ثم نودي على الشاهد السادس العقيد وصفي طاهر- 40 سنة، مرافق رئيس الوزراء الزعيم عبد الكريم قاسم. الذي بين دور عبد السلام محمد عارف قبل الثورة وبعدها. وهاجمه في شهادته ذاكرا بعض تصرفاته الشاذة.

ثم نودي على الشاهد السابع الرئيس الأول الركن جاسم كاظم العزاوي- 34 سنة، سكرتير وزير الدفاع الزعيم عبد الكريم قاسم، الذي شرح دور عبد السلام عارف قبل الثورة وبعدها وتصرفاته في مجلس الوزراء وقال: "مرة من المرات كان صديق شنشل- وزير الارشاد- يشكو للزعيم الركن عبد الكريم قائد الثورة ورئيس الوزراء يقول له: تصور أنه يقول لنا عبد السلام (يا الله وزراء صار وقت الاجتماع).. وأنه يتكلم مع الوزراء بشدة".

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد 28 كانون الأول 1958 عادت المحكمة العسكرية العليا الخاصة برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي للنظر بصورة سرية في قضية عبد السلام محمد عارف.

فنودي عليه فحضر القاعة وأدخل قفص الأتهام.

ثم نودي على الشاهد الثامن الرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد- 34 سنة ضابط، الذي بين دور عبد السلام محمد عارف قبل الثورة وأثناءها وشرح للمحكمة ردا على سؤال وجهه (المهداوي) إليه عن محاسبة العقيد وصفي طاهر المتهم عن أقواله وخطبه فقال: "قال له لما كنت تذهب تخطب في الألوية لم تكن تذكر اسم الزعيم. أنت أهملت الزعيم. نحن الجميع نعتبره قبل الحركة وبعدها هو الزعيم فأنت أخذت تدعي الزعامة لنفسك".

ثم نودي على الشاهد التاسع الرئيس الأول الركن عبد الستار عبد اللطيف- 32 سنة، ضابط في الجيش، بين دور عبد السلام محمد عارف قبل الثورة وفي أثنائها وبعدها، وعن المشادة التي حدثت في غرفته بين عبد السلام والعقيد وصفي طاهر حول موضوع اسماعيل العارف وعن تصرفاته وعن خطبه وعدم ذكره للزعيم عبد الكريم قاسم. وشرح ما حدث لهم في دمشق في الأسبوع الأول للثورة وعن مشاهداته هناك ومسموعاته.

ثم نودي على الشاهد العاشر المقدم عبد الغني عبد الستار- 38سنة، ضابط، فبين للمحكمة عما يعرفه عن محاولة الاغتيال. وشرح اتصالات عبد السلام محمد عارف بالإذاعة من دون علم الأستاذ صديق شنشل وزير الأرشاد، واعطائه الأوامر إلى العقيد طه محمد أمين مباشرة.

ثم نودي على الشاهد الحادي عشر علي حيدر سليمان- 53 سنة، سفير بالخارجية، فبين مالديه من معلومات حول أقوال وتصرفات عبد السلام عارف خلال مرافقته أياه بالسفر إلى بون، وكيفية عودته إلى العراق والأسباب الداعية لذلك.

ثم نودي على الشاهد الثاني عشر الرئيس محفوظ أحمد شوكت- 37سنة ضابط، فأكد أن ليس له علاقة بالمتهم "سوى كوني أنا ضابط واستدعائه لي بالمطار أني كنت اشتغل بالمطار. وبالوقت الذي جاء هو به لم أكن أنا موجود بالمطار. وأنا كنت ضابطا في فوجه في جلولاء سابقا، ولا توجد علاقة لي به".

ثم نودي على الشاهد الثالث عشر المقدم إبراهيم عبد الرحمن الشيخلي- 43 سنة ضابط، فذكر في شهادته أنه كان في المطار يقوم بواجباته عند وصول عبد السلام محمد عارف إلى بغداد وأنه طلب سيارة قرب الطائرة لنقله إلى مسكنه.

ثم نودي على الشاهد الرابع عشر صباح عبد الله الفياض- 23 سنة، معاون مراقب جوي، فبين أنه تلقى من الطيار جاويد عمر مكالمة يطلب فيها سيارة تكسي وتكون جاهزة حين نزوله من الطائرة.

ثم نودي على الشاهد الخامس عشر الملازم الأول عباس رشيد العامري- 30سنة، ضابط- فبين مشاهدته عبد السلام عارف راكبا وحده في السيارة في المطار ولم يكن أحد معه.

ثم نودي على الشاهد السادس عشر المفوض صلاح الدين حميد- 28 سنة، مفوض أمن- فأفاد بأنه عندما هبطت الطائرة تقدم نحوها بصفته مفوض جوازات وكان أول من نزل منها هو المتهم وكان يحمل بيده حقائبه الشخصية وطلب إليه جواز السفر فأجابه: "هل يوجد لزوم"قلت له نعم سيدي، فمد يده وأعطاني جواز السفر وسجلته حسب الأصول".

ثم أدلى الشاهد السابع عشر شاكر محمود- 35سنة، مرشد زراعي، بشهادته حول الاجتماع الذي حصل في دار عبد الرحمن أحمد السامرائي وأسماء المجتمعين وتاريخ اجتماعاتهم والدافع لمراقبتهم من قبله وعلاقة عبد السلام بذلك. وقد نفي عبد السلام محمد عارف الحادثة نفيا قاطعاً وقال: "بامكان المحكمة أن تستفسر من الاشخاص الذين عدهم الشاهد، إذا كنت موجوداً وأعلم بهذا الحادث".

ثم نودي على الشاهد الثامن عشر عبد الرحمن البزاز- 46 سنة، عميد كلية الحقوق- فسأله المهداوي: عن الغاية من الدعوة التي اقيمت في دار عبد الرحمن السامرائي في أبي غريب وتاريخها ومن هم المدعوون؟". فذكر البزاز بأن الدعوة اقيمت لإجراء المصالحة بينه وبين الدكتور محمد صالح محمود وزير الصحة، كان خلافا قد حدث بينهما سابقا. وأن عبد السلام لم يكن موجودا.

وقد جرت مناقشة حادة بين عبد الرحمن البزاز وبين الأدعاء العام، حتى أن ماجد محمد أمين- رئيس الأدعاء العام- تهجم على البزاز، مما اضطر البزاز أن يطلب الحماية من المحكمة، من الادعاء العام وتهجماته عليه كشاهد.

ثم نودي على الشاهد التاسع عشر الرئيس عمر فاروق- 28 سنة- ضابط. فبين أنه كان ضابط خفر في السجن العسكري وأن المتهم حاوره عن

الشائعات التي تدور في البلد حول قضيته. وأن الشائعات تقول بأنه مهزوم أو مختطف وأن المتهم ذكر واقعة إختطاف موسوليني من معتقله في شمال أيطاليا.

ثم نودي على الشاهد العشرين عبد الرحمن أحمد السامرائي- 36 سنة، موظف. فبين علاقته بالموظف شاكر محمود. وشرح أسباب الدعوة التي أقامتها في بيته في (أبو غريب). وأن المتهم عبد السلام لم يره منذ عام 1955.

وفي يوم الأثنين 29 كانون الأول عقدت المحكمة في الساعة العاشرة صباحا جلسة سرية أخرى للنظر في قضية عبد السلام محمد عارف.

فنودي على الشاهد الحادي والعشرين الزعيم الركن ناجي طالب- 41سنة، وزير الشؤون الاجتماعية- فبين للمحكمة أن دور عبد السلام عارف قبل الثورة: "كان أحد الأخوان الذين زاملونا بالموضوع من الأول إلى الأخير. وبعد الثورة كان وزير الداخلية ونائب القائد العام ودوره معلوم والكل يعرفه، واعتقد أن المحكمة تفهمه تماماً".

وبين كذلك أن عبد السلام كان يتصرف تصرف وزير طبعا، ولم أجد أي شذوذ لتصرفاته، على كل حال يتصرف تصرف وزير مهم، وكان له دور مهم بالثورة لا أكثر ولا أقل.

وسأله المهداوي: هل صحيح أنكم صرحتم أمام سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم بأن اشتغال المتهم معكم قبل الثورة كان غير مرغوب به؟

ناجي طالب: غير مرغوب فيه؟.. هذا لا أعتقد به صحيح.

المهداوي: ما هو التعبير؟

ناجي طالب: أنه كان يستقل في آرائه..

المهداوي: ما هي هذه الآراء؟!

ناجي طالب: هذه الأشياء التي كانت تتعلق في الاجتماعات التي قبل الثورة وللأعضاء في مجلس الضباط آراؤهم الخاصة، وإن كان ليس لهم صفة رسمية عندئذ فهو مثلا كان يفرض على الأخرين رأي معين، ويفرض أن يقبل بدون مناقشة وهذا شيء لم يكن مقبولا.

ونفى ناجي طالب في شهادته من أن عبد الكريم قد فرض عبد السلام عارف عليهم فرضا قبل قيام الثورة في الهيئة التأسيسية العليا للضباط الأحرار.

ونفي كذلك أن يكون عبد السلام عارف قد سحب مسدسه لاغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم "وربما سحب المسدس تهورا من عنده، وهذا هو الأكيد لأجل أن يضرب نفسه".

ثم نودي على الشاهد الثاني والعشرين اللواء الطبيب محمد الشواف- 44سنة، فبين في افادته عن ما جرى في غرفة الزعيم عبد الكريم قاسم بعد أن سحب عبد السلام عارف مسدسه. وكيف امتنع عن السفر إلى بون فقال: "قلت له- أي لعبد السلام- يا أخي أنك مسلم ومصلي بنفس الوقت، هل تتذكر سيدنا عمر بن الخطاب عندما أصدر أمره إلى خالد بن الوليد وكان قائد القوات للجيوش الإسلامية؟ كيف صدع ذلك القائد العظيم لأمر عمر بن الخطاب وأطاعه، وما ذلك إلا لعدم إعطاء المجال للتصدع في صدر الإسلام. وأن ثورتنا وما تقاسيه من يد الاستعمار ومن يد الأجانب ومن يد الانتهازيين والشعوبيين في داخل بلدنا، والاستعمار الذي يحيط بنا من الخارج كلها بدأت تدخل بالفتحة التي بدأت تفتحها".

وردا على سؤال وجهه المهداوي إليه عن اعتقاده بأن المتهم كان يروم قتل الزعيم؟". أجاب اللواء الطبيب محمد الشواف قائلا:

- والله أنا كطبيب، ولي قسم- من معلوماتي في علم النفس، حوادث

الانتحار لا تكون أمام المجموع. الانتحار يكون دائما في غرف مقفلة.. الانتحار بتاريخ الطب الشرعي لم يحدث أمام المجموع من الناحية الطبية- حسب معلوماتي. أما أن الأخ قصد الانتحار في غرفة شخص ثاني، وفي مقر رسمي لرئيس الوزراء، لا أستطيع كطبيب أن أفسره على أساس انتحار. ولو أنه أخبرني أثناء إجتماعنا أنه يروم ضرب نفسه بالقدح".

ثم نودي على الشاهد الثالث والعشرين الزعيم الركن عبد العزيز العقيلي- 39 سنة، فبين اتفاق قواد الفرق والحاضرين في غرفة الزعيم عبد الكريم قاسم بعد المحاولة على سفر المتهم لمصلحة البلد. وأن الكل أصروا على سفره. كما أكد بأن الزعيم عبد الكريم قاسم قد تعهد لعبد السلام عارف باعادته من الخارج بعد ثلاثة أسابيع، وأن ذلك جرى أمامهم.

ثم نودي على الشاهد الرابع والعشرين العقيد طاهر يحيى- 43 سنة- فبين للمحكمة أنه لم يكن حاضرا عند سحب المسدس من قبل عبد السلام عارف وأنه كان متوجدا آنذاك في دعوة لدى وزير الاشغال والمواصلات بمناسبة قدوم الملا مصطفى. ثم شرح للمحكمة كذلك توصيله عبد السلام عارف إلى المطار بالسيارة ومنها سافر وذهب بالطائرة وتوديعه من قبل الوزراء والزعيم. وقال: "والله في الحقيقة علاقة العقيد عبد السلام عارف بالزعيم عبد الكريم علاقة أعتقد سيادة رئيس المحكمة يعرفها أيضا، والحقيقة أنه حتى لو أن الأمر الذي حصل بسحب المسدس لو أراه بعيني، في الحقيقة بالنسبة لما أعهده بعبد السلام من أخلاص وتضحية وعلاقة بالزعيم كريم لما صدقت، حتى لهذه الدرجة. أنا أعرفه على أنه شخص مخلص ومتمسك بالزعيم إلى أقصى حد، وأنه أي مشكلة تحدث عنده واي حدث ولو كان عائلي يمكن أن أقول أنه كانت تسند إلى الزعيم كريم لأجل حلها".

ثم نودي على الشاهد الخامس والعشرين العقيد نعمان ماهر- 40 سنة- فبين كيفية تعيينه رئيسا لهيئة مراقبة الصحافة. وأصداره بعد ذلك تعليماته، بعد اجتماعه بالصحفيين، عن أهداف الثورة وطرق ذكر اخبار وفعاليات المسؤولين حسب التدرج في المكانة. وبين أيضا تنبيه المسؤولين عن جريدة الجمهورية، التي كان يرأس تحريرها العقيد عبد السلام عارف بعدم المبالغة في نشر الأخبار وعدم تبريز الأشخاص حسب تسلسل المسؤولين بينما ينشر خبر صغير أو صورة صغيرة لرئيس مجلس السيادة أو سيادة رئيس الوزراء "وبعد عدة أيام صدر أمر باعادتي إلى وظيفتي السابقة التي كنت أمارسها قبل تعييني في منصب رئيس الرقابة. وقد علمت أن العقيد عبد السلام عارف كان وراء ذلك".. ثم ذكر الشاهد بأن تصرف عبد السلام عارف ووضع اسمه على جريدة الجمهورية لا يتلاءم مع أهداف الثورة.

ثم نودي على الشاهد السادس والعشرين الزعيم الركن ناظم الطبقجلي- 44سنة، قائد الفرقة الثانية، فبين للمحكمة أنه اقترح أن يسافر العقيد عبد السلام إلى شمال أفريقيا "وعرضت الموضوع على سيادة الزعيم ووافق مبدئيا، واتصور في اليوم التالي حصل تعقيد بالموضوع، على أساس أنه لا يزال المحذور قائم بالنسبة إلى الغرب من ناحية قتله أم غدره". ثم قال: "الاتفاق الذي تم في الحقيقة أنه يذهب وينبأ بالعودة ويرجع. وأنا سمعت من سيادة الزعيم أنه لم يصدر له أمراً بالعودة فعاد من تلقاء نفسه، وأتصور كانت مفاجأة لأنه كلام شرف الذي وعد به حتما كان ينفذ".

ثم نودي على الشاهد السابع والعشرين الزعيم الركن أحمد صالح العبدي- 54سنة، رئيس أركان الجيش- فبين للمحكمة "أن الزعيم عبد الكريم عندما كنا مجتمعين في الغرفة أعطاه وعدا ونحن اتفقنا على هذا الشيء أن

يستدعيه بعد مضي ثلاثة أسابيع. فهو عاد إلى العراق قبل انقضاء مدة ثلاثة أسابيع وعلمنا بوصوله المطار رأساً".

ثم نودي على الشاهد الثامن والعشرين الزعيم الركن خليل سعيد- 40سنة. فبين معرفته بالعقيد عبد السلام عارف قبل الثورة وبعدها وشرح بتفصيل ذلك، متحاملا على بعض تصرفاته.

ثم نودي على الشاهد التاسع والعشرين الطيار جاويد عمر- 32سنة فشرح للمحكمة طلب عبد السلام عارف منه عند عودته بالطائرة إلى بغداد وهم فوق انقرة بتوفير سيارة له في مطار بغداد. واتصاله بالسيطرة في بغداد. فقال: "اتصلت بالسيطرة وقلت لهم يوجد شخص مهم بالطائرة يجب أن توفروا له واسطة نقل عند وصولنا المطار، ويريد الذهاب بها. وأن هذا الشخص لا يرغب بذكر اسمه، ولكن أنتم سترونه عند نزوله من الطائرة. فاحضروا السيارة بالقرب من باب المطار، وعندما هبطت الطائرة نزل منها. وبعد ذلك ذهب بالسيارة. خلال السفرة والوصول لم يتصل بأحد".

ثم نودي على الشاهد الثلاثين المقدم وجيه عبد الرحمن- 39 سنة فذكر للمحكمة أنه كان في المطار وأن نزول العقيد عبد السلام من الطائرة كانت مفاجأة بالنسبة لهم "لأننا لم يكن لنا علم بعودته، لأنه عادة وفي أكثر الأحيان عندما يسافر شخص مهم أو يعود إلى المطار من الخارج يخبرونا إمَّا دوائر الأمن أو دائرة الاستخبارات أو الشرطة المحلية الموجودة هناك فيكون عندنا علم أو تأتي هيئة مستقبلة".

ثم نودي على الشاهد الحادي والثلاثين العقيد عادل جلال- 40 سنة- قائمقام زاخو- فبين معرفته بعبد السلام قبل الثورة وبعدها وكان متحاملا في شهادته لأن عبد السلام قد عينه بعد ذلك قائم مقام لزاخو وناقشه المتهم عبد

السلام محمد عارف موضحا بأن تعيينه بهذا المنصب "بموافقة سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم لأنه يجيد العربية والكردية والتركية".

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء 13 كانون الأول 1958 عقدت المحكمة العسكرية العليا جلسة سرية للاستماع إلى إفادات الشهود.

نودي على الشاهد الثاني والثلاثين الرئيس الأول الركن سليم الفخري- 31 سنة- فبين للمحكمة تصرفات عبد السلام عارف في شؤون الدعاية عندما كان في المسؤولية- وتحامل عليه وعلى القومية العربية.

ثم نودي على الشاهد الثالث والثلاثين الملازم فالح الناصري- 23سنة- فبين للمحكمة أن هناك جماعة في وزارة الدفاع كان لا يعرف أسماءها تخطط لفكرة انقلاب لصالح المتهم عبد السلام عارف بعد عودته من الخارج.

ثم نودي على الشاهد الرابع والثلاثين الملازم محمود فرج- 28سنة فانكر وجود خطة انقلاب يوم 4- 11. وأجرت معه المحكمة مناقشة حادة، شارك فيها الأدعاء العام. وحاولوا استخلاص أقواله بأن الرئيس الأول الركن صالح مهدي عماش كان قد خطط لإجراء تغيير في وزارة الدفاع والضغط على الزعيم عبد الكريم قاسم أوقتله.

ثم نودي على الشاهد الخامس والثلاثين الملازم الأول شهاب أحمد- 28 سنة- فانكر هو الأخر وجود أية خطة للانقلاب. وأكد بأنه لا يعرف بأن عبد السلام عارف سيعود وأنه لا علاقة له به. وحاولت المحكمة الضغط عليه من خلال مناقشته لاستحصال اعتراف منه عن خطة أعدها صالح مهدي عماش. ولكنه اقسم بأنه لايعرف عن الخطة شيئا، وأن عماش كل ما قاله لهم: "أن الوضع إن شاء الله يتحسن".

وفي الساعة الثانية عشرة والربع من ظهر يوم الأربعاء 31 كانون الأول 1958- نودي على المتهم عبد السلام محمد عارف فحضر قاعة المحكمة وأدخل قفص الاتهام- وطلب إليه المهداوي رئيس المحكمة أن يبين افادته بخصوص ما نسب إليه من اتهام.

ابتدأ عبد السلام محمد عارف أفادته قائلا:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

محكمة الشعب الموقرة: أن من يقف أمامكم اليوم ليقول لكم الحق كان بالأمس أحدكم ومن ضباط ثورتكم وأول من هلل وكبر وبشر بقيامها في يوم 14 تموز الخالدة بقيادة زعيمه الكريم، وأدع للمحكمة تقييم دوري بالثورة المباركة وبناء على ماذكر أثناء المرافعة بخصوص تاريخ حياتي ولما كانت هذه المرافعة تعتبر وثيقة تاريخية فأقول للمحكمة المحترمة بغاية الايجاز: أنا العقيد الركن عبد السلام بن الحاج محمد عارف البزاز من بغداد ومن الكرخ ومن محلة سوق حمادة وانتمي إلى عشيرة الجميلة، وترعرعت ما بين الكرخ وبين عشيرتي زوبع والجميلة، وأنا من عائلة عربية معروفة في جهادها في ماضيها وحاضرها فلقد غدر الأنكليز بعمي السيد عباس وقتلوه في الرمادي. وأما مقتل (لجمن البريطاني) فمعروف لدى العالم، وقد انتقم الأنكليز وأذنابهم من خالي المرحوم الشيخ ضاري شر انتقام ولكنه ذهب شهيدا لوطنه وفي جنات الخلد.

وأني درست وكافحت الحياة بشرف وجهاد منذ كنت تلميذا إلى أن وصلت رتبتي ومنصبي الأخير قبل الثورة وزادتني الثورة شرفا بالمناصب التي اشغلتها، وقد تكلم عني وزراء وقادة وضباط معروفون فاكتفي بذلك وتقاريري الشخصية وأعمالي محفوظة في أضبارتي في وزارة الدفاع وبالأمكان الرجوع إليها وشاهدوا ما كتب عني وخاصة تقارير زعيمنا، ولقد سبق أن عرض على المحكمة

المحترمة أن الشخص لايقبل انتماؤه للهيئة العليا لضباط الثورة إلا بعد تزكيته والحمد لله قد زكاني من هو ثقة الشعب وزعيمنا وقائد ثورتنا ولي الفخر.

وتنويرا للحقيقة أوجز النقاط التالية:

السفر إلى بون: - يوم 11- 10- 1958 استدعاني سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء بواسطة الزعيم فؤاد عارف والعقيد طاهر يحيى فذهبت إليه وحدثني بشأن سفري إلى بون فبينت له محاذير سفري ومنها أن المانيا الغربية محتلة بأعدائنا الاستعماريين واخشى خيانتهم، وسمعت فعلا بل والعالم سمع باغتيال ممثل الجزائر في بون بنتيجة المؤامرة الفرنسية بواسطة العميل التونسي، ولمرض عائلتي وعدم استقرارهم إذا كنا نسكن في كراج كما بين الزعيم فؤاد بشهادته وأهم من ذلك فراق بلادي العزيزة وجمهوريتنا الفتية، وتركك أيها الأخ العزيز. إلا أنه كان يصر على سفري وأنا أعتذر فتأثر مني وشعرت بتأثره الشديد ولما كنت غير مرتاح نفسيا بل وفي تهيج عصبي تجسمت بي الأمور وأصبحت بوضع لا إرادي نظرا لما أكنه نحو هذا الأخ الأكبر من الود والأخلاص فطرأ على بالي آنيا أن أنتحر أفضل مما أؤثر على زعيمي وفعلا هو ذهب إلى باب الغرفة ليخرج فاغتنمت الفرصة لانتحر فمددت يدي فوق مسدسي فقلت له أريد انتحر، دعوني وغيرها من الكلمات الأنتحارية. فمسكني من يدي التي كانت على الغلاف وساعده الزعيم فؤاد فأخذوا المسدس من جانبي الأيسر بعد إخراجه من الغلاف وأنا أردد الكلمات الانتحارية، وهنا نقطة هامة فالمسدس لم يخرج من الغلاف بتاتا ولم يسحب، وأني بوضع الجلوس على كرسي الراحة والزعيم كان في طريقه للخروج من الغرفة وقرب الباب وهذا يدل دلالة واضحة أن العمل موجه لي لا لغيري ولا اتمكن إلا رمي نفسي وقد حصلت لدي الفكرة آنيا وثبت لديكم من أفادات الشهود فلا يوجد أي شاهد رأى بعينه رفع أو سحب المسدس فكلها سماع من فلان لفلان وياليتها يحضر

سيادة الزعيم ويروي الحادث بنفسه، وعلى كل فيؤيد كافة الشهود سماعهم أيضا تردد كلمات الانتحار وبعدها عاتبني الزعيم على عملي لماذا تقتل نفسك في غرفتي وأيد ذلك الشهود فبكيت لتأثري بل لشدة تأثري وتألمي إلا أنه لاطفني وقبلني وقال نحن أخوان هذه بسيطة وأعرفك تحبني وبكل بشاشة وضحك وهدوء وارتياح وهذا دليل قاطع على اطمئنان الزعيم بأن الحادث كان موجها لي، وإلا فكيف يضحك وهو يهدئني وإلى ما بينت مما قام به أمام كافة الشهود. ثم ذهبنا إلى الغداء الذي لم اتمكن من أكله، وبالمساء أعاد قادة الفرق علي الكرة بقبول المنصب وكنا حينذاك في غرفة رئيس أركان الجيش، فكنت اعتذر لنفس الأسباب مع العلم أني أشعر بالتهيج العصبي والألم النفسي وعبر عنه بعض الشهود بالهستريا ورووا عني سأرمي نفسي من الطائرة وفعلاً حاولت ضرب نفسي بالقدح الزجاجي والصحن الفرفوري الذين كانا بجانبي فرفعا، وشهد الدكتور بأرهاقي العصبي بالإضافة إلى باقي الشهود، وأخيراً قال أخي الأكبر للحاضرين هذا أخي وأنا مسؤول عنه فدعونا لوحدنا وفعلاً جلسنا على إنفراد وبين لي مادام الأمر قد صدر وحجزت الطائرة وعلم الجميع بسفرك فأطلب منك أن تسافر وسوف تعود بعد 21 يوماً فقط، ولم يذكر ثلاثة أسابيع شفهيا. فقلت له أنا لا التحق إلى بون فقال نعم، وكما قلت الحديث بيننا فقط فأجبته لأجل عيونك أذهب إلى الموت وأنت تعرفني وجربتني فعلاً، وقد قبلني ودخل الحاضرون وشاهدونا بهذا الوضع المريح وعرف لهم الوضع وجلب لي الحليب بنفسه فسرّ القادة وقبلوني جميعاً لأطاعتي أخينا الأكبر مع العلم تكرر الكلام أمامهم جميعا بأن سفري وقتيا وساعود بعد 21 يوماً، وأنتهت القضية وسافرت في صباح اليوم التالي وقد انتهى الحادث ولا توجد قضية انتحار بالمسدس ولا اغتيال أو عدم تنفيذ بل أن الأخ الزعيم قال لي بالنص "أنا ليس عندي أي شيء ونحن أخوان" وهو في غاية الهدوء والراحة والانشراح، وأوكد ذلك بعدم فتح أي

محضر تحقيق إن كانت هناك جريمة أو محاولة قتل أو انتحار، ولم يسجل أي حادث بالتاريخ المذكور وهذه السجلات الرسمية سواء كان في مقر وزارة الدفاع أو في الانضباط بل وحتى دوائر الشرطة والتحقيق وبالأمكان الأطلاع عليها والتأكد، وبعد ما تفضل زعيمنا الجليل وقال باعتبار كل شيء منتهي وليس لي أي حق لوقوع الحادث في غرفتي لأنه حادث أخوي، وبعد مرور هذه المدة الطويلة وسفري إلى أوربا ثم عودتي يطلب الأدعاء العام تجريمي، فاذا كنت مجرما كيف سافرت وقد كان توديعي رسميا بحضور سيادة رئيس الوزراء والوزراء ورئيس أركان الجيش وقادة الفرق وكثير من الضباط والاخوان؟ فاعتقد أن المجرم والذي يروم الاغتيال وعمل الشر لزعيمه ووطنه لا يمكن السكوت عنه ولا تقام له المراسيم وهذا دليل قطعي لا يقبل الشك لنفي الحادث المزعوم. وقد يقول الأدعاء العام هذا من حقي فاقول له لقد قال رجل الدول قوله وهو ذو الصلاحية بإحالة وغلق الدعوى (ووعد الحر دين) هذا من جهة ومن الجهة الأخرى يعلم الجميع أن هناك إتصالا روحيا بيني وبين أخي الزعيم الركن عبد الكريم قاسم يفوق هذا الوصف وسيبقى ذلك إلى الأبد إن شاء الله فأني عشت معه منذ سنة 1942 في البصرة بالإضافة إلى التلمذة، ونقلنا لنفس السبب من البصرة فبعد شكايته على آمر اللواء في حينه نقل إلى جلولاء وجاء دوري بعده وحوكمت من قبل اللواء الركن المتقاعد بهاء الدين نوري متهما لي بأني كنت المخبر للرئيس الركن عبد الكريم قاسم بوقته، وبالنهاية اكتفوا بنقلي إلى الناصرية واشتغلنا سوية حسب الاتفاق في زمرة تدريب الجيش ومنذ سنة 1954 عملت بأمرته كآمر فوج في اللواء التاسع عشر ولم يفرق بيننا أي شيء بل روح واحدة في جسدين، وحتى أعمالنا الشخصية كان لا تتم إلا بالمذاكرة والاتفاق وكانت نتيجة ذلك ثورتنا المباركة يوم 14 تموز العظيم، وأذكر كلمة زعيمي لي في أحدى الليالي بالنص (سلام مصيرنا واحد مهما تقلبت الظروف

والأحوال) وأن تطبيق خطة الثورة لأكبر شاهد ودليل على إخلاصي لزعيمي ولبلادي، وأود أن أذكر للمحكمة المحترمة بأن قسمنا نحن ضباط الثورة كان ينص على عدم مساس أي عضو من ضباط الثورة بأذى مهما كانت الاسباب لا حاضرا ولا مستقبلا بل ونتكفل مساعدته العائلية، وتأيد ذلك بشهادة العقيد الركن عبد الوهاب الأمين، فكيف إذن تسول لي نفسي القيام بعمل ضد زعيمي وأنا مسؤول عنه حتى في المستقبل وهو مسؤول عني؟ فحاشا لله ومن الذي يؤيدني؛ فالجيش والشعب كله وراء زعيمنا كما اثبت الشهود، فكيف يصدق العقل أن أقوم بهذا العمل الجنوني ومثلي بالنسبة إليه، وأيد جميع الشهود أن إخلاصي وتعلقي بزعيمنا يتعذر وصفه وأني متأكد أنه نفسه يؤيد ذلك ويعلم الجميع بأني حين قيام الثورة المباركة كنت في اللواء العشرين ولست باللواء التاسع عشر أي لواء الزعيم، ولكن هذا لا يعني التخلي عن مبادئي وارتباطي بزعيمي بل بالعكس تمكنا من السيطرة على لواء آخر في الجيش وهذا ما حدث في الثورة وإن ما جاء على لسان أحد الشهود بأني أحد ضباط ركن الفريق المتقاعد رفيق عارف فهذه اضبارتي تدل على عدم اشتغالي بأمرته مباشرة كضابط ركن، ولكني أنوّر المحكمة المحترمة، فلقد كانت هناك خطة مدبرة بيني وبين زعيمنا لستر الفعاليات قبل الثورة فيقال على الزعيم أنه عائد لنوري السعيد ويقال عني أني عائد لرفيق عارف وبهذا نخلص من شر الجواسيس وفعلا نجحنا بذلك وإن اجتماعي برفيق عارف كان بحضور الزعيم وهو يعرف كل شيء وبذا يظهر للمحكمة المحترمة أني صافي النية ومخلص للجمهورية ولزعيمي، راجيا المحكمة أن تتلطف بدعوة سيادة زعيمنا للتفضل بالحضور والإدلاء بشهادته إذ أنه شاهد الدفاع الأصلي الذي استند عليه في جميع الدعوى وهو الأول والأخير، ولماذا سمع فلان وقال آخر، وبشهادته الطيبة لي كل الثقة بانقاذي وبراءتي إن شاء الله واني لارجو الحق من أهل الحق.

قصة الثورة: أبو الثورة هو زعيمنا الركن عبد الكريم قاسم ومن تشدق بغير ذلك فهو مارق، ولابد أنكم سمعتم عنها، وكل يدعي الوصل بها وفعلا فقد ساهم الكثيرون فيها بل إنها ثورة شعب، وكثيراً ما كانت تعقد الاجتماعات للهيئة العليا وتكون النتائج نظرية ومعظمها تكون جدلا، وفعلاً قد انسحب كثير من الضباط من الهيئة وهم يعرفون أنفسهم فكنت أتألم وأصر على رأيي لتنفيذ الثورة وبأقرب وقت، وزعيمنا يؤيدني، وقد ظهر ذلك للمحكمة المحترمة من إفادات الشهود، قال لي الزعيم دعنا نجاملهم كإخوان وكي لا نفرط بأخوتنا وننفذ قسمنا الذي نوهت عنه سابقا ولكن العمل الحاسم بيني وبينك، وفعلا حاول كثير من ضباط الثورة معرفة وقت ويوم الحركة فأبينا الأجابة وكانت غايتنا الأساسية الكتمان والمباغتة، وإنما أكتفينا بتبليغ الضباط القليلين جداً والذين عليهم واجبات التنفيذ وقد عهد لي زعيمنا بالتبليغ والتنفيذ، والمحكمة المحترمة على علم بذلك فكان واجبي أيضا أن أسيطر على جحفل اللواء العشرين وأعزل مقر اللواء واستلم قيادة جحفل اللواء لتنفيذ السيطرة على بغداد بينما كنت آمر الفوج الثالث من اللواء. واللواء لا يملك العتاد عدا فوجي الذي دبرت له ذلك من قبل، وحسبت حساب اللواء والقطعات الملحقة بتموينهم، وكانت قطعات التنفيذ في بغداد بمعسكر الرشيد لا تملك العتاد أيضا، فكانت الاشارة بيننا بتطبيق الحركة بارسالي أنا العتاد إليهم، وفعلا تم ذلك بواسطة الملازم ياسين العبدلي، وكذا وزعت العتاد على بقية الوحدات، وقد تأخرت الحركة بسبب تأخر اعتقال آمر الفوج الثاني العقيد الركن ياسين محمد رؤوف من قبل الرئيس فاضل الساقي والملازم كريم جاسم المكلفين بهذا الواجب فاضطررت الذهاب بنفسي وعرضت عليه الاشتراك معنا ولكنه رفض فاعتقلته وأعلنت نفسي أمراً للجحفل، وبهذا الوقت كان قد تم عزل مقر اللواء العشرين حسب الخطة وبسبب ضياع الوقت كاد الضباط الذين كنا على اتفاق

معهم بالتنفيذ أن يعودوا لولا أصراري غير أنهم تلقوا الواجبات بطيبة خاطر وبوطنية صادقة وساروا مع القطعات المخصصة بالتنفيذ وتمت السيطرة على بغداد والأهداف المطلوبة حسب الخطة المرسومة ونجحت الثورة المباركة بقيادة زعيمنا في كل مكان من العراق، وكان مقري في الأذاعة منتظراً زعيمنا وقائدنا المظفر وأخبرته بالموقف، وعالجنا موقف اللواء الأول ثم توجه بعناية الله إلى وزارة الدفاع ثم طلبني وذهبت إليه وقمت بالواجبات المعهودة لي وكان اشتغالي معه والله يشهد روحيا ووطنيا وأخلاصا أخويا، وإلا فما الدافع لي بالقيام بهذه الأعمال والتي قبلها أتصلنا بسوريا والأردن والمحاولات الأخرى في جلولاء والمنصور وبغداد، والله كنا زاهدين في كل شيء وأني طلبت أن أبقى آمرا للواء العشرين كما جاء بالأفادات أمام المحكمة المحترمة، ولكن إرادة زعيمنا الكريم أيدت إلا أن نكون سوية دوما، ونفذت ما أراد فصرت نائبا ومعاونا ووزيرا له وإني لا أبغي منصبا أو امتيازا أو رتبة والأيام أيدت ذلك، وأخي الأكبر يشهد لي بذلك وأني قد قدمت استقالتي من الوزارة بعد تشكيلها بشهر ولكن ارادة أخي الأكبر أجبرتني على البقاء، وكنت قد أعلنت منذ اليوم الأول للثورة برجوعنا إلى الثكنات فكيف تقاس هذه التضحية وقد تركت سبعة أطفال وزوجة ورضائع وأيتام وأبا شيخا، وقد إطلعتم والرأي العام على وصيتي بوقتها وتوكلنا على الله وقمنا بالثورة وبأمرة زعيمنا عبد الكريم، فهل يعقل بعد هذا أن يقوم عبد السلام جزء من عبد الكريم الذي لا ينفصم منه بعمل يسىء إلى زعيمه وإلى جمهوريته؟ حاشا لله وإنما كانت كافة أعمالي بإخلاص وحسن نية والخدمة لوجه الله والدعوة لوحدة الصفوف وإعلاء شأن الجمهورية ومحاربة جميع أعمال العدو والعمل يدا واحدة وإن ثقة الزعيم بي معلومة لدى الجميع وإن زرع الثقة ليس بالأمر اليسير، وقد اطلعت المحكمة الموقرة على إفادات الشهود بهذا الشأن وأن عبد السلام يمثل الزعيم في كل شيء والله اسأل أن تقف المحكمة المحترمة

وهم من ضباط الثورة ويعلمون الحقائق عن أخوة وإخلاص العقيد الركن عبد السلام لزعيمه الزعيم الركن عبد الكريم قاسم وتفانيه لجمهوريته، وما هذه إلا سحابة صيف وامتحان للعباد وكلنا أخوان وفي خدمة الشعب والجمهورية.

الحزبية:

أ- أنا كرجل عسكري لم يكن لي اتصال بالأحزاب قبل الثورة وإن ما جاء بشأن اتصالي بجماعة وتقديمها على أخرى فهذا لا صحة له بتاتا، وقد ثبت ذلك بالأسئلة التي وجهتها أمام المحكمة المحترمة للقادة كمسؤولين والزعيم فؤاد عارف كمتصرف ومدير الشرطة والحاكم العسكري، كما أنه لم يكن هناك أي شاهد إثبات في هذا الصدد وأوضح للمحكمة المحترمة أن توجيه الزعيم لي قبل الثورة بعدم اتصالنا بالمدنيين خشية انكشاف أمرنا، وبعد الثورة لم نكن نعرفهم جيدا وأني أصر على عدم وجود أي علاقة خاصة بل كل الشعب سواء وبهذه المناسبة فإن الشخص الذي كان يزودنا بأخبار الأحزاب قبل الثورة ومنهم البعثيين هو العقيد الركن عبد الوهاب الأمين.

ب- إني لم أتعرف على السيد فؤاد الركابي إلا بعد اشتراكه في الوزارة وزعيمنا يعلم بذلك حق العلم وإن كان يقوم المومأ إليه بضبط محضر جلسات مجلس الوزراء من الصدف أن يجلس بجانبي وبحكم الزمالة والاشتراك في المسؤولية كنا نتحادث شأن الوزراء الباقين، وكشخص مسؤول عن الأعمار كان يذهب معي في بعض الجولات ليرى شكوى المسؤولين وأبناء الشعب في الألوية من وجهة الأعمار ويقدمها لمجلس الوزراء للنظر فيها بأقرب وقت، إذ أن الثورة تطلب الأنتاج السريع.

ج- بأمكان المحكمة المحترمة السؤال من المحامي عبد الأمير العكيلي والذي

كان يجلب لي قوائم المبعدين والمسجونين السياسيين أو المسقطة عنهم الجنسية فهل كنت أحقق معه عن انتساب الأشخاص إلى أي فئة أو حزب أو جماعة وهذا مما يؤيد عدم انتسابي لأي جماعة أو تفضيلي فئة على أخرى.

د- كان من قرار مجلس الوزراء إعادة المعلمين المفصولين لأسباب سياسية وبصفتي وزيرا للداخلية في الأمكان السؤال من مدير الداخلية العام أن كنت قد أخرت تعيين أحد ما بسبب انتمائه لجهة أو كنت أسأل عنه لأي فئة يعود وهذا دليل واضح أني فوق التحزب والحزبيات.

هـ- لقد كانت تعرض بعض الاسماء للتعيين في مجلس الوزراء فيمكن الاستفسار هل كنت أمانع في بعضهم بسبب حزبية أو الانحياز إلى فئة معينة؟ بل إني رجوت رئيس الوزراء بالعطف على الرئيس الركن المتقاعد سليم الفخري بتعيينه بوظيفة ما مع العلم أني أوصيت المومأ إليه بعدم الانحياز لأي جهة أو حزب وأقسم بالتنفيذ، هل هذا يعني أني منحاز إلى جماعته أو الذين ضده، وايد ذلك سليم الفخري.

و- كنت أدعو دائما إلى وحدة الصفوف وخدمة الجمهورية ويدا واحدة من الشمال وإلى الجنوب ومن الشرق وإلى الغرب فهل معنى هذا أني أدعو لفئة معينة بل أني أقول نحن حزب واحد وهدف واحد وغاية واحدة وأن حزب الله هم المفلحون وهذه آية قرآنية، وبذا يظهر للمحكمة المحترمة بالإضافة إلى الشهود أني بعيد كل البعد عن أي فئة خاصة بتاتا وأن ما يقال ما هو إلا أفك وافتراء.

الخطابات: كان همي في خطاباتي هو الالتفاف نحو الجمهورية والشعور بشعور واحد ولا حزبية ولا طائفية ولا غيرها بل كلنا شعب واحد، وحتى تكلمت بالكردية، وفي الجنوب تكلمت بلهجة الجنوب وقصدي من هذا واضح.

أما ما يفسره البعض حسب أهوائه فهذا يعود إليهم وأني إن ناديت الشعب بما يطلب فليس بذنب، فنحن من الشعب وإلى الشعب ولا نعمل إلا بإرادة الشعب كما جاء واضحا بتصريح زعيمنا وكررته مرارا بعده. لم تكن هذه الخطابات سرية بل كانت كلماتي لا توافق سياسة الحكومة لماذا خاصة وأني حديث عهد بالسياسة، وكنت اتقبل كل انتقاد وتوجيه واعترف بكل خطأ كما تبين لكم من سير المرافعة وايده الشهود. كانت كافة الخطب تبدأ بالآيات القرآنية وقد جاء في دستورنا نحن دولة إسلامية وكلماتي بسيطة وخالية من التعقيد لأنها شعبية وببساطة قلب ونية صافية صادقة وتبين من افادات بعض الشهود أنها ترضي من يرضى، وقد لا يرضى عنها أحد ولا يوجد شخص في الكون يتمكن من أرضاء الجميع وإن المحكمة المحترمة تقدر ذلك وفي كل الأحوال حاشا أن يكون المقصود تبلبل الأراء وانما المقصود وحدة الصفوف والتوجيه الطيب لخدمة الشعب والجمهورية.

.. أفاد البعض لغرض خاص، كان ذكرك الزعيم قليلا. فأقول أمام المحكمة المحترمة أن زعيمنا ليس ميالاً للتهريج، ومن رأيه أن الأعمال هي التي تجل الإنسان ومع ذلك فمن الذي قال أنا عبد السلام قاسم وأين عبد الكريم قاسم؟ أما بشأن ذكر الرئيس جمال عبد الناصر في المناسبات فكان ذلك من ضمن خطتنا إذ كانت حكومة العهد البائد تسيء للجمهورية العربية المتحدة وإلى الرئيس جمال بالذات فلتوثيق عرى الأخوة وارتباطنا مع شقيقتنا كنت أذكره كما تذكر المحكمة الموقرة وأبناء الشعب في كثير من المناسبات وإن في هذا خير للبلاد العربية أجمع وضربة دامغة للاستعمار الذي حاول تفريق الصفوف. الا فليعلم الجميع نحن لسنا بعبدة أشخاص بل نحن حملة مبادئ وعقائد وزعيمنا أعلم بذلك. وبذا يظهر للمحكمة المحترمة أن جميع ما بينته من كلماتي كان بحسن نية وسلامة قلب وإداء خدمة والله من وراء القصد.

الوحدة والاتحاد: أنا لست ممن يجبرون الرأي العام على قبول أي شكل من الحكم وخاصة نحن في فترة انتقالية فإن كان لي رأي فأني كأحد المواطنين. إني لم أصرح بتاتا بالوحدة فوراً وهذه كلماتي وبإمكان المحكمة الرجوع إليها بل إني كنت أقول نحن نحتاج إلى دراسة وزمن طويل وإلى صبر وأناه وأن ما يريده الشعب هو الذي يؤخذ به. وإذا نظرنا إلى دستورنا فالمادة صريحة فيه أن العراق جزء لا يتجزأ من الأمة العربية فأذا نحن فوق الوحدة وأكثر تماسكا فقد تكون الوحدة على عدة أشكال ومنه ما نراه اليوم في الجمهورية العربية المتحدة مقسمة إلى أقليمين بينما ينص دستورنا صراحة على عدم التجزئة. والأمة العربية أمة واحدة جمعاء وليس هناك من حدود أو أقليمية أو تجزئة فجمهوريتنا لا تتجزأ من الأمة العرُبية بتاتا وهذا ليس رأيي فقط بل وسياسة الحكومة الصادقة فلو كنا أمة واحدة من الخليج إلى المحيط لما عانينا الأمرين من الاستعمار وهذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي.

جريدة الجمهورية: جاء ذكر جريدة الجمهورية أثناء المرافعة وليس يخاف على المحكمة المحترمة أن أحداث ثورة أو انقلاب ليس بالأمر اليسير ويجب تحمل المسؤولية فعندما بدأت جلسات مجلس الوزراء في عهد الثورة، وتقرر غلق الصحف المأجورة لم تبق صحيفة تعبر عن الحقائق وخاصة عن ثورتنا المباركة فعرضت فكرة الجريدة في المجلس وقد أيد ذلك رئيس أركان الجيش في أفادته والحقيقة كان ترتيبها إرتجاليا وأني قبلت امتيازها ضانا أن الصحف من واجبات وزارة الداخلية، ويجوز للوزير أصدار صحيفة كما كانت جريدة العمل سابقا، ولكن بعد صدورها ببضعة أيام وعرف الوزراء واجباتهم أعطيتها بعلم المسؤولين لشخص راغب فيها وأنه ذو ماض طيب وضابط متقاعد ولا ينتمي إلى أي حزب حسبما أعرف هو الرئيس رشيد فليح الذي سجنه العهد البائد، واحاله على التقاعد بسبب حركات 1941 الوطنية. وكانت حسابات الجريدة في

بادئ الأمر لدى مديرية الاستخبارات العسكرية على ما أعلم وبعد انتقالها لصاحبها الجديد لا أعرف مصيرها كما لم تكن لي علاقة بها بتاتا وأن الوثائق الرسمية تثبت ذلك. وكما نوهت حينما عرفت أن الصحافة من واجبات وزير الأرشاد كنت استغرب من مراجعة بعض الأشخاص لمنحهم أمتياز صحف، لذا لم أمنح أي أمتياز من قبلي، وبذا يظهر للمحكمة المحترمة أن الغرض كان في بادئ الأمر سالماً ووطنياً ولخدمة الجمهورية ليس إلا.

العودة من فينا: بينت في أول الكلام أن الزعيم أوعدني ببقائي في أوربا لمدة (21) يوماً فقط والعودة مباشرة إلى بغداد. وأن اتصال السفير السابق السيد علي حيدر سليمان حول التحاقي بمنصبي وكنت حينذاك في فينا جعلني بأحراج. إذ أن الزعيم قال أمام الجميع لا ترسل أوراق اعتماد إليه وعلى كل أوعدت السفير بالجواب قبل يوم 7-11 وذلك حسب طلبه وكانت المخابرة يوم 3-11. ومعنى ذلك لدي أربعة أيام وبأمكاني الاتصال مباشرة بالزعيم لاعطاء القرار للسفير المنقول، وبينما أنا في هذا الحال وردت برقية من وزارة الخارجية هذا نصها (مايلي من سيادة رئيس الوزراء لإطلاع سيادة العقيد بأن الموقف في الوقت الحاضر يقضي الذهاب إلى بون وأعلامنا من هناك برأيه) وهذه البرقية تؤيد بصراحة الاتفاق الذي بيني وبين الزعيم برجوعي مباشرة إلى بغداد وعدم الذهاب إلى بون، وإلا فلماذا هذه البرقية إذ كان المفروض بعد انتهاء زيارتي أتوجه إلى بون ومع ذلك للتأكد من موقف المؤسسة في بون كما أشارت البرقية اتصلت بالسفير السابق، قال أن كل الأمور اعتيادية وسأبقى معك عشرة أيام. وكما نوه في إفادته أن الأصول تقضي بسفر السفير السابق قبل الجديد وبالأمكان طلبها، وعليه قررت السفر فوراً وعلى حسابي الخاص لأكون على بينة من الأمر وأقف على الحقيقة. وأن ترك موظف لدائرته ليست بجريمة وإنما يحاسب من قبل رئيسه وفعلا سافرت ليلة 3-4/ 11 مع العلم أن قد تم أخبار

الحكومة من قبل المسؤولين كما جاء في إفادة السيد علي حيدر سليمان. أما سبب عدم إظهار شخصيتي في الطيارة فكما تعلمون أن الطائرة تحتوي على مختلف الأجناس ومنهم أجانب ونحن نيام والوقت ليل أما سبب طلبي السيارة فكما بين الطيار في شهادته إذ قال من المحتمل عدم وجود سيارات لذا طلب احضار سيارة قريبة لأخلص من الاستقبالات وغيرها، وكذا لم يذكر الطيار اسمي عند طلب السيارة لنفس السبب (لغيرها اقصد التجمهرات ويعيش ويسقط) وكما بينت أن سفرتي كانت معلومة وليست متخفية وإنما ببرقيات أيدها السيد علي حيدر سليمان وفعلا نزلت من الطيارة وأخذوا مني جواز السفر الذي لم يعد لي لحد الان وبنفس الوقت قدمت لهم الجنط اليدوية التي كانت معي وقلت للمسؤولين فتشوها ونظرا لصغر حجمها وخفتها اكتفوا بالنظر إليها. وقد عقبت طريق الصرافية في الذهاب إلى البيت كما هو شأني دوما لخلو هذا الطريق من إزدحام السابلة لا كما عبر عنه. وقد ايد العقيد طاهر يحيي اتخاذ نفس الطريقة سابقا وكنت مزمعا بعد غسل وجهي ووضع حقائبي التوجه لسيادة رئيس الوزراء، وبينما أنا في هذا الحال جاء العقيد طاهر فقال أن الزعيم يطلبك فقلت له حاضر أنا في طريقي إليه وحتى لم أغسل ولم أفتح الحقائب ويشهد آمر الانضباط إذ قد أعطيته المفاتيح بعدئذ وسلمها بدوره إلى البيت فلما شاهدت الزعيم قلت له سيدي برقيتك حيرتني فاين اتفاقنا الخاص بالعودة مباشرة ورويت له قصة اتصالي ببون وطلبت منه الجواب وحل القضية حسب الوعد السابق. فقال لي ماذا تريد أن تشتغل فقلت له بأي واجب تنسبه حتى جندي كاتب تحت يديك فالمهم القيام بالخدمة وإذا لا ترغب فاجلس في بيتي كمواطن مع العلم أني لا راتب ولا منصب ولا امتياز، فأجابني الزعيم لابد من سفرك، فقلت له أين ذهب اتفاقنا، وعقب بعدئذ بعرض عدة سفارات فقلت له سيدي الأسباب لازالت كما هي وأني أريد منك تنفيذ الوعد فلم يوافق،

وأجاب عبد السلام راح نفترق، فأجبته سيدي أني لا افارق أبداً وأنا ذلك المخلص الأمين لك وللجمهورية، فأجابني اذهب مع آمر الانضباط وصفي فكرك وبعدين أزورك، وبقيت أنتظر زيارته للوصول إلى حل يوافق عليه سيادته أو يأمر به ولكن الذي حصل أني فوجئت في صباح اليوم التالي بنبأ اعتقالي فقلت "إنا لله وإنا الله راجعون" ولشدة تأثري أضربت عن الطعام، فأين الزيارة والانتظار، وماهذا البيان فجاءني آمر الانضباط بعد يومين ووجدني صائما فذكرته بكلام الزعيم ووعده، فقال المسألة بسيطة ضروري الان تأكل لقمة واحدة معي حتى نذهب سوية فلم آكل غيرها. ومن المؤسف أن آمر الانضباط لم يأخذني للمواجهة بل قال لماذا لا تكتب رسالة تبين له فيها رأيك وحالك واسلمها بيدي إلى الزعيم وحينذاك يقرر ما يقرر، فعملت بما اراد ومن المؤسف لم أحصل على نتيجة ومن ثم جاءني الدكتور الشواف لعيادتي وحبذ ارسال رسالة أخرى وقد تكون أكثر فائدة، والنتيجة لم تحصل المواجهة فانتظرت وانتظرت وجاءني الدكتور الشواف ثانية واقترح تجديد رسالة أخوية وأيد آمر الانضباط بطلب الزيارة والمواجهة حسب الوعد وها أنا أمام المحكمة الموقرة ومع ذلك فأني صابر وكلي ثقة بزعيمي، لأني أعرفه حق المعرفة. ولقد ظهر من سير المرافعة أني لم اتصل بأحد ولا أدري بالموقف وما هي المؤامرات وما هي علاقتي بها فليس من شيمتي ولست خائنا ولله الحمد بل أني مخلص للأخوة ولجمهوريتي ما استطعت، والأيام بيننا وادع تقدير ذلك للمحكمة المحترمة وأني لا أصف اعتقالي ولكني أقول لمحكمة الشعب بأن ما ألاقيه أشد من السجن والله مع الصابرين.

الاشاعات والدعايات: ثبت من سير المرافعة بأني لم أكاتب أحداً أياً كان حينما كنت في خارج العراق، ولم اتصل إلا بالموظفين العراقيين الرسميين، ومهما حاول الصحفيون والسينمائيون والمصورون ومندوبو التلفزيون

والأذاعات الاتصال بي إلا أنهم فشلوا. أما عن اخبار تنقلاتي فواضحة فإني أمر بالمطارات والكمارك وجوازات السفر وجواز سفري صريح، الأمر الذي يكشف هويتي فورا وكشخص له صفة سياسية تذاع اخباره فورا وهل يعد هذا ذنبا؟ وهل بمقدوري اسكات الإذاعات مهما كان نوعها؟ أما بصدد إشاعة قدومي إلى بغداد فالأمر ليس بسري كما نوهت في أول الكلام إذ أن الزعيم أوعد بعودتي أمام جميع الحاضرين ومن المحتمل أنهم قدروا يوم عودتي هو يوم 5-11 وتناقلتها الالسن والدعايات المغرضة ومع ذلك فقد كذبت الإشاعة لأني وصلت يوم 4-11 وليس يوم 5-11 وأن الذي حقق موعد الوصول هو تأريخ مرور الطائرة فلو تأخرت لتأخرت ولم يثبت لدى المحكمة ولم أجد أي شاهد قد تحدث وقال بأني قلت له أو خبرته بأني سأعود للعراق بتاريخ معين بل أني نفسي لم أكن أعرف عودتي، وأن الدعايات والأشاعات المغرضة هذا شأنها. فلو ضربنا مثلا بأذاعة الأردن فالعراق اليوم ليس بجمهورية وانما أعدام الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والعقيد الركن عبد السلام وغيرها وكما أن عضو مجلس السيادة السيد خالد النقشبندي قد تقدم برتله المزعوم وقضى على الجميع وأعاد الحالة كالسابق، فهل هذا صحيح؟! وهذا مثل بسيط. ولنقس غيره عليه لاسيما وأن مفرقي الصفوف والاستعماريين وأذنابهم موجودين وقد سمعت أثناء سير المرافعة بحدوث حدث يوم 5-11 فأين هو الحدث وكما بين سيادة رئيس المحكمة بين يوم وآخر تصلنا أحاديث وحوادث وأشاعات فهل نصدق بها ثم ما مدى علاقة الأشخاص بها. ومع ذلك فإني أعلن أمام المحكمة الموقرة بأن ليس لي اتصال (وقد ثبت ذلك) بأي شخص سواء كان في العراق وأنا بالخارج أو أي شخص آخر ينتسب لدولة أجنبية أو دعاية أو إذاعة أو صحافة وما شاكلها فأنا حاضر لتلقي التبعية والمسؤولية إن ثبت ذلك. هذا وإن تنقلي جرى وفق الخطة المرسومة وبرفقة الموظفين العراقيين الذين نوه عنهم السيد علي حيدر

سليمان في افادته، كما أن أخبار العراق كانت مقطوعة عني تماما إذ لم أشاهد أي شخص قادم من العراق حينما كنت في أوربا ولم أسافر إلى أي قطر عربي كما زعمت به الدعاية الصهيونية المسمومة وبإمكان المحكمة المحترمة التأكد من ذلك.

أما أسباب عدم شرائي الملابس المقتضية للسفراء والسيارة فالكل يعلم نحن في بغداد نتمكن من تجهيز بيت كامل في بضع ساعات فكيف أوربا، والعادة الجارية شراء جميع اللوازم حاضرة من المخازن ومنها الملابس وهو الأسلوب الاعتيادي وأما شراء السيارة فما اسهله في أوربا وخاصة في المانيا سواء كان من المعامل أو الشركات هذا وإني أنفي نفيا قاطعا بأي اتصال مع حزب أو منظمة أو أشخاص يخشى من أعمالهم على سلامة الجمهورية وقد ثبت لدى المحكمة المحترمة بعد كشفها المؤامرات أن من مثلي ومن ضحى بحياته وعائلته وكل عزيز عليه لتنفيذ خطة قائدنا الكريم وتكوين جمهوريتنا وأن هذه المرافعة لتأييد لما نقوله ونعمله بحسن نية وخدمة صادقة إن شاء الله.

شهادة الشهود- ظهر للمحكمة الموقرة من سير المرافعة كان أكثر كلام الشهود سماعيا. سمع عن فلان وعن فلان ولا يخفي ما لأثر الزيادة والنقص في الكلام بالأضافة إلى التحريف وهذا له أثره الضار ولكن ثقتي بعدالة المحكمة تزيل الشكوك. ثبت للمحكمة المحترمة من بعض أفادت الشهود أنه كان متحاملاً بل أظهر أحدهم استعمال كلمات غير لائقة وأنا بحماية المحكمة تكرر ذلك مع العلم أني قد تنازلت عن حقي وفاء للأخوة التي بيننا وترفعا عن الصغائر ولا حاجة لتبياني تقدير أهمية مثل هذه الشهادات وصحتها ولنكن عند حسن الظن دوما ونأمل تمحيص هذه الأقوال لهؤلاء الشهود.

ظهر من بعض الشهادات افتراء وزور كشهادة السيد شاكر محمود الموظف الزراعي مشاهدته لي في دعوة أبو غريب وعين ملابسي وحملي الكامرة بينما قد ثبت لدى المحكمة الموقرة كذب شهادته من أولها إلى آخرها فيما يخصني وأن مثل

هذا القول ينطبق على شهادة الرئيس عمر فاروق من الانضباط العسكري الذي لم يقم بدوره أي من الضباط الثلاثة الآخرين وافترى علي بأني طلبت منه المساعدة لخلاصي وناقض نفسه ولم يثبتها وقال (حينما سألت العقيد إذا نزلوا عليك أشخاص بالبرشوت هل تذهب معهم فأجابني بالرفض وأنه يبقى في بلاده ولا يقوم بمثل هذه الأعمال التي لاتناسبه) وكما موضح حينما سألني عن الزعيم بادرته بأظهار حبي وإخلاصي لزعيمنا. لقد نسبت لي بعض الأقوال التي لا أذكر بأني قلتها يوم سفري إلى بون فأبين للمحكمة أنه لم تصدر مني مثل هذه الأقوال لاسيما وقد ثبت للمحكمة الموقرة الحالة النفسية التي كنت فيها والتهيج العصبي فكيف أعطف على نوري السعيد وأنا من أولئك الضباط الذين قاموا بواجبهم المطلوب تجاه نوري السعيد وزمرته. بل أنا في وقت نوري السعيد كتبت كتابا رسميا على ذوي نوري السعيد وأتذكر جملة منه مشهورة لدى الجيش (من كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجارة) وقد ترتب على ذلك أجراءات رسمية ومجالس تحقيقية، ولولا التزام آمري في ذلك الوقت وهو زعيمنا المنقذ الذي أغلق القضية فكيف أذكر نوري السعيد اليوم فحاشا لله.

الاتصال بالسياسيين غير العراقيين: بينت للمحكمة وأثبتته إفادات الشهود عدم انحيازي لأي جهة أو فئة معينة لذا فعند ذهابي للشام لم أتصل أي أتصال فردي بل أني لم أكن أعرف الساسة جيداً وأؤكد للمحكمة بأن المقابلات كانت رسمية وبحضور الوزراء الذين كانوا معي وبالأمكان السؤال منهم.

قدوم وفد الجمهورية العربية المتحدة للتهنئة بالثورة كان بعلم رئيس الوزراء ودلالة وزير الأرشاد وأني لم أر الوفد إلا مرة واحدة في مجلس الوزراء ولا أعرف معظمهم وكانت المقابلة رسمية وتبودلت الكلمات بين سيادة الفريق الركن نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة ورئيس الوفد وأني لم أذهب إلى أي دعوة أقيمت على شرفهم وحتى أني لا أعرف جيداً من يضم الوفد أما

الاتصالات بالسياسيين العراقيين الذين كانوا بالشام كالسيد رشيد عالي وغيره، فانفي ذلك نفيا قاطعا ويؤيد أدعائي الوزراء الذين كانوا معي وبإمكان المحكمة المحترمة السؤال منهم وعلى ما أتذكر سلم علي فقط من العراقيين السيد عزيز شريف.

شهادة سيادة رئيس أركان الجيش: لقد أيد سيادة رئيس أركان الجيش بشهادته مايلي:

أ- أن الغاية من أعادة العقيد نعمان ماهر لوزارة الدفاع لرفع مجلة الجندي ومحاولة إصدار مجلة القوات المسلحة وأعلم المحكمة بأني لم أصدر أمراً بأعادته ولست مسؤولا عن ذلك وليس من صلاحيتي. وكان الكتاب موقعا من رئيس أركان الجيش.

ب- لم أتدخل ولم أتحزب إلى أي جهة معينة أو فئة وذلك بصفته حاكم عسكري.

ج- لم أتدخل في المطبوعات وشأنها بل إنها كانت تعود إليه بصفته حاكم عسكري عام.

د- لم أتدخل في أي اعتقالات أو الأفراج عن أي كان لأنها من صلاحية الحاكم العسكري.

هـ- أيد بأنه جرى بحث جريدة الجمهورية في مجلس الوزراء لأنه كان يحضر الجلسات ولا يخفى على المحكمة الموقرة ما تدحض هذه الشهادة من الأقاويل الفارغة التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

شهادة الزعيم الركن خليل سعيد: أعتقد لم يظهر أثر لوجود اسم الزعيم الركن خليل سعيد في الهيئة العليا لضباط الثورة وإني متأكد من ذلك وقائد الثورة والهيئة العليا تعرف ذلك. حلل شخصيتي بسوء تفاهم مع مقر القوة الألية

ونقلي ضابط، وأبين للمحكمة المحترمة أني أعتد بضباطي والتـزمهم علـى الحـق مهما أدى بي الأمـر، وبخصـوص نفـس الضـابط المنقـول أصـررت علـى عـدم انفكاكه لأن نقله كان على شكل سرقة، وكان زعيم الثورة آمـر لـوائي حينـذاك فأسندني لأني على حـق ولم أفـك الضـابط المنقـول مـن الفـوج إلا بعـد رجـاء زعيمي. وأما الحسنات والتعاون والأخوة فوضعها في سلة المهملات وعلى كـل هذا رأيهم، ولكي أعطي فكرة بسيطة عن المومأ إليه وأعماله المثبتة رسمياً أحـب السؤال منه:

أولاً: من الذي تجسس على الضـباط ووشـى بهـم حينمـا أخـذ الفـوج مـن المرحوم الزعيم الركن أمين خاكي وهل كان عمله وطنياً في حينه؟

ثانياً: من الذي أتصل باليهود في حركات فلسطين سـنة 1948 وأخـذ كـاميرا منهم كهدية، ونحن في حربنا المقدسة معهـم وفي ذلـك الوقـت العصـيب؟ وجرى التحقيق معه ولولا شفاعة الشافعين لعلم ما جرى به وإنـي أقـول ذلك وفي غاية الألم لأن المسألة انحرفت إلى أقارب وخصوصيات وكلمات عامية لا يقولها شخص مسؤول، وبوسعي أن أبحث وأبحث ولكـني اترفـع أكراما للثورة واحتراما للمحكمة المحترمة. أما ما جـاء بخطـة لـواء التاسـع عشر الذي زعم أني لا أعرفها فالأمر نودعه إلى زعـيم الحركـة بـل وهـل يتذكر الموما إليه غداءنا سوية لدى العقيد محمود عبد الرزاق في الفوج. أما ما جاء بخطة اللواء الخامس عشر فاسألوا زعيمنا في أي سـاعة مـن الليـل وصل جلولاء وكم بقي عندي في البيت وماذا طلب مني؟ وفعلا حضَّرت له كلما أراد وكانت لدي سرية تذهب في الصباح الباكر إلى بغداد وآمرهـا المقدم إبراهيم قسطو ظاهرها مكافحة الجراد وباطنها ما قرره زعيمنا علـي أن أعقبها بالقوة المطلوبة، واسألوا الرئيس فاضل الساقي من الفوج الثاني

لواء العشرين ألم يصلني الساعة الرابعة صباحا ورآى كل شيء حاضراً وقال سيدي العزيمة أجِّلت إذ كان هو ضابط الارتباط وهذا يعني أن الحركة تأجلت.

خطة كلية الأركان: بإمكان المحكمة المحترمة أن تسأل العقيد الركن عبد الغني الراوي الذي جاء بالغدارات وعرض الفكرة وكيف تم اتصاله بي، وكيف أخذته للزعيم ولم تحصل الموافقة على العمل وكان ذلك بحضور العقيد فاضل محسن الحكيم. أفاد الزعيم خليل حول الخطة واللجنة وإني أقول كان عليه أن يسأل اللجنة هل هي وضعت الخطة أم لا؟ والجواب عند زعيمنا وقائدنا الذي كانت في جيبه الخطة وبالرغم من تنقلات الزعيم خليل بين أربيل وكركوك وجلولاء وبغداد كان يستلم الكتب من عبد السلام ويتصل بعبد السلام فشكر له أن أهم خبر لديه أنه قد علم بالثورة المباركة من الراديو. على المحكمة المحترمة تقدير شهادته. جاء في إفادته حول مجلس قيادة الثورة وذكر قبلا من قبل العقيد الركن عبد الوهاب أمين بأن الزعيم أرسله إلي، وأعلن أمام المحكمة المحترمة الجواب من اختصاص الزعيم نفسه. أما ما جاء بساعة وصول الفريق الركن نجيب الربيعي فلم يكن أي شخص يعرف ساعة الوصول بالضبط وكان جوابي صحيحا إذ أني ذهبت مع سيادة زعيمنا، ووصلنا مع الأسف متأخرين، ويجوز أن يكون قد وصل الزعيم خليل قبلنا أما ما جاء بأفادته بوجود برقية تفيد أن العقيد عبد السلام وضباطه يبايعون، فأني أنفي نفيا قاطعا صدور مثل هذه البرقية مني لا أمراً ولا كتابة ولا توقيعا ولا تخويلا ولا أعرف عنها أي شيء وإني مستعد لتحمل المسؤولية إن ثبتت لي أي علاقة بها بل إني أعتبرها دسا علي، وبذا ستبان للمحكمة المحترمة أهمية شهادة الزعيم المذكور والاستنتاج منها. وأني لا أعرف أخاه ولا غيره ولا سيارته فالأخ كأخيه فأن كان الأول يهرول بين أربيل وبغداد فما أسهل هرولة الثاني بين بغداد وبعقوبة، ولم يكن

همنا البطولات والظهور على المسرح ويعلم زعيمنا الكريم بذلك فهناك أسرار الثورة التي لا يعرفها إلا الله والراسخون في العلم والأيام بيننا، وقد ثبت للمحكمة أن عبد السلام مندفع ومتحمس فإني نذرت نفسي لوجه الله ولخدمة بلادي قولا وفعلاً وبشرت شعبنا الكريم بجمهوريته الغالية يوم 14تموز الخالد وأنا واثق من النجاح لأني كنت أعمل تحت قيادة زعيم حكيم ورحمة ونصر رب رحيم.

أفادة العقيد عادل جلال: أن ما جاء فيها أني أحب ضباطي فهذا أمر مفروغ منه وكل آمر يجب أن يحب معيته بصورة عامة ويعطي كل ذي حق حقه، وكل قدر قدره، فكان يريد الموما إليه أن أطلعه على كل شيء بالنسبة للثورة وهذا لا يمكن تنفيذا لأمر زعيمنا للمحافظة على الكتمان والسرية، حتى أنه أعترف بأن الزعيم قال له خذ أوامرك من العقيد الركن عبد السلام. أما بشأن أحالته على التقاعد بعد تعيينه قائمقام كان برغبته ويأمل النقل إلى مندلي ولا يليق بي أن أجيب على بقية شهادته لعدم الأهمية وإنما هذا جزاء الأحسان.

أفادة الرئيس الأول الركن سليم الفخري: شهد بأني مواطن شريف ومخلص حينما كنت معه وأني كنت أعمل ضد الأوضاع البائدة بل حتى وزعت المناشير ولم يستطع بل ولم يجزم على رأيي وفكرتي أو انحرافي على مبادئي في الوقت الحاضر وقد استقبلته استقبالا حسنا ولن أطلب منه أي توقيع على وثيقة، فلدي لسان وأنا أعبر عن نفسي لا غيري وقد أكد ذلك، وأما تعيينه فقد بين أنه صديقي وجاءني بحالة هو يصف نفسه ووضعه وملابسه، فأشفقت عليه أخوة، وذهبت لزعيمنا قلت له هذا ضابط من الجيش ونكب من العهد البائد وكان يرغب سليم أن يكون في الخارجية إلا أن وزير الخارجية اعتذر واعتذر بل وأبي بتعيين سليم في الخارجية والوزير موجود وبالإمكان السؤال منه، فتوسط لدى الزعيم بتعيينه على الأقل كمترجم في الأذاعة للاستفادة من لغته فوافق

الزعيم تلطفا منه ومع هذا لما جاء إلي واشتغل في الأذاعة بين أني لا أميل إلى أي حزب أو أي جماعة وقلت له هدف واحد حزب واحد شعب واحد ولا اتجاهات معينة، إنما اتجاه الجمهورية وأيد ذلك في إفادته كما أنه بين بأني كنت اتقبل كل نصيحة والاعتذار عن الأخطاء لأني بشر والرجوع عن الخطأ فضيلة. أما مخابرته بشأن شريط الأمير البدر فالغاية واضحة لأننا كنا لا نريد نقول وحدة أو اتجاه وظهور شريط من قبل شخصية في الأذاعة له بعض التأثير ولذلك تمت المداولة مع رئيس الوزراء وبعدما فحص الشريط سمح بأذاعته، وأما بشأن الصحف فكما بينت أن الصحف ليست من واجبي ولذلك كل من يراجعني لطلب صحيفة أمتنع لست مسؤولا، ومن ثم أن الصحف كانت تابعة إلى مجلس الوزراء وجاء ذكر السيد كامل الجادرجي ومما يدل على أخوتي وبساطتي وسلامة نيتي قلت له ليس بيننا شيء سوى أننا لم نر الآخر ولم يسلم الواحد على الآخر وبالأمكان الملاقاة والتصافح والأخوة وفعلا قام بهذا الدور. وقد أيد ذلك بسلامتي وبساطتي حينما أخبرني أن الشيخ أحمد لم يكن مرتاحاً جداً من مقابلتي فقلت له لماذا قال أعتقد كانت الترجمة خطأ فتألمت لهذا الحادث وقال من البساطة أن أذهب إليه واعتذر له وقلت له أني أرغب في رؤية الشيخ أحمد ومع ذلك قام بدوره والشيخ أحمد كان مسرورا لهذا الاعتذار بل إني قمت له بكل واجب حتى أوصلته إلى أربيل ومع الأسف إني هنا في المحكمة ولكن لدى رسائل من الشيخ ومن أبنائه تؤيد صداقتي معهم بل وأخوتي معهم، وأما الدعاية التي جرى الكلام عنها فليست تابعة لي فقط وإنما دعاية هناك وزير إرشاد وهناك مجلس وزراء وهناك توجيه ولست مسؤولا عن ذلك. كما اثبت الرئيس سليم الفخري أن خطبتي كانت بسيطة ولا تدل على أي اتجاه أو ميل أو تحزب أو فئة معينة.

أفادة الملازم فالح الناصري: أيد الضابط المذكور بأنه لم يسمع باسم عبد السلام وليس لعبد السلام علاقة أو وجود انقلاب أو ما شاكل ذلك.

أما الملازم الأول محمود فرج فأيد عدم وجود انقلاب في يوم 4-11-58 وأكد بأن عبد السلام ولم يذكر اسمه بتاتا وأما ما عدد بشأن تعيين أشخاص لمناصب فهذا تابع لمدير الشرطة العام وذلك تابع لوزير المعارف والأخر لوزير الدفاع ولست مسؤولا عنهم أبداً والمهم أن أذكر المحكمة المحترمة بذلك الشاهد وأعطى أفادته والمصيبة أنه يبنى استنتاجات على عبد السلام فندع الاستنتاجات لتقدير المحكمة المحترمة.

الانقلاب: ثبت من أفادة الملازم فالح الناصري والملازم الأول محمود فرج والملازم الأول شهاب أحمد بعدم وجود انقلاب أو مؤامرة، لم يذكر اسم العقيد عبد السلام محمد عارف بتاتا. لا يصلح العقيد عبد السلام كسياسي وعليه فكيف يمكن أن تكون أجابة أو علاقة أو اتفاق أو ما يسمى بتبديل أو انقلاب أو أي تغيير آخر فهذا دليل واضح وإثبات قطعي على براءتي ولست متهماً باتصال لأني بريء. لم نجد أي شاهد إثبات أو أي إفادة ذكرت اسمي أو وجود علاقة مع أي شخص أو اجتماع أو توجيه مباشر أو بالواسطة لما يسمى تآمر أو تبديل وهذا مما يثبت براءتي بل إني بعيد كل البعد عن هذه الأفكار والأعمال الزائفة وعليه فإني اتأمل من المحكمة الموقرة الالتفات إلى هذه الناحية وتبرئه ساحتي.

وختاما أبدي لقضاة العدل وأمامهم العقيد الركن عبد السلام محمد عارف ابن الرابع عشر تموز وأول صوت غرد في عهد الحرية وإذاعة الجمهورية ولابد من ذكر الأعمال التالية والتي ظهرت للمحكمة المحترمة جلية أثناء المرافعة:

أولاً: اشتغالي بكل أخلاص بإمرة زعيمنا والقيام بالاستعدادات والمتطلبات للثورة سواء كان داخل العراق أو خارج العراق.

ثانياً: تأيد للمحكمة المحترمة بأني الممثل الدائم لأخي الأكبر وزعيمنا في كل مناسبة بل موضع ثقته الدائم وأن علاقتي به قوية فوق الوصف.

ثالثاً: اعتقلت أول مجرم ضد الثورة والسيطرة على فوجه وهذه باكورة نجاح الثورة.

رابعاً: سيطرت على جحفل اللواء لتنفيذ خطة الثورة.

خامساً: نفذت خطة قائدنا بمسك الأهداف المطلوبة في بغداد وقيام جمهوريتنا الغالية وكان صوتي أول صوت نادى بالحرية والجمهورية ورافعا اسم زعيمه الكريم. وبعد فإن الله قد اعطى لنا أمنيتنا وحقق آمالنا وسحق الاستعمار، ويعلم الجميع أن مثلي من زعيمي كمثل اسماعيل من إبراهيم الخليل بل وقصتي كقصة اسماعيل عليه السلام فقد بلغت مع زعيمي الثائر فإنه رآى أن يذبحني وفي ذلك مصلحة للشعب والجمهورية فأقول له بكل طيبة خاطر أفعل ما تؤمر وستجدني إن شاء الله من الصابرين، وقد أسلمت لك نفسي ومصير عائلتي والله يشهد بأني لك ولجمهوريتنا العزيزة من المخلصين وأني مؤمن من محكمة الشعب الموقرة أن تبرئ أخيها في الجهاد وتنجيه من الكرب العظيم وأنها تقدر تضحيته وأعماله وتنقذه من براثن الاستغلاليين والاستعماريين، ومفرّقي الصفوف وذوي الداعايات والأقاويل الفارغة وبهتان التآمر المزعوم والانقلابات الخيالية فحاشا أن من ضحى بكل ما أوتى في سبيل وطنه وقيام جمهوريته وبأمرة زعيمه أن يقوم بما يمس زعيمه أو جمهوريته، وأني لبريء وقد ثبت ذلك في أثناء المرافعة وبشهادة الشهود وإن كافة أعمالي كانت بحسن نية وخدمة صادقة والله من وراء القصد، وأدعو لجمهوريتنا الغالية ولشعبنا الكريم بالتوفيق وبزعامة زعيمنا المنقذ الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والله ولي التوفيق والسلام عليكم.

(وفي الساعة الثانية عشرة أعلن الرئيس رفع الجلسة للاستراحة لمدة ربع ساعة. وفي الساعة الثانية عشرة والربع عادت المحكمة ثانية للانعقاد).

الرئيس- المتهم عبد السلام عارف. (نودي على المتهم عبد السلام عارف فحضر القاعة وأدخل قفص الاتهام).

الرئيس- قبل توجيه أسئلة المحكمة إليك ذكرت بدفاعك بأنك تلاقي في سجنك ما تلاقي فهل عذبت؟

المتهم- بوصفي أنا كمعتقل والمعتقل ليس كالسجين فالمعتقل يجب أن يقرأ يجب أن تعطى له الحرية في الخروج من الغرفة يجب أن يزوره أهله يجب أن يكون له الحق في التمشي على الأقل الصبح ساعة والعصر ساعة وهذه الأمور حرمت منها.

الرئيس- هل هذا كل ما تلاقيه؟ وقبل الدخول في الأسئلة أود أن أذكر أبيات لشوقي طبعا قالها قبل وفاته في سنة 1934 حسبما أذكر وبنفس السنة مات شاعر النيل حافظ إبراهيم قال:

إلى ما الخلف بينكم إلى ما ... وهذي الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيد بعضكم لبعض ... وتبدون العداوة والخصاما

فأين الفوز؟ لا مصر استقرت ... على حال ولا السودان داما

فإن الفكرة العامة سواء في المحكمة أو لدى الشعب العراقي العظيم بأن من يسيء إلى أهداف الشعب الحقيقية سواء كان في العهد البائد الذي قضى عليه الشعب والجيش وسواء كان في العهد الجمهوري الخالد سواء كان ذلك من قبل من قام واشترك في ثورة 14 تموز الخالدة، أن من يسيء إلى أهداف الشعب الديمقراطية الحقة لايفرق في جرمه إن ثبت عن أي شخص مجرم في العهد البائد لذلك أقول أن ما يدور في هذه المحكمة هو عن انحراف في أهداف الثورة قد أتهم

بها المتهم ومحاولة لاغتيال الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم ثم أن ما سمعناه في دفاع المتهم لا يترك حاجة لعنجهية الخطب والتهريج، فنرجو أن يكون الجواب بقدر السؤال سواء في الأجابة أو بشكلها والسؤال هو:

- ما هي الدوافع الحقيقة للشروع في اغتيال سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء من قبلك؟

المتهم- لم يكن هناك أي شروع.

الرئيس- إذا كان الهدف انتحارك كما تقول فلماذا اخترت تلك الساعة والمحل بالذات؟

المتهم- بينت في أفادتي وكررتها بأن الفكرة جاءتني آنياً وأصبحت لا أرادي الشعور.

الرئيس- لماذا سحبت مسدسك خلسة وانتخبت اللحظة التي كان فيها سيادة الزعيم مستدير ظهره ومنشغلا عنك بالتحري عن أوراق تحت ساعة موضوعة على منضدته؟

المتهم- لم أسحب المسدس بتاتا.

الرئيس- إذا كنت تقصد الانتحار بداخل الغرفة فلماذا لم تختر ركنا من الغرفة لتحقيق غايتك بصورة أكيدة وتبعد عنك تهمة اغتيال سيادة الزعيم لاسيما وأن المنتحر يخرج عن طوره؟

المتهم- بينت قبل أن الفكرة جاءتني آنيا وليست مرتبة وبصورة لا ارادية فمن يدبر يمكن أن يحكم عقله ولا يقدم على الانتحار.

الرئيس- العوامل التي دفعتك إلى اغتيال سيادة الزعيم واضحة حسبما ظهر من تصرفاتك لاسيما وأنك أصبحت موتورا بعد أعفائك من مناصبك وأبعادك حسب رأيك المغلوط فما قولك؟

المتهم- في رأيي لم أكن موتورا ولا أكون موتورا وإن إعفائي من المنصب لا يؤثر علي بتاتا وإنما أردت من زعيمي الأكبر إن لم يجعلني كجندي كاتب، فأكون كمواطن في بيته وأعتقد في عهد الحرية في عهد الجمهورية للمواطن أن يجلس في بيته.

الرئيس- جاء في دماغك، الخلاصة، أنك تحب الزعيم إلى درجة كبيرة وأنه كأخيك وجاء أيضا بافادة الشهود وأقوال أكثرهم يظهر لهم أن أتصالك أتصال قوي جدا وخاصة قبل الثورة ببضعة أشهر وعند ليلة التنفيذ كما تدعي أنك نفذت خطته فهل من الإخلاص والإخاء عدم أطاعة الزعيم وحتى لو كان في ذلك الموت؟

المتهم- والله أني أطعته على الموت ولكن المهم رأيي الشخصي كنت أريد البقاء قرب الزعيم حتى أكون فداء للزعيم.

الرئيس- لماذا كنت تريد البقاء وتكون فداء للزعيم؟

المتهم- لأن البلد محاط بالأجانب والجواسيس والمدمرين فبهذا الوقت الجمهورية تحتاج إلى أيدي عاملة فكنت أفضل أن أكون تحت متناول يده للاستفادة مني.

الرئيس- هل هذا من واجبك الأساسي؟

المتهم- على كل هذا رأيي وأنا أقول رأيي صراحة وقلبيا والله يشهد.

[واستمرت أسئلة رئيس المحكمة العقيد فاضل عباس المهداوي الموجهة إلى المتهم العقيد الركن عبد السلام محمد عارف. على هذا المنوال، محاولا انتزاع اعتراف من أن الزعيم عبد الكريم قاسم هو المخطط لثورة 14 تموز 1958. وأن العقيد الركن عبد السلام محمد عارف لم يكن غير منفذ لخطة (الزعيم)!].

ثم سأله المهداوي:

- الاتعتقد أن تصرفاتك هذه أوجدت البلبلة في صفوف الشعب؟!

المتهم- لا أعتقد لأني ابن الشعب.

الرئيس- وإذا كنت ابن الشعب؟

المتهم- فيجب أن اساوى كأبناء الشعب.

الرئيس- كيف تساوى وأنت تعمل ضد مصلحة الشعب؟

المتهم- لم أعمل ضد الشعب.

الرئيس- الشعب باجمعه يقول بأنك أول من أراد أن يشق الشعب ولكن الشعب بقي وحدة تجمع العرب والأكراد وتحت لواء الجمهورية العراقية فقط إلى أن تنتهي فترة الانتقال وعند ذلك تبدأ فترة الحياة الديمقراطية باستفتاء شعبي حر فيقرر الشعب مصيره لا أنت ولا غيرك الحكم للشعب وحده وإذا كنت ابن الشعب وتسيء إلى الشعب ألم يكن المجرمون في العهد البائد هم من أبناء الشعب؟

المتهم- أنا لست بمجرم وأن التاريخ سيثبت وأنت ستثبت أني لست بمجرم.. أنا عبد السلام.

الرئيس- وإذا كنت عبد السلام تعمل ضد السلام والحرية؟

المتهم- أنا عبد السلام لست بمجرم أنا من ضحى بكل شيء.

الرئيس- إذا ضحيت وانحرفت عن أهداف الثورة.

المتهم- لم انحرف بتاتا ويستحيل أن انحرف.

الرئيس- عملت على انشقاق الشعب في سبيل غاياتك وفي سبيل أهدافك الشخصية ومصلحتك الشخصية لامصلحة العرب أو الشعب أو الوطن أو الجمهورية مطلقا.

الادعاء العام- عندما اعفى المتهم من مناصبه هل عمل اجتماعات في داره وحضرها بعض الوفود والمواطنين أم لا؟

المتهم- أنا شخص عربي وأنا شخص من هذه الأمة فاذا جاء واحد وقال السلام عليكم هل أقول له لا عليكم السلام.

الرئيس- أجب على قدر السؤال لا حاجة إلى الخطابة.

المتهم- أنا لم اجمع أي جماعة.

الرئيس-

لا تنتهي الأنفس عن غيها   ما لم يكن منها لها زاجر

الإدعاء العام- هل تتذكر الخطابات التي حصلت في دارك مساء يوم 3-10-58 يوم الجمعة بالذات.

المتهم- لا توجد خطابات كل من يأتي أقول له أخلص لجمهوريتك نحن كلنا أخوان.

الإدعاء العام- هذا نموذج من الخطاب الذي حصل عصر ذلك اليوم.

(حضر عدد من البعثيين والقوميين ورددوا هتافات وخطب فقام أحد البعثيين وقال (أننا نعاهدك على إرجاعك إلى المناصب) فقام المتهم ورد على الخطابات والهتافات بخطاب آخر هذا بعض ما جاء فيه (هناك خربطة وقشمريات وأنني أطمن الحاضرين أنني لن أذهب إلى المانيا) واستشهد بالنبي محمد الذي لقي العذاب في سبيل مبدئه. إن العراق كما يبدو بحاجة إلى أكثر من ثورة واحدة وأنني تركت المناصب لهم).

الرئيس- فما هذه الثورات التي ترى العراق بحاجة إليها؟ ومن هم الذين تركت لهم المناصب؟

المتهم- أنا لا أعرف بهذا الكلام الذي يستند على السماع وقد يكون دجال الذي أعطاك هذا.

الإدعاء العام- أذكرك بالحادث في نفس اليوم وفي نفس الاجتماع حضر إلى دارك كل من ناجي طالب والركابي وجابر عمر وفيصل الحبيب الخيزران وقدوري السيد علي وحسين أحمد الصالح رئيس حزب التحرير وأنور ثامر وقد اختليت بكل من ناجي طالب والركابي بغرفة بجانب محل الاجتماع فهل تتذكر هذا الحادث؟

المتهم- أنا لا أتذكر أبدا وجود اجتماعات لكن أتذكر أن ناجي طالب جاءني وفؤاد الركابي وهم كوزراء اجلسناهم بمحل أخر وكان عندنا نساء في البيت ونحن أناس محافظين كيف أجلسهم بالقرب من النساء فجلسوا بالصالون.

الرئيس- والآخرين الذين ذكرهم المدعي العام؟

المتهم- أحد الذين ذكرهم هو ابن خالتي فهل يجوز ابن خالتي لا يأتي إلى بيتنا أما البقية فلا أعرفهم.

الإدعاء العام- إن أصراره أمام الحفل في عدم الذهاب إلى المانيا تؤيده الحوادث التي حدثت فيما بعد، أول حادث استشهد فيه اصراره التام من الساعة العاشرة حتى الساعة الحادية عشر رغم قادة الفرق ورئيس أركان الجيش والزعيم وكل من كان حاضراً في ذلك الوقت.

الرئيس- من العاشرة صباحا إلى الحادية عشر ليلاً طبعا (حوالي ثلاثة عشر ساعة).

الإدعاء العام- نعم. ذهابه إلى المانيا الغربية وعودته المفاجئة تلقى ضوء على أصراره في البقاء، وقد أيد ذلك عدد من الشهود بمن فيهم السفير نفسه

(علي حيدر سليمان) يؤيد أيضاً ذلك الاشاعات التي دارت بوقوع حدث خطير في يوم خمسة، وايد أيضا ذلك عندما حصل علم السفير وهو في بون بأن المتهم سيذهب إلى بغداد هذا اليوم اتصل تلفونيا وافاد الشاهد بحضوركم بأنه أخبر المتهم بأنه سمعت بأنك ستذهب اليوم، وأنا أنصحك بعدم الذهاب لأن هذا يسبب لك المشاكل نتيجة لما حصل لديه من معلومات. المتهم أخفى وأنكر أنه سافر في ذلك اليوم وفي الساعة العاشرة مساء ذهب بنفسه وحجز المحل بالطائرة وعاد إلى بغداد. إصراره الأول وهذه الحوادث كلها ترتبط وتجعل القضية واضحة بسيطة لا تقبل اللف ولا تقبل الكذب ولا تقبل الدوران هذه ناحية. أما من الناحية الثانية وهو الانقسام الذي حصل لا يمكن أن يقبل النكران فأنا أقول له وهو قبل أقل من ساعة ذكر بدفاعه قال: أنا من حملة المبادئ والعقائد ما هو المبدأ الذي تدين به وما هي عقيدتك؟

المتهم- مبدأي جمهوري وعقيدتي مسلم.

الإدعاء العام- هل أنت كنت تدعو بكافة خطاباتك إلى هذه الدعوة؟

المتهم- والله لا أعرف وأنت تعرف بماذا ابدأ خطاباتي.

الرئيس- الجمهورية بمعناها كل المبادئ بها الديمقراطية والاشتراكية الوطنية هناك مبادئ محدودة، والجمهورية فوق المبادئ والأحزاب أي الميول، معنى الميول المبادئ، والجمهورية فوق الميول والاتجاهات كما يقول الزعيم عبد الكريم قاسم فالشعب واعي متحرر ولا يمكن سواء كان للأجانب أو الذين كالخفافيش يريدون أن يطيروا في الليل ويختفوا في النهار لا يستطيعون ذلك، فالشعب جميعاً كحارس قوي منتبه يقظ تجاه الأجانب أو أعوانهم لأي غرض كان. إن الجمهورية فوق الجميع هذا الانقسام لا يمكن أن يدوم وسيقضى عليه قريبا وحتما أوشك أن يقضي عليه بالفعل

بفضل وعي الشعب ويقظة الأمة وأخلاص المخلصين لا الذين همهم المناصب أو الغايات المعينة لغرض الشعوذة والدجل باسم القومية المزيفة أو الوطنية الكاذبة أو الوحدة المضللة. الرجعية الدكتاتورية لا يمكن أن تحقق الوحدة العربية إلا بتحقق ديمقراطي شعبي.

الإدعاء العام- أقدم دليلا اخر على اتجاهه اتجاه معين يقول ضمن دفاعه أنه كان مصرح له في التجوال داخل العراق من قبل رئيس مجلس الوزراء والوزراء كلهم يعرفونه فهل حصل اتفاق من مجلس الوزراء باستصحابه الركابي في كافة جولاته واستصحابه الملحق العسكري للسفارة المصرية هذه الجولات مع هؤلاء الناس أخذ الشعب يتحسس وابتدأ الانقسام منذ أصدار جريدة الجمهورية ومرافقته جماعة ذات اتجاه حزبي معين من دعواته وخطاباته من امتناعه عن الذهاب إلى بون من المؤامرات التي تحاك الان من الهتافات في الفلوجة والرمادي وفي جانب الكرخ.

(وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر أعلن الرئيس رفع الجلسة).

وانعقدت المحكمة في الساعة العاشرة صباح يوم الخميس الأول من كانون الثاني 1959 برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي، ونودي على المتهم عبد السلام عارف فحضر القاعة وأدخل قفص الاتهام. وبعد أن استمعت إلى أفادة الشاهد السادس والثلاثين السيد عبد الأمير العكيلي- 39سنة، رئيس الأدعاء العام- الذي تكلم حول إصدار عبد السلام محمد عارف بوصفه وزيراً للداخلية مرسوماً جمهوريا للعفو عن السياسيين وجماعة أهل الحي. وقال بأن المتهم من حقه كوزير للداخلية أن يناقش هذه القضايا، ومن حقه أن يستثني أشخاص ويترك آخرين.

الرئيس- (موجها إلى عبد السلام محمد عارف). هل لك مناقشة مع الشاهد؟

المتهم- كلا.

الرئيس- المحامي يتقدم لالقاء دفاعه.

المتهم- عندي طلب.

الرئيس- حول أي شيء؟!

المتهم- لي طلب خاص من المحكمة المحترمة فأني اعتبر أن شاهد الدفاع الأصلي لي بل هو السند الأساسي الذي استند عليه في براءتي وانقاذي هو سيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء فأرجو طلبه وتفضله بالحضور لأداء الشهادة لأنه شاهد العيان الوحيد وأنه أعرف الناس بعملي ونيتي سواء كان في هذه القضية أو غيرها وأشكركم.

الرئيس- ستنظر المحكمة في ذلك وتقرر في حينه.

ثم طلب العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة إلى محامي الدفاع لالقاء دفاعه.

وقف المحامي محمد العبطة الوكيل عن عبد السلام محمد عارف ليلقى دفاعه، فقال: سيادة رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة المحترم، قضاة الشعب.. أرى لزاما علي في معرض الدفاع عن أحد الضباط الأحرار من الذين اسهموا في الثورة أن أحيي بكل أكبار واعتبار أحيي أبي الأحرار سيادة الزعيم المنقذ عبد الكريم قاسم الذي كان والشعب العراقي في سجنه الكبير وطغيان العهد البائد في غلوائه وعنفه يعمل دائبا في صمت وتضحية ثم اشرق بشروق 14 تموز رافعا لواء الثورة مناضلا في كفاحه المرير داكا عروش التفسخ والفساد، والذي لاذ به الشعب الذي هو منه ومعه فسار قدما في تيار الثورة التي لا يقف

أمام تيارها أحد، فمن يقوى على وقف عجلة التاريخ إننا اليوم في اليوم الأول من عام 1959 وبعدها سينبع التاريخ في ركن من أركان هذه الدنيا العريضة ليسجل أعظم أحداثها وفاصل أيامها فسوف لا يجد ولا ريب أعظم حدث من ثورتنا الجبارة هذه التي تبقى وستبقى تدوي في مسمع الزمن وتهدر في أنحائه تلمع في صفحات التاريخ حتى طي السجل للكتب. لقد أحيل موكلي العقيد الركن المتقاعد عبد السلام محمد عارف الماثل أمام محكمتكم المحترمة لمحاكمته بتهمة وفق الفقرة السادسة من المادة (214) بدلالة المادة (60) من قانون العقوبات البغدادي وبتهمة وفق المادة (80) من قانون العقوبات البغدادي أيضا، وقد استمعت محكمتكم الموقرة إلى مطالعة مقام الإدعاء العام المحترم الذي طلب الحكم عليه وتجريمه بموجبها كما وقد استمعت محكمتكم المحترمة إلى شهادة شهود الاثبات ومناقشة موكلي المتهم لهم وافادته، لذا وعلى ضوء كل ما تقدم يرى الدفاع أن يناقش قضية موكلي هذه بتهمتيها من ناحيتين:

أولاً: الناحية الشكلية. ثانياً: الناحية الموضوعية أو الوقائع.

الناحية الشكلية:

أ- تهمة الشروع في القتل وفق الفقرة السادسة من المادة (214) بدلالة المادة (60) من قانون العقوبات البغدادي على مايلي: (يعاقب مرتكب القتل قصدا بالإعدام بالأحوال التالية ثم تعدد المادة سبعة أحوال وردت على سبيل الحصر فيها. والحالة أو الفقرة السادسة الموجهة لموكلي وهي تنص على مايلي (إذا كان المجني عليه في القتل موظفا عمومياً قتل أثناء تأدية وظيفته أو بسبب تأدية وظيفته) أما المادة (60) من ق. ع. ب. فهي تنص على عقوبات الشروع في الجنايات والجنح هذا وأن المادة (59) من ق. ع. ب. تعرف الشروع (بأنه البدء في تنفيذ فعل بقصد ارتكاب جناية أو

جنحة إذا أوقف أو خاب أثره لأسباب لا أرادة للفاعل فيها) وعلى ضوء هذا التعريف فالذي يقابل ويشابه إلى حد كبير تعريفي القانونين المصري والفرنسي للعقوبات رأي فقهاء القانون الجنائي وقضائه أن لابد لأنطباق الشروع في أي جريمة من توافر أركانه الثلاثة وهي أولاً: الركن المادي البدء في تنفيذ فعل. ثانياً: الركن المعنوي أي القصد الجنائي. ثالثاً: أن يوقف الفعل أو يخيب أثره لسبب خارج عن أرادة المتهم.

الركن المادي: إن واقعة سحب موكلي المسدس وردت بشهادة الزعيم فؤاد عارف والشهود الآخرين والمتهم ينكرها والذين حضروا بعد انتهاء واقعة سحب المسدس وشاهدوا المسدس سواء بيد سيادة الزعيم رئيس الوزراء أو بيد الزعيم فؤاد عارف واعتراف موكلي أنه لم يسحب المسدس لكي يقتل الزعيم وإنما لينتحر بعد أن ارتبك وضاقت نفسه وضاقت عليه الدنيا وتجسمت في مخيلته حملات الصحافة الأجنبية التي جارت كثيراً وتناقلت خبر تعيينه سفيراً في الغرب بحملة إشاعات مغرضة أقول تجسمت في مخيلته هذه الحملات على أن الغرب وأعوانه وأذناب عملائه من بقايا العائلة المالكة المتسكعين في أوروبا سينهو حياته حتما فأراد أن يموت في بلده ويدفن في تربته وقد أراد أن يموت تلك الساعة بل تلك اللحظة الشرود لأنه كان كله أمل لقوة وشائج الأخوة التي تربطه بسيادة الزعيم لعل سيادته أن يتراجع ويعدل عن قرار تعيينه ولكن لما أن رأى أن لا مناص من ذلك وأن سيادته سوف لا يتراجع عما قرره بوجوب سفره لتعلق ذلك بالمصلحة العامة في تلك اللحظة فقط قطع الأمل وقرر أن يموت وهذا هو سبب عدم انتحاره في بيته أو في بدء سماعه أمر تعيينه سفيرا في بون قبل هذا بأيام. إن اعتراف موكلي لا يمكن أن يعتبر أو يمثل الركن المادي للجريمة وهو البدء بتنفيذ الفعل بما ينطبق وحالة الفقرة السادسة من

المادة (214) ق.ع. ب. بأعتباره مقرا بسحب المسدس بقصد ارتكاب الجريمةما دام اقراره هذا بالسحب ينطوي بقتل نفسه فإذا ذهبت المحكمة إلى الأخذ بأن أقراره بسحب المسدس كافٍ لتوفر الركن المادي وهو البدء بتنفيذ فعل إنما بهذا ذهبت إلى تجسيم جهة الأقرار وهذا لا يجوز، فعليها أن تأخذ الأقرار برمته لا الأقسام التي ضد المتهم فقط وذلك طبقا للمادة (22) من قانون ذيل قانون أصول المحاكمات الجزائية البغدادي رقم 42 لسنة 1931 التي تنص على المحكمة أن تقبل الأقرار برمته لا الأقسام التي ضد المتهم فقط متى قبلته كبينة وعليها أن تقدر الأقسام المختلفة منه.

الركن المعنوي: وهو القصد الجنائي. إن قانون العقوبات البغدادي لم يعرف القصد الجنائي كسائر القوانين العقابية الأخرى وذلك لأنه بالحقيقة يستمد من وقائع القضية ومجريات الدعوى وظروف الحادث والقاضي الجنائي يستقصيه من كل ذلك، غير أن فقهاء القانون الجنائي عرفوه ومنهم أغلب الشراح الحديثين بأنه (عبارة عن تصرف إرادة الجاني إلى أرتكاب الجريمة بالشروط التي نص عليها القانون أو بعبارة أخرى هو إرادة الاعتداء على الحق الذي يحميه القانون ويعاقب على انتهاكه والمفروض علم الشخص بالقانون) عن الدكتور مصطفى الفلكي في المسؤولية الجنائية. وعلى هذا الرأي كارو وكارصون واوتولان وفيدال هامش صفحة 83. ولو طبقنا تعريف هذا الركن على قضية موكلي فيجب لانطباق الشروع أن يكون لدى المتهم نية الاعتداء، أي نية تنفيذ الركن المادي للجريمة لاسامح الله، وهو إرادة تعمد الفعل المادي المفضي للجريمة ولقد جاء في كتاب شرح قانون العقوبات لمؤلفه الدكتور كامل مرسى والدكتور السعيد مصطفى السعيد في بحث القصد الجنائي مايلي (ويختلف القصد الجنائي عن الإرادة في أن الإرادة هي تعمد الفعل المادي أو الترك، أما القصد فهو تعمد

النتيجة المترتبة، لهذا فهو أخص من الإرادة) فالقصد الجنائي يستلزم حتما توفر الإرادة أما توفر الإرادة فلا تستتبع توفر القصد الجنائي دائما هذا وأن موكلي يدفع التهمة بان إرادته قد أنصرفت إلى الانتحار فقد سمعه الشاهد فؤاد عارف الذي كان الشاهد الوحيد مع سيادة الزعيم والمتهم وقد أضاف الشاهد أن المتهم قد بكى في تلك اللحظة فابكى الشاهد معه وكذلك الرئيس الأول جاسم العزاوي وأن الشاهد العقيد وصفي طاهر شاهد المتهم يبكى وسيادة الزعيم يهدئ به كما أن الشاهد العقيد عبد الكريم جدة جاء بعد الحادث وفتش المتهم وسمعه يقول أريد أن أنتحر. وأن الشاهد محي الدين عبد الحميد جاء بعد الحادث أيضاً وشاهد سيادة الزعيم يعاتبه قائلا لماذا تعمل هذا الشيء وإذا كنت تريد قتل نفسك اقتل نفسك في بيتك. وأيد الشاهد أن المتهم كان مرتبكاً وحالته النفسية غير طبيعية، هذا ولعدم شهر المتهم المسدس ولتأييد ذلك من الشاهد الوحيد الزعيم فؤاد عارف أن المتهم اخرج المسدس من غلافه فقط فيعتبر القصد الجنائي غير متوفر؛ لأن التعمد في القتل كما جاء بقرار محكمة النقض المصرية أنه التوجه إليه بإرادة إحداثه، ولا يعد القتل عمدا إذا انتفت هذه النية مهما كانت درجة احتمال حدوثه. أما الشهود الآخرين فقد جاءت شهاداتهم كلهم على السماع أي أنهم لم يشاهدوا واقعة سحب المسدس من قبل المتهم، وحيث أنه يجب اعتبار الشهادة أن تكون صحيحة قانونا أن يكون الشاهد قد شاهدها بأحد حواسه وطبقا لما جاء في المادة (25) من قانون ذيل قانون أصول المرافعات الجزائية البغدادي رقم 42- 1931 التي توجب اعتبار الشهادة وإمكان الأخذ بها كدليل للإدانة والحكم أن يكون الشاهد قد شاهدها بإحدى حواسه.

2- تهمة التمرد والعصيان: إن التهمة الموجهة وفق المادة (80) ق.ع. ب.

والتي تنص على مايلي (يعاقب بالإعدام كل من نظم أو ترأس أية عصبة مسلحة هاجمت فريقا من سكان البلاد أو قاوم بالسلاح تنفيذ القانون بواسطة مأموري الحكومة أو شرع في استعمال قوة ظاهرة للقضاء على الحكومة أو تغييرها وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة أو الحبس للأشخاص الذين انظموا للعصبة دون أن يشتركوا في تنظيمها وأن يكون لهم سياسة فيها) إن المادة (80) ق. ع. ب. تقابل المادة (93) من قانون العقوبات المصري والمادة (96) الفقرة الأولى من قانون العقوبات الفرنسي وقد ذكر الدكتور مصطفى القللي لدى شرحه هذه المادة في المسؤولية الجنائية (ص113) طبعة 1947 مايلي: هذه المادة تعاقب من تولى رئاسة أو قيادة عصابة مسلحة أو اشترك فيها كعضو بشرط القبض على العضو في محل الواقعة ويجب أن تكون غاية العصابة شيئا مما نص عليه في المادة وهو أولاً اغتصاب أو نهب الأراضي أو الأموال المملوكة للحكومة أو لجماعة من الناس، هذه الفقرة خاصة بالمادة المصرية. ثانياً: مقاومة القوة العسكرية المأمورة بمطاردة مرتكبي هذه الجنايات، ويذكر الدكتور القللي تعليقا على ركن المقاومة بأنه في هذه الحالة لا يكفي مجرد مقاومة القوة العسكرية أيا كانت مهمتها بل يجب أن تكون القوة العسكرية مكلفة بتعقيب العصابة أما عن التطبيق الموجه وفقا للمادة (80) ق. ع. ب. فإن الفقرة الثانية من هذه المادة وهي (أو شرع باستعمال قوة ظاهرة للقضاء على الحكومة أو تغييرها) فقد أضيفت بموجب بيان تعديل قانون العقوبات البغدادي رقم 2 لسنة 1920 ولم يلاحظ المشرع سياق العبارة الأصلية في الإنكليزي إذ يجب قراءة كلمة شرع على اعتبارها فعلا مبنيا للمجهول أي شُرع وإلا ضاع قصد شرع إذ كانت هذه المادة مقتصرة على

عقاب رئيس العصابة التي ارتكبت جريمة من الجرائم الثلاث المبحوث عنها فيها وأركان هذه الجريمة:

1- أن تكون هناك عصبة.

2- أن تكون العصبة مسلحة.

3- وأن تشرع في استعمال قوة ظاهرة، ويشمل تعبير القوة كافة أعمال العنف التي تقع تحت طائلة القانون.

4- أن يكون الغرض من ذلك القضاء على الحكومة أو تغييرها، ولا يراد بالحكومة إلا معناها العام أي نظام الحكم المقرر الذي يعينه الدستور لكل دولة وفي هذا المآل قد عين دستورنا المؤقت الصادر في أوائل الثورة الميمونة أن النظام هو نظام جمهوري، فإذا كان هدف العصبة المسلحة القضاء على الحكومة أي تبديل نظام الحكم فيها أو ما أشبه فتنطبق هذه المادة، لذا فيجب لتطبيق هذه المادة وإدانة مرتكب جريمتها أن يشرع فعلا في استعمال قوة ظاهرة. فعلانية وظهور القوة شرط أساسي لتطبيق هذه الفقرة وذلك للقضاء على الحكومة أو لتغييرها وهذا هو القصد الجرمي لها. وتطابق هذه الفقرة المادة (87 من قانون العقوبات المصري) التي تنص على كل من شرع بالقوة لقلب دستور الدولة أو شكل الحكومة أو نظام توارث العرش أو تغيير شيء من ذلك، وتطابق (المادة 78 من قانون العقوبات الفرنسي) التي تتضمن العقاب على محاولة قلب نظام الحكم. ويذكر الدكتور القللي أن تستعمل القوة وتنصرف نية الجناة إلى غاية من الغايات التي عددتها المادة وهي قلب الدستور أو شكل الحكومة أو تغيير شيء من ذلك ويضيف الدكتور القللي أنه إذا كان إثبات الركن المادي في هذه الجريمة

هيناً فأن إثبات القصد الجنائي فيها عسير، بل قد يكون أحيانا من غير المستطاع وعلى هذا الرأي أيضا الفقيه الفرنسي (كارصون). ولقد جاء في الموسوعة الجنائية للمرحوم جندي عبد الملك (الجزء الثالث صفحة 117) لدى شرحه (للمادة 87) مصري التي تقابل كما قلت الفقرة الأخيرة من المادة 80 ق. ع. ب. أن هذه المادة تحمي شكل الحكومة المصرية كما قرره الدستور وأن قلب الدستور هو هدمه وبالتالي استبدال الحكومة النيابية بحكومة مطلقة، وأما تغيير الدستور فهو تعديل أو حذف حكم أو أكثر من أحكامه أو إضافة أحكام أخرى إليها، وقلب شكل الحكومة هو استبدال الحكومة ملكية مثلا بحكومة جمهورية إن الشرح هو قبل ثورة 23 يوليو وأما تغيير شكل الحكومة فيكون مثلا بالغاء مجلس الشيوخ أو تقييد حقوق الملك أو المجلسين وعلى هذا الرأي (كارو) وتنص المادة (87) على عقاب كل من شرع بالقوة فلا يتكون هذا الشروع إلا إذا وقع فعل مادي من أفعال القوة، فالمقالات والكتابات التي تتضمن تحريضاً على ارتكاب أمر من الأمور المنصوص عليها في المادة (78) لا تكفي لتحقيق الفعل المادي المكون للشروع المذكور؛ وأنما يعاقب عليها كجريمة خاصة بعقوبة أخف إذا لم يترتب على التحريض ولا يوجد الشروع بالقوة إلا إذا كان هناك بدء بالتنفيذ، ولا يعاقب عليه كشروع إلا إذا أوقف أو خاب أثره لظروف خارجة عن إرادة الفاعل. أما العمل التحضيري فلا عقاب عليه ولم يبين الشارع ما هي أفعال القوة التي يجب توافرها لتكوين الجريمة وما كان في استطاعته حصر كل هذه الأفعال لكثرتها وتباينها وإنما بين الشارع الغرض الذي يجب أن ترمي إليه هذه الأفعال وهو قلب أو

تغيير دستور الدولة أو شكل الحكومة، فتحقق الجريمة كلها ثبت أن المتهمين قد أرتكبوا أعمالاً مادية من أعمال القوة أيا كانت هذه الأعمال بغية الوصول إلى غرض من الأغراض الجنائية المذكورة (كارصون مادة 87 وكارو) يتبين من كل ذلك أن المادة (80 ق. ع. ب) عددت حالات أوردتها على سبيل الحصر فيجب ورودها ذاتها لانطباق أركانها ولايجوز القياس عليها أو الاجتهاد بتفسيرها حيث لا يمكن الاجتهاد في القضايا الجنائية وفقاً للمبدأ المعروف بأن لا (جريمة ولا عقاب إلا بنص).. سيدي الرئيس لو طبقنا الوقائع في الدعوى المستمدة من إفادات الشهود الذين استمعتهم المحكمة المحترمة وعلى ضوء شروح فقهاء القانون الجنائي لأركان (المادة 80 ق. ع. ب) القانونية لما وجدنا الأنطباق حاصلاً. أن موكلي المتهم عبد السلام محمد عارف لم ينظم أو يترأس أية عصبة مسلحة كما أنه لم يهاجم أي فريق من سكان الجمهورية العراقية ولم يثبت أنه قاوم بالسلاح تنفيذ القانون كما أنه لم يثبت أنه شرع في استعمال قوة ظاهرة للقضاء على الحكومة أو شرع بتغييرها هذا إذا لم نقل أنه ممن أسهموا مع أخوته في بناء كيان الحكومة الحاضرة.

الناحية الموضوعية أو الوقائع: إن الوقائع التي وردت في هذه القضية سواء التي وردت في مطالعة مقام الادعاء العام المحترم أو على لسان الشهود بأفاداتهم المعطاة أمام المحكمة المحترمة والمعزي تسببها للمتهم يمكن تلخيصها بمايلي:

1- البلبلة التي أحدثتها خطبه غداة الثورة في شعب الجمهورية العراقية.

2- إشاعة وجود مؤامرة يوم 5/ 11/ 1958 لدى رجوعه من فينا.

3- قضية دعوته للوحدة الفورية.

البلبلة: أن نجاح الثورة العارم منذ فجرها الأول هو أكبر غنم لهذا الشعب الذي انتظر هذا الفجر بمرارة وصبر منذ 40 عاما تحمل خلالها أصنافا من الأذى وأشكالا من الظلم وأنماطا من الحرمان والجوع والفقر على أيدي المستعمرين وأذنابهم والمتفسخين من رجال العهد البائد فلما أشرق نور الثورة وكشف عن مساوئ العهد الماضي وحكامه ذهب موكلي المتهم وزيرا مسؤولا، وأحد رجال الثورة الأحرار يجوب أنحاء قطر الجمهورية ليعلن مبادئ الثورة ومواثيق العدل والمساواة والأخوة والديمقراطية الصحيحة، ولكن خطبه وأقواله كما قال الشهود أنها كانت مرتجلة غير منسقة، فهب له ناصحون من أخوانه يهيبون به أن يقصّر بأقواله ويبخل من تصريحاته ويحرر خطبه ويسجلها، فارتدع ووقف عند حده ولكن بعد أن تبلبلت أراء النالس كما ذكر موظف مسؤول ووزير متضامن مع باقي وزراء الجمهورية، وإن الخطب التي كان يخطبها والجولات التي كان يقوم بها إنما كانت كما أفاد موكلي بإفادته بعلم من سيادة الزعيم وإذن منه ثم أن الخطب كانت بضع عشرة خطبة امتد أمدها حوالي الشهر فإذا كانت لا تنسجم وسياسة الجمهورية يومئذ فلم لم يمنعه الوزراء وينصحه الناصحون فيكف عنها وهو المخلص للثورة وجنديها المناضل من أول خطبه، إنها على فرض كل ذلك حالة دستورية تحكمها القواعد العامة في الفقه الدستوري من النظم الديمقراطية ذلك أن الوزير مسؤول متضامن مع باقي الوزراء فإذا نشز في سياسته عن سياسة مجلس الوزراء تطلب منه الاستقالة أو يقال أو يعفى من منصبه فكان ما يجب أن يكون فأعفى من منصبه كوزير ولكن ذلك لا يوجب كما قلت أو يشكل مسؤولية جنائية يحاكم من أجلها.

أما عن تسببه في الانشقاق الشعبي- الذي أحدثه المتهم في جماهير الجمهورية من جراء ميله إلى فئة دون أخرى من أبناء الشعب والذي ذكرته المحكمة أن المتهم كان بعثيا أي من العاملين على نشر أفكار حزب البعث العربي الاشتراكي، ولقد جاء ذلك على لسان بعض الشهود أيضاً فينفيه موكلي نفيا قاطعا في إفادته المعطاة أمام محكمتكم المحترمة وإني لأحسب أن نفيه هذا لم يجيء لدفع التهمة عنه كمتهم الان فحسب وإنما خطبه التي كان يخطبها في أوائل أيام الجمهورية تنفي ميله إلى الاحزاب قاطبة فلا أحزاب ولا طائفية كما كان يقول في خطبه ولم يتأيد أنه فصل أو نقل أحداً من الناس لانتمائه لطائفة دون أخرى كما لم يثبت أنه حابى شخصاً لميله إلى فئة معينة هذا بصورة عامة. أما من الجهة القانونية فأن الحزبية والأحزاب والإنظمام إليها ومؤازرتها عمل مادي وهو أن يسجل نفسه فيها أو يعثر على اسمه في سجلاتها ومستنداتها ويعمل على بث فكرتها بأحدى وسائل العلانية المنصوص عليها في المادة 98 من ق. ع. ب. وقد تأيد للمحكمة أنه لم يوجد ضد موكلي شيء من ذلك أبداً. أما عن اللافتات التي كانت ترفع والهتافات التي كانت تردد فإن البلد لايخلو خاصة في أوائل أيام الجمهورية من أناس يتحينون الفرص ويصطادون المناسبات ليبثوا أفكارهم التي لم تكن تنسجم والمصلحة العامة للجمهورية، والثورة بعدها في فجرها المجيد فما ذنب موكلي ومسؤوليته عن أمثال هؤلاء المصطادين.

أما عن مؤامرة يوم 5/ 11/ 1958 التي استفسرت محكمتكم المحترمة عنها من موكلي نظرا لتواتر إشاعات قدومه في أو قبيل هذا اليوم فأحسب أن الدفوع التي بينها موكلي في إفادته كافية لدحض كل ما قيل عن ذلك خاصة وقد عززها بالبرقيات بكتاب مجلس الوزراء القاضي بتجوله مدة ثلاثة أسابيع وصدور هذا الأمر قبل سفره، وأن العناد الذي تمسك به موكلي في عدم السفر أول الأمر وتوسل الضباط والقادة به لمدة 13 ساعة ثم قبوله السفر بعد ذلك جعل الضباط

يستبشرون ويتحدثون بوعد سيادة الزعيم له أن بقاءه لايزيد على ثلاثة أسابيع تنتهي 5/ 11/ 1958 والرأي العام الواعي يتحسس الأزمات. وكانت أزمة امتناعه عن السفر من معضلات الساعة لأن بقاءه في العراق مضر للمصلحة العامة إلى حد كبير ورجوعه بعد هذه المدة قد يكون فيه ضرر أكبر فانطلقت الاشاعات التي لادخل له هو نفسه بها فكان رجوعه وكانت المظاهرات التي خرجت يوم 5/ 11 والتي كانت ضده لا له أبداً، إن الاشاعات تنطلق في كل بلد واعٍ والرأي العام يتعقب أخبار الساسة كما يتلهف على أخبار نجوم السينما وغيرها وما تكذيب المسؤولين في البلاد في أقطار العالم المتمدين لكثير من الاخبار والاشاعات إلا دليل على وجودها في كل قطر ومجتمع.

قضية الوحدة: لدى الرجوع إلى إفادات الشهود وخاصة الضباط الأحرار فقد وجدت أنهم قد أجابوا بصدد الوحدة وبناء على سؤال المحكمة المحترمة لهم عما إذا كانت الوحدة قد درست من قبل هيئاتهم أم لا؟. أجابوا ثلاثة أنواع من الإجابات، منهم من قال أن الوحدة لم تكن موضع درس من هيئة الضباط وإنما تركت على مدى نجاح الثورة، ومن ثم استقرار الجمهورية ووحدة شعب الجمهورية واستقرار الأمن وصيانة الحقوق وارتفاع مستوى المعيشة للمواطنين بعد مرور فترة انتقال تطول وتقصر حسب مقتضيات الظروف والأحوال يدرس موضوعها بعد هذه الفترة ويقررها الشعب بنفسه عن طريق الانتخاب. ومنهم من قال أنها درست من قبل هيئة الضباط الأحرار دراسة عميقة مستفيضة ومن كافة الوجوه وقرر أنها لا تكون إلا بعد مرور فترة انتقال تطول وتقصر حسب الظروف ويقررها الشعب بنفسه وبالطرق الديمقراطية. منهم من لم يؤمن بالوحدة الفورية إلا في حالة وجود خطر محدق حال من الدول الغربية أو من رجال العهد البائد على الثورة فتقرر الوحدة لكي تتحمل الجمهورية العربية عنا الخطر وتساهم معنا في صده. أما في حالة عدم وجود خطر على الثورة ونجاحها

كما نجحت والحمد لله فتقرر الوحدة كما جاء في الرأيين السابقين أي بعد فترة انتقال تمتد حسب الظروف ويقررها الشعب بالطرق الديمقراطية الصحيحة، هذا وحيث أن موكلي هو فرد من هؤلاء الأحرار الذي عاهدوا الله والوطن على أن ينقذوه من أيادي المستعمرين القذرة وهو متضامن معهم ومؤمن بقوانين الثورة ومقررات الضباط الأحرار التي لم يكن منها الوحدة الفورية وقد ثبت أنه نفذ وضحى في سبيل تحقيق مواثيق الثورة، فهو والحالة هذه ملزم بها وبمواثيقها واقسم مع أخوانه على تنفيذها فيكون ملزماً بها ولم يخرج عنها إضافة إلى تأكيده الصريح أنه لم يدعُ إلى الوحدة الفورية أبداً.

قضاة الشعب: يحضرني وأنا أبحث الناحية الموضوعية هذه ما جاء بافادة الشاهد الزعيم الركن محي الدين عبد الحميد حينما قدم سيادة الزعيم المنقذ العقيد الركن المتقاعد عبد السلام إلى الضباط الأحرار قائلا اعتبروه أخي ومثلي وكذلك الشاهد الزعيم فؤاد عارف والشاهد الزعيم الركن ناظم الطبقجلي الذي أفاد أنه من أصدق أصدقاء سيادة الزعيم ويحبه كأخيه وكان يغبطهما على ذلك أكثر الشهود من الضباط الأحرار قد أبدوا وأكدوا هذه الأخوة المتينة، والذين أكدوا على أن سيادة الزعيم اصطفاه أخا وأرتضاه صديقا صدوقا ومعاونا له في الجهاد بل واحسب أن هذه الثقة والأخوة والاعتماد هي التي أهابت بسيادة الزعيم فجعله نائباً عنه لرئاسة الوزراء، ومعاوناً له في قيادة القوات المسلحة ووكيلا لوزارة الداخلية. وهو الذي كان يروم الرجوع إلى ثكنته بعد نجاح الثورة، لايمكن أن تكون هذه الثقة وهذا الاخلاص مخفياً على ألمعية وعبقرية سيادة الزعيم يوم وضعها عند عبد السلام واصطفاه أخا ونائبا عنه إلا بعد أن لمس بالتجارب الطويلة مدى أخلاصه وتفانيه، بل وأذهب أبعد من هذا لأدل على متانة وشائج الأخوة والحب بين سيادة الزعيم العطوف أنه قد صافحه واوصله إلى الطائرة يوم أن وافق على السفر بل وكان يناوله الحليب، بيديه في

ذلك اليوم، أن هذا إنما يدل على متانة الوشائج التي يقرب أمدها من عشرين عاما وحتى آخر لحظة يوم السفرّ حيث أفاد الشاهد علي حيدر سليمان أن سيادة الزعيم استدعاه فامره أن يصحب عبد السلام في غدوه ورواحه ويعينه على كل ما يحتاج.

قضاة الشعب أنكم تحاكمون الآن أخا من أخوانكم ومجاهدا من رعيلكم وفارسا صال كما صلتم وجال فجمح به جواده وكبا، فليس له إلا أنتم لتقيلوا اعثاره وتأخذوا بيده وتعفوا عن كثير، وأخيراً أطلب ملتمسا براءته ولكم فائق الاحترام].

وأنتهت مرافعة وكيل الدفاع الاستاذ محمد العبطة.

الرئيس- (موجها كلامه إلى المتهم) هل لك شيء تقوله للمحكمة؟

المتهم- عندي شيء لا يتعلق بالمحكمة إذا سمحتم أرجو أن تطلبوا من الانضباط العسكري أن يعاملوني كسجين.

الرئيس- نحن سألنا الشهود والمتهمين هل يوجد تعذيب بمعنى الكلمة فلم يشتكِ أحد من ذلك بينتهم يوم أمس أن الصحف منعت عنكم وأشياء أخرى ما هي؟

المتهم- المقابلات.. وأريد أن يعتبروني كسجين لا أكثر ولا أقل.

الرئيس- سنحقق في طلبكم ونعمل بما تتطلبه العدالة لأن العدالة فوق الجميع.

(وفي الساعة الحادية عشر صباحا أعلن الرئيس رفع الجلسة لوقت سيعلن في حينه لأصدار قرار التجريم والحكم).

وفي الساعة السابعة من مساء يوم الخميس 5 شباط 1959 عقدت المحكمة

العسكرية العليا الخاصة جلستها السرية. وقد افتتح الجلسة الرئيس العقيد فاضل عباس المهداوي باسم الله وباسم الشعب!

الرئيس- المتهم العقيد الركن المتقاعد عبد السلام محمد عارف.

(نودي على المتهم العقيد الركن المتقاعد عبد السلام محمد عارف.فحضر القاعة وأدخل قفص الاتهام).

الرئيس- عند أحالتك إلى المحكمة وجهت إليك تهمتان وفق المادة (80) من ق. ع. ب. وهي التآمر ووفق المادة (214) بدلالة المادة (60) من ق. ع. ب. وهي محاولة اغتيال سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم على أن أمر الأحالة أضاف له القائد العام للقوات المسلحة تخويل المحكمة بحينه في هذه العبارة (والمحاكمة عن جميع الوقائع التي قد تظهر أثناء المحاكمة وتطبيق المواد القانونية بذلك على أن توجه المحكمة التهمة التي تراها مناسبة).

وقد وجدت المحكمة انطباق فعل الاغتيال على أحكام المادة (11) من مرسوم الإدارة العرفية رقم 18 لسنة 1935 فاستمع إليها... (يعاقب بالإعدام):

أ- (كل من حمل السلاح أو أية آلة جارحة ضد الحكومة أو قواتها العسكرية على أختلاف أنواعها أو قوات الشرطة أو أستعمل السلاح ضد أي موظف من موظفي الحكومة أو مستخدميها) فماذا تقول بالتهمة الموجهة إليك بموجب هذه المادة مع العلم أن المحكمة أكتفت بشهود الاثبات حيث أن واقعة محاولة الاغتيال لسيادة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم لم تتبدل أجب علي مايلي:

الرئيس- هل تعترف بهذه التهمة أم لا؟

المتهم- لا أعترف.

الرئيس- الا تعترف أن الأحكام العرفية معلنة؟

المتهم- لا أتذكر إن كانت معلنة أم لا؟!

الرئيس- والان هل هي معلنة؟

المتهم- لا أعرف فأنا مقطوع عن العالم من زمان.

الرئيس- الأحكام العرفية معلنة إلا تعترف بأن سيادة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم له سلطات عديدة فهو زعيم البلاد والقائد العام للقوات المسلحة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع.

المتهم- طبعا أعترف.

الرئيس- (موجها كلامه للمحامي) هل لك شيء تضيفه حول مادة الإتهام الأخيرة؟

المحامي- لا أضيف شيء عما قلته في دفاعي السابق بالنسبة للتهمة وبالنسبة لشهود الإثبات وشهود الدفاع وإفادة موكلي.

الرئيس- تختلي المحكمة بعض الوقت لإصدار القرار ويمكنك إيها المحامي أن تواجه المتهم إذا طلبك.

(وفي الساعة السابعة والدقيقة العاشرة مساء أعلن الرئيس رفع الجلسة بعض الوقت لأصدار قرار التجريم).

(وفي الساعة الثامنة مساء عادت المحكمة إلى الانعقاد).

الرئيس- المتهم عبد السلام محمد عارف.

(نودي على المتهم عبد السلام محمد عارف فحضر القاعة وأدخل قفص الاتهام).

الرئيس- (موجها كلامه للمتهم) هل لديك شيء تقوله للمحكمة؟

المتهم- أؤكد على دفاعي السابق كما أني أؤكد أخلاصي وولائي لجمهوريتنا الغالية ولزعيمنا الكريم.

الرئيس- (موجها كلامه للمحامي) هل لديك شيء أخر؟

المحامي- أؤكد وأكرر دفاعي السابق.

الرئيس- كاتب الضبط مهدي صالح السلمان يقرأ قرار التجريم.

قرار التجريم

باسم الشعب العراقي: تشكلت المحكمة العسكرية العليا الخاصة ببغداد يوم 5/ 2/ 1959 برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي وعضوية كل من العقيد فتاح سعيد الشالي والمقدم شاكر محمود السلام والمقدم حسين خضر الدوري والرئيسَ الأول إبراهيم عباس اللامي وأصدرت قرارها الآتي:

الإحالة- أحيل المتهم العقيد الركن المتقاعد عبد السلام محمد عارف لمحكمتنا بموجب أمر الأحالة المرقم 132 والمؤرخ في 9/ 12/ 1958 ليحاكم وفق (المادة 80 من ق. ع. ب.) والمحاكمة عن جميع الوقائع التي قد تظهر أثناء المحاكمة وتطبيق المواد القانونية بذلك وقد أضيفت التهمة وفق المادة 214 بدلالة المادة (60) من قانون العقوبات البغدادي بموجب كتاب القائد العام للقوات المسلحة المرقم 184 والمؤرخ 26/ 12/ 1958.

خلاصة القضية: قام المتهم عبد السلام محمد عارف بعد ثورة 14 تموز الخالدة بالدعاية لنفسه متناسيا زعيمه في خطبه والتفت حوله فئة ظالمة لخدمة مآربها ومتبنيا أفكارها فحدث انشقاق وبلبلة في صفوف الشعب والجيش، وحدثت بعد ذلك بعض المؤامرات من الأفراد الموالين، كما أنه أقدم على اغتيال سيادة الزعيم الأوحد اللواء الركن عبد الكريم قاسم وعاد المتهم من بون دون

أن يستأذن من سيادة الزعيم بذلك غير مقدر مصلحة الوطن في ذلك الظرف الخطير.

أجراءات المحكمة: استمعت المحكمة إلى مطالعة هيئة الإدعاء العام ثم سألت المحكمة المتهم عما جاء في قرار الاتهام فأجاب بأنه بريء، ثم استمعت المحكمة إلى شهادات الشهود التالية اسماؤهم: الزعيم المتقاعد فؤاد عارف والزعيم الركن عبد الوهاب أمين والعقيد وصفي طاهر والرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد والرئيس الأول الركن عبد الستار عبد اللطيف والمقدم عبد الغني عبد الستار والاستاذ علي حيدر سليمان والرئيس محفوظ أحمد شوكت والمقدم إبراهيم عبد الرحمن الشيخلي والملازم الأول عباس رشيد السامرائي والمفوض صلاح الدين حميد وشاكر محمود وعبد الرحمن البزاز والرئيس عمر فاروق وعبد الرحمن أحمد السامرائي والزعيم الركن ناجي طالب واللواء الطبيب محمد الشواف والزعيم الركن عبد العزيز العقيلي والعقيد طاهر يحيى والعقيد نعمان ماهر والزعيم الركن ناظم الطبقجلي والزعيم الركن أحمد صالح العبدي والزعيم الركن خليل سعيد والطيار جاويد عمر والمقدم وجيه عبد الرحمن والرئيس الركن سليم الفخري والعقيد عادل جلال والملازم فالح الناصري والملازم الأول محمود فرج والملازم الأول شهاب أحمد. ثم استمعت المحكمة إلى أفادة المتهم وإلى دفاع المحامي وأعلنت ختام المرافعة.

وحيث أن المحكمة مخولة بمحاكمته عن جميع الوقائع فقد وجهت إليه تهمة وفق المادة (11) من مرسوم الإدارة العرفية وناقشته حولها واستمع إلى دفاع المحامي بشأنها ثم أعلن ختام المرافعة للمرة الثانية.

النتيجة- اتضح للمحكمة من مجموع الأدلة والشهادات مايلي:

أولاً: لم يكن المتهم العقيد الركن عبد السلام محمد عارف من الضباط الأوائل الذين تبنوا فكرة الثورة ولكن سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم هو الذي تقدم بطلب انضمامه إلى جماعته وقد حصل الاتفاق بوجوب وضعه تحت التجربة لمدة ما لعدم الاطمئنان إليه على ما يظهر وأن سيادة الزعيم عبد الكريم كان يلح كثيراً بالحاقه بهم بالرغم من صدور القرار بعدم الحاقه ونتيجة لتعهد سيادته أقسم المتهم اليمين حوالي/ نيسان/ 1957 وصار مع إخوانه وساهم في الثورة معهم.

ثانياً: كانت الخطة الخاصة للقيام بثورة 14 تموز الخالدة هي من وضع سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم دون سواه وأن واجب المتهم في الخطة هو عزل مقر لواء العشرين ومن ثم قيادة اللواء المذكور بصفته أقدم ضابط والحضور إلى دار الأذاعة والبقاء فيها لقراءة بيانات كتبت له من قبل سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم وكانت معه سرية بأمره للمحافظة على دار الأذاعة عند قراءة البيانات في صبيحة 14 تموز الخالد.

ثالثاً: عهدت إلى المتهم نيابة رئاسة الوزراء ونائب القائد العام للقوات المسلحة ووزارة الداخلية بالوكالة وحينما طولب بتأليف مجلس قيادة الثورة تردد في ذلك وتلكأ بينما كان الواجب يقضي بتأليف هذا المجلس لأن تأليف المجلس بند من بنود الثورة ولو تم تشكيل المجلس لحدَّ من تصرفات المتهم.

رابعاً: انحاز المتهم عبد السلام محمد عارف إلى فئة معينة بالرغم من أن مقررات ميثاق الثورة تشير إلى عدم الانحياز إلى أي حزب أو جهة وقد تبنت جريدة الجمهورية انحياز المتهم إلى تلك الفئة فكانت تصدر صور المتهم واضحة وبالصفحات الأولى وأكبر من صور سيادة الزعيم عبد

الكريم قاسم، كما أن المتهم أهمل ذكر اسم سيادته في خطبه وأخذ يدعو لنفسه مما دعا بعض المخلصين الحريصين على وحدة الصف إلى إرشاده وتوجيه النصح له. ولكن على ما ظهر أن البلبلة قد استفحلت، وشقت الصف قد ازدادت، فاعفى من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة ثم إلى إجراء التعديل الوزاري وتعيينه سفيرا في بون.

خامساً: رفض المتهم المذكور السفر إلى بون بالرغم من الجهود التي بذلت من قبل المخلصين لاقناعه بقبوله فكرة السفر وذلك حرصا على المصلحة العامة وحينما انفرد بسيادته بمفرده وكان الزعيم المتقاعد فؤاد عارف متشاغلاً في جانب من الغرفة استغل الموما إليه انشغال سيادته في التفتيش عن أوراق موضوعة تحت ساعة على المنضدة فمد يُده على مسدسه خلسة فسارع سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم بعد أنْ لمحه صدفة ومسك بيده وصرخ في وجهه ماذا تريد أن تعمل فأجابه إنني لا أريد قتلك بل أريد أن انتحر فرد سيادته عليه لماذا لم تنتحر في بيتك وعلى أثر ذلك هجم فؤاد عارف وانتزع المسدس من يد المتهم وأفرغ إطلاقاته وحضر على أثر الحادثة الزعيم الركن محي الدين حميد والعقيد عبد الكريم الجده.

سادساً: ثم سافر إلى بون على أن يعود بموافقة سيادة الزعيم بعد ثلاثة أسابيع ولم يبد من تصرفاته بأنه يريد البقاء بمنصبه كسفير في بون فارسل برقية مؤرخة 30/ 10/ 1958 يعلن فيها رغبته في العودة إلى العراق مدة قصيرة فكان جواب سيادة الزعيم أن الموقف بالوقت الحاضر يقضي بذهابه إلى بون وبعد مدة يخبرنا برأيه فلم يمتثل أمر سيادته بالرغم من تبلغه به وتوجهه إلى العراق على مسؤوليته في منتصف ليلة 3-4/ 11/ 1958 في الطائرة العراقية راغبا في إخفاء شخصيته فوصل بغداد في صباح يوم 4-11-1958.

سابعاً: كانت قد راجت أشاعات كثيرة في بغداد حول عودة المتهم وأن أحداث هامة ستحدث يوم 5-11 وكانت تلك الاشاعات بشكل تهدد وحدة الصف وتبعث القلق في النفوس فقد يستفيد منها ذوو النوايا السيئة تجاه الجمهورية وعند وصول المتهم صباح يوم 4-11-1958 استقل سيارة أجرة وذهب إلى بيته دون أن يتصل بأحد ثم استدعاه سيادة الزعيم لمواجهته وأذيع البيان باعتقاله ثم قامت مظاهرة ببغداد تقدر بمليون نسمة من جميع انحاء العراق تأييدا لموقف سيادة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم ولسياسته الحكيمة.

ثامناً: وعلى أثر أحداث البلبلة في صفوف الشعب حدثت بعض المؤامرات سواء كانت في صفوف الجيش أو الشعب وحدثت بعض التكتلات وكانت تلك المؤامرات والتكتلات ضد مصلحة الشعب وضد النظام الجمهوري. وتستخلص المحكمة من سير الوقائع مايلي:

أ- أن المتهم عبد السلام لم يلتف حول زعيمه كما تقضي الأخوة التي تعاهدا عليها لصالح الجمهورية وقد خرج عن مبادئ الثورة وأوجد البلبلة واستغلته فئة ضالة لخدمة مآربها ووجدوا في الالتفاف نحوه تحقيقا لأهدافهم الخاصة لذلك حيكت المؤامرة ضد مصلحة الجمهورية وبالرغم من أن هذه الفئة معروفة بموالاتها للمتهم إلا أنه لم يتأيد للمحكمة بالدليل القاطع من إتصاله بتلك الفئات أو ترأسه لها لغرض استعمال القوة الظاهرة ضد الجمهورية العراقية لذلك قررت المحكمة براءته من التهمة المسندة إليه بموجب المادة 80 من ق. ع. ب.

ب- إن المتهم عبد السلام عارف أراد اغتيال سيادة الزعيم الأوحد اللواء الركن عبد الكريم قاسم ولولا يقظة سيادته لحلت النكبة العظمى لا سامح الله في هذا الكيان الجمهوري الديمقراطي ويتجلى هول الجريمة

أن سيادة الزعيم رجل عظيم جاد به الزمان على العراق والعالم العربي ليكون قائدا من قواد الديمقراطية والحرية والسلام بما يتميز به من عبقرية ونبوغ وذكاء وشجاعة وطيبة قلب وحب للمواطنين على اختلاف مللهم ونحلهم موحدا صفوفهم جامعا كلمتهم تحت لواء الجمهورية وتتجلى فضاعة الجريمة أنها ترتكب من قبل المتهم وقد كان أخا حميماً وصديقا معروفا لسيادة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم وحيث أن سيادته يمثل في ظروف هذه الثورة الحكومة بكاملها ويجمع في شخصه سلطات كثيرة فهو زعيم الأمة وقائد القوات المسلحة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع لذلك تحققت أركان المادة 11 من مرسوم الإدارة العرفية وبدلالة الفقرة السادسة من المادة 214/ 60 ق. ع. ب. بحقه وقررت المحكمة تجريمه بموجبها.

جـ- لم تهمل المحكمة موقف المتهم عبد السلام عارف من ثورة 14 تموز الخالدة وأن دفاعه الشديد وتحمسه العظيم لتقويض النظام الملكي الفاسد لذلك تتقدم المحكمة لسيادة الزعيم الأوحد اللواء الركن عبد الكريم قاسم بالرأفة به، فهو يملك تلك الرأفة دون سواه والمتظمنة تخفيض العقوبة عملا بأحكام المادة 20 من قانون معاقبة المتآمرين.

وصدر القرار باتفاق الآراء وأفهم علنا.

المقدم	العقيد	العقيد
شاكر محمود السلام	فتاح سعيد الشالي	فاضل عباس المهداوي
عضو	عضو	الرئيس
الرئيس الأول		المقدم
إبراهيم عباس اللامي		حسين خضر الدوري
عضو		عضو

قرار الحكم

تشكلت المحكمة العسكرية العليا الخاصة ببغداد في يوم 5-2-1959 برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي وعضوية كل من العقيد فتاح سعيد الشالي والمقدم شاكر محمود السلام والمقدم حسين خضر الدوري والرئيس الأول إبراهيم عباس اللامي وأصدرت باسم الشعب حكمها الآتي:

حكمت المحكمة على المجرم العقيد الركن المتقاعد عبد السلام محمد عارف:

أولاً: بالإعدام شنقا حتى الموت وفق المادة (11) من مرسوم الإدارة العرفية رقم 18 لسنة 931 وبدلالة الفقرة 6 من المادة 214/ 60 من ق.ع. ب.

ثانياً: أن محكمتنا إذ تصدر حكمها بالإعدام على المجرم المذكور تودع الرأفة به لأمر سيادة زعيمنا العبقري وحكمته باستعمال سلطته الواردة في المادة (20) من قانون معاقبة المتآمرين.

ثالثاً: ببراءته من التهمة المسندة إليه بموجب المادة 80 من ق.ع. ب. إستنادا إلى أحكام المادة 160 من الأصول الجزائية.

رابعاً: وبطرده من الجيش وفق المادة 30 من قانون العقوبات العسكري.

صدر القرار باتفاق الإراء وأفهم علنا.

المقدم	العقيد	العقيد
شاكر محمود السلام	فتاح سعيد الشالى	فاضل عباس المهداوي
عضو	عضو	الرئيس

الرئيس الأول	المقدم
إبراهيم عباس اللامى	حسين خضر الدوري
عضو	عضو

هذا... وقد امتنع العقيد عبد الهادي محمد الراوي- عضو اليمين في المحكمة العسكرية العليا الخاصة- محكمة المهداوي- عن التوقيع على قراري التجريم والحكم. مما دفع الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع- أن يعفيه من منصبه هذا، وأن يستبدله بالمقدم حسين خضر الدوري.

يروي العقيد عبد الهادي محمد الراوي سبب امتناعه عن التصديق على الحكم الصادر ضد عبد السلام محمد عارف قائلا:

- كان العقيد فاضل عباس المهداوي- رئيس المحكمة- يأخذنا نحن أعضاء المحكمة إلى مقر الزعيم عبد الكريم قاسم بوزارة الدفاع، بعد كل جلسة من جلسات محاكمة عبد السلام ويسرد له وقائع الجلسة والحوار الذي دار فيها. وكنت دائم الأعتراض على أسلوب المحاكمة. وقلت للزعيم قبيل انعقاد الجلسة الأخيرة التي صدرت الأحكام فيها: أني غير مقتنع بالاتهام، ولا بالعقوبة. وأني سأعارض قرار الحكم. فقال الزعيم عبد الكريم: لا تعترض على حكم الإعدام. فأوعدك بشرفي العسكري بأني سأعفو عنه بعد ذلك.. المهم أن يصدر حكم الإعدام بالإجماع.

ولكنني أصررت على المخالفة.. وطلبت أعفائي من عضوية المحكمة. وفعلا جرى ذلك. ولم يظهر اسمي في ذيل الحكم.

وهكذا خرجت من عضوية المحكمة العسكرية العليا الخاصة.

ويتحدث صبحي عبد الحميد عن محاكمة عبد السلام محمد عارف فيقول عنها: "لقد تبين لنا- بعد إذاعة تفاصيل المحكمة- أن الغاية من محاكمته كانت:

1- اقناع الرأي العام بأن دوره في الثورة كان ثانويا.

2- أن مصمم الثورة وقائدها ومفجرها.. الخ هو عبد الكريم قاسم.

3- أن موضوع الوحدة العربية لم يبحث قبل الثورة من قبل الضباط الأحرار.

غير أن الشهود أكدوا العكس، لأن دور عبد السلام في الثورة لا يمكن أن ينكره أي عراقي منصف. فقد كان له الدور الأول. وأكاد أقول لولاه لما تفجرت الثورة في موعدها المحدد.

أما القول بأن عبد الكريم هو وحده المصمم والمفجر... الخ فهو بهتان، لأن ضباط الثورة كافة كبارا وصغارا، كانوا يهيئون لها ويسعون لانجاحها، ولقد انتخب الضباط الأحرار عبد الكريم قاسم رئيسا ليس لأنه أحسنهم أو أثقفهم أو أقواهم شخصية بل لأنه كان أقدمهم رتبة ولولا هذه الصفة لانتخب غيره. ولا يمكن لشخص واحد مهما بلغ دوره أن يصمم ويفجر ثورة كبيرة كثورة 14 تموز. أما موضوع الوحدة فقد أجمع الشهود كافة أنه بحث قبل الثورة وتقرر انجازها خلال فترة الانتقال. وكان أوضحهم في هذا الموضوع السيد ناجي طالب الذي أكد بحث الموضوع والاتفاق عليه، وكانت شهادته أوضح وأقوى الشهادات.

استدعيت للشهادة بغتة حيث لم يسبق أن دونت هيئة التحقيق أفادتي. ولقد لمست من أسئلة رئيس المحكمة والمدعي العام أنهم يطلبون مني أن أنكر دور عبد السلام، فأجبت بما يرضي ضميري وهو الواقع. فتكلمت بصراحة وذكرت الحقائق. وقد علمت بعد ذلك أن عبد الكريم لم يرض عن شهادتي لأني لم أزورها لصالحه.

انتهت المحاكمة وتأخر صدور الحكم بسبب اختلاف وجهات النظر حوله بين أعضاء المحكمة. فنقل عضو اليمين العقيد عبد الهادي الراوي الذي تشدد في رأيه وأصر على عدم أدانة عبد السلام، إلا أن نقله لم يحل المشكلة لأن عضو

اليسار المقدم عبد الفتاح الشالي كان متفقا مع زميله المنقول وأصر هو الآخر على تبرئة عبد السلام لأن الأدلة تدعم براءته.

وكان المهداوي بإيعاز من عبد الكريم مصراً على إعدامه. ولقد أرسل عبد الكريم عدة مرات على الشالي يقنعه بأصدار حكم الأعدام إلا أنه لم يقبل، فجرت محاولة لنقل الشالي أيضا، إلا أن هذا شعر بها وفكر بأن نقله مضر وفي غير مصلحة عبد السلام فعدل عن رأيه بعد أن أقسم له عبد الكريم بأنه لن ينفذ الحكم بعبد السلام. فطلب الشالي أن توصي المحكمة بتخفيف الحكم فوافق عبد الكريم، وهكذا صدر الحكم بإعدام عبد السلام صاحب الدور الرئيسي في ثورة 14 تموز التي لم يمض على إعلانها سوى خمسة أشهر، وهكذا بدأت (الثورة تأكل أبناءها).

أودع عبد السلام السجن العسكري في معكسر الرشيد ومنعت عائلته من زيارته، وحرم من قراءة الصحف والكتب، وقبع في زنزانته ينتظر تنفيذ الحكم أو تخفيفه ولم يفرج عنه إلا سنة 1962.

ومما يؤخذ على عبد السلام أنه خلال وجوده في السجن أرسل ست رسائل إلى عبد الكريم يطالبه بإطلاق سراحه، وكان عبد الكريم يقرؤها على زبانيته، فيسخرون منها، ولقد عثر المقدم محمد يوسف طه على صورة هذه الرسائل في درج مكتب عبد الكريم بعد ثورة (14 رمضان) فأطلعت عليها ونصحت محمد يوسف أن يسلمها إلى عبد السلام الذي أصبح رئيسا للجمهورية].

وتحدث باسيل دقاق في كتابه الذي أصدره في مطلع عام 1960 بعنوان "عهد المهداوي" عن محاكمة عبد السلام محمد عارف قائلا:

"ليس وقع الحكم على العقيد عارف في أوساط العراق هو موضوع البحث هنا. فالأحداث نفسها تتوالى ترجمته. واستقالة الوزراء الستة (استقال يومها ستة وزراء من حكومة قاسم احتجاجا على ذلك) هي الحدث الأول وقد تتبعها أحداث أخرى لا تقل شأنها عن التبديل الوزاري. أما الموضوع فهو الحكم ذاته. ففي الحكم، والحق يقال، نواقص كثيرة وأخطاء أكثر منها تجعل المنصف يوجز وصفه بأنه حكم سياسي.

أن من تابع وقائع محاكمة العقيد عارف ليدهش كيف يصدر حكم بالإعدام في قضية لم تسند الاتهام فيها أدلة تذكر بل قامت أدلة أقنعت حتى المحكمة المهداوية ببراءة المتهم من تهمة التآمر.

ويقينا لو أن الحكم لم يكن قطعيا ولو أفسح المجال لطريق من طرق المراجعة الاستئنافية في أمره لقضي المستأنف إليهم ببطلانه ولو لهذين السببين:

الأول: أنه لو كان حقا في حركة عارف عند قاسم شروع في اغتيال أو حتى محاولة اغتيال اقتنع بها قاسم لما توانى عن ضبط الحادثة رسميا ساعة وقوعها، ولما أبقى على قرار تعيين عارف سفيراً.. إذ كيف يوفد سفيراً لبلاده من حاول اغتيال زعيم هذه البلاد؟

والثاني: كيف تثبت للمحكمة براءة المتهم من تدبير مؤامرة لقلب الحكم ولا تثبت لديها براءته من محاولة اغتيال، من إذا اغتيل انقلب نظام حكمه من دون ريب؟

الحق أن الحكم لا يمت بصلة إلى رزانة الأحكام وعدلها. وإن تكن عدالة المحكمة العسكرية العليا الخاصة قد خانتها، فالمنتظر من عدالة الزعيم قاسم، وهو أدرى الناس بصديقه ورفيقه العقيد عارف، ألاّ تخونه".

وأن لهذه النقطة الأساسية في قضية العقيد عبد السلام عارف لشأنا يـزداد خطره وأثره إذا رجعنا إلى تفاصيل المحاكمة. فقد دلـت هـذه التفاصـيل علـى أن تهمة التآمر بعد عودة عبد السلام من أوروبا إلى العراق خلسة، لم يقم عليهـا أي دليل ولا شبه دليل، وأن المحكمة لا تملك أي مستند للحكـم علـى عبـد السـلام بموجب هذه التهمة. فالحكم بإعدامه لم يستند في الواقـع، إلا إلى محاولـة اغتيـال عبد الكريم قاسم، وهي تهمة أنعدمت، كما قلنا منذ حين، بمجرد تفـاهم قاسـم وعارف فور الحدث وبمجرد ذهاب عبد السلام إلى أوروبا موفدا رسمياً معتمـداً موثوقاً به.

تضاف إلى ذلك واقعة أخرى، هي أنه لو كانت هناك شبهة بوجود محاولـة اغتيال حقاً، لكانت الحادثة سجلت في محضر ضبط رسمي في حينها. ولم يكن في قضية عارف محضر ضبط ولا جزء من وثيقة كهذه..

ولكن هل المناقضات أو المخالفات القانونية هـي حقـا مـا يـنقص محكمـة المهداوي حتى نقف أكثر من هذه البرهة عند الحكم على عبد السلام عارف؟

أما المصادمات بين المهداوي وعبد السلام فلـم تكـن بـالمثيرة. فقـد تجنـب المهداوي أن يبالغ في إهانه المتهم، وكان بعـد محتفظـا بشـيء مـن ضـوابط فكـره ولسانه وشيء آخر، ولو قليلاً، من مراعاته مقام عبد السـلام الأدبـي. علـى أن هذا الشيء القليل وذاك قد تبـددا بعـد حـين أثنـاء المحاكمـات التاليـة ولاسـيما محاكمـات المـتهمين بالعصيان في الموصـل مـع عبـد الوهـاب الشـواف. ولعـل المهداوي أراد أن يستدرك ذلك "التقصير" الذي أبـداه أثنـاء محاكمـة عبـد السـلام فجعل من عبد السلام محط كلامه وسخطه ومـدار حملاتـه والسـبيل إلى تهجمـه على الجمهورية العربية المتحدة وكل من لف لفها.

لقد صارت عبارة "الخائن عبد السلام عارف" أبسط السباب والألقاب التي يوزعها المهداوي بمناسبة وغير مناسبة على الزعيم الثاني في ثورة العراق. ولا تسل بعد ذلك عن "تسابيح" المهداوي الباقية التي يخص بها عبد السلام: عميل الاستعمار، المتآمر الحقير، مدعي القومية العربية، المتعصب الأجير، تابع عبد الناصر الأمين، عميل العفالقة... كان يريد أن يقدم العراق لقمة سائغة لعبد الناصر.. "وحدة عربية، ماسونية، من المحيط إلى الخليج" إلى آخر السلسلة المهداوية.

وقد تساءل المهداوي يوماً، وكان ذلك في جلسة الثالث والعشرين من حزيران، أثناء محاكمة دفعة من دفعات الضباط المتهمين بعصيان الموصل: ما معنى "من المحيط إلى الخليج"؟ إنها تعني إمبراطورية الوحدة العربية التي يريدها الهتلر الصغير.. ماذا عملوا لفلسطين والجزائر؟ هل ساعدوا الجزائريين والعمانيين (الجزائريون الذين يقاتلون الفرنسيين والعمانيون الذين يقاتلون الإنكليز) كما ساعدتهم الجمهورية العراقية؟ ولماذا كل شيء هادئ في جبهة "الماسونية" المتحدة وإسرائيل؟. وماذا يفعل الجنرال الإمبراطور ناصر الدين شاه؟

وفي جلسة الخامس عشر من آب 1959 كشف المهداوي النقاب عن وجود ما اسماه "وثيقة رسمية" عند عبد الكريم قاسم أرسلتها سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد إلى حكومة القاهرة تنبئ بأن عبد السلام عارف سيطغي على قاسم وصحبه وحينئذ يتولى ضم العراق إلى الجمهورية المتحدة. وقال: نعم، كانوا يريدون ضم العراق إلى الأمبراطورية الموهومة كأنه إرث ورثه عبد السلام عارف وجماعته من آبائهم وأجدادهم.. كانوا يريدون وضع الخبز على الشحم. ولكن الشعب العراقي متنبه، ذكي، يقرأ الممحي!

"أرادوا أن يضعونا لقمة سائغة في أفواه المحتكرين المصريين الجشعين الذين صنعت من أجلهم الوحدة الكاذبة الفارغة.. ناكر الجميل عبد السلام عارف، والاقطاعي رشيد عالي الكيلاني والخائن القذر المجرم عبد الوهاب الشواف (حتى الموتى لم ينجوا من لسان المهداوي) اشتغلوا لضمنا إلى "الأمبراطورية" ومازال أسيادهم يعملون على حبك المؤامرات، ولكن الشعب والزعيم لهم بالمرصاد".

ومن مآخذ المهداوي على عبد السلام عارف أنه يميز بين الأكراد والعرب والتركمان وغيرهم. قال المهداوي يندد بأحد المتهمين أثناء محاكمة الزعيم ناظم الطبقجلي في قضية عصيان الموصل: عقليتك مثل عقلية عبد السلام عارف "أنتم وحد.. ونحن وحد"! كلا فالجميع سواسية في الجمهورية الخالدة. لقد وحدتهم الثورة فلا فرق بينهم ولا تمييز".

قالها المهداوي ولما يكن قد مضى سوى أسبوعين على مجزرة وقعت في كركوك بسبب التمييز بين كردي وتركماني وذهب ضحيتها أكثر من مائة تركماني قتلوا وجروا بالحبال في الشوارع (سحلوا) وعلقت جثثهم على الأشجار وأعمدة الكهرباء وقد مثل بها وقطعت بعض أوصالها شر تقطيع، ودفن بعضهم أحياء.

وبلغ بالمهداوي الحقد على عبد السلام عارف حدا أخرجه عن طوره أحيانا قال في الجلسة الرابعة والعشرين بعد المائة يوم أول تموز 1959، وكان يحاكم العقيد جميل الخشالي بتهمة العصيان في الموصل:

كيف تريدون أن نرضى بتبديل دولتنا بأقليم. يريدون أن يجعلوا من العراق الأقليم الشرقي في الجمهورية (الباب الشرجي!) العراق الذي ذاق معنى

الحرية، العراق الذي يعني في اللغة السومرية بلاد الشمس. والشمس ترمز إلى كل التواريخ في العالم وإلى جميع عقليات الشعوب التي شبهت الحرية بها.

إن البشر منذ وجوده يقدس الحرية ويشبهها بالشمس لأن الشمس أعظم جرم سماوي ومن أهم العوامل التي تديم الحياة، سواء للبشر أم للحيوانات أم للطيور أم للنباتات، بل للوجود جميعاً.. يريدون أن يبدلوا اسم العراق الحبيب إلى الأقليم الشرقي. سخيف! الوحدة التي تنشدونها هي وحدة الحكم الفاشي الذي يسير في ركاب الاستعمار".

وللمهداوي حديث آخر عن عبد السلام عارف والاكراد والتوحيد قاله في الجلسة العشرين بعد المائة أثناء نوبة من نوبات تهجمه على الجمهورية العربية المتحدة:

"كان عبد السلام عارف يتصل ببعض إخواننا الأكراد ويمنيهم بتأسيس حكومة لهم في العراق ويتحدث معهم حديث الأطفال. ولكن بما أنني أحب الأطفال فأنني أقول أنه حديث الأطفال غير الأبرياء..."ما علينا بكم ولا عليكم بنا. نحن وحد وأنتم وحد". هل هذا وارد في مبدأ أو نظام أو حكم؟ وهل هذا منطق لرجل مسؤول؟ وهل هذا عقل المتزعم في قومية إعتدائية ووحدة موهومة سداها شهوة الحكم المطلق الدكتاتوري؟ كان يريد أن يكون نائبا لرئيس الجمهورية المتحدة في العراق... أي لغراب البين! شبيه الشيء منجذب إليه! (وهو مثل يجن به المهداوي وقد اعتاد أن يردده مرة بالأقل كل جلستين).. هذه العقول كانت تريد أن تحكم العراق، ورجال العراق قوم أحرار مفكرون ديمقراطيون لا يرضون بأن ترجع بلادنا إلى العصور الفاشية الرجعية التي لا تهمها مصلحة الشعب بل يهمها الحكم والسيطرة والنفوذ".

وفي جلسة من الجلسات الحامية أثناء محاكمة العقيد الخشالي وصحبه، أقام المهداوي نفسه شاهدا على عبد السلام عارف، ولو بعد زمن طويل من انتهاء محاكمته والحكم بإعدامه، فقال: "كان هذا الارعن السخيف يتبجح بأن باستطاعته أن يعزل الزعيم قاسم لأنه كان يذهب إلى الألوية ويزورها ويسمع الهتافات للثورة وتعلق الناس بها. وقد أعتاد في تصريحاته وخطبه العديدة أن يلوح بزعامة أخيه الأكبر جمال عبد الناصر. لقد قال لي ذات مرة: أليس سخيفا أن ينام عبد الكريم قاسم على الأرض؟ (أشتهر عن عبد الكريم قام أنه ينام على الأرض تقشفا وأنه لا ينام سوى ثلاث أو أربع ساعات ويقضي بقية اليوم في عمل دائم. وقاسم غير متزوج ومعروف بأنطوائه على نفسه وشدة تعلقه بعمله) إنني أستطيع الآن أن أعزل قاسم". أجل قال لي عبد السلام عارف ذلك بنفسه... كان ينادي: ديمقراطية، إسلامية، تعاونية سماوية إلهيَّة وقد قال لي الأخوان المثقفون الشرفاء مراراً: أسمع يا فاضل ماذا يقول عبد السلام، وكيف بدأ ينحرف. ولكني لم أكن أصدق ولا كنت قد فتحت الراديو لاستمع إلى عبد السلام يلقي خطبه في الألوية.

ثم لقيته ذات يوم فواجهته بالتحية والعناق. قلت لابد أن يرجع عن غيه.. وإذا به يسألني: فاضل، نعمان ماهر، شيوعي لماذا تركتموه؟ فلان شيوعي أبعدوه؟

وازداد عبد السلام تصلفا لما خرج تسعون ألفا من أهالي لواء السليمانية لاستقباله بوصفه رسول الثورة... لَقْلَقْ الثورة! وقد أثبت فعلاً أنه لا يقبل النصح. فلكم نصحة الزعيم ولكم أرشده إلى الطريق المستقيم ولكن.. (وهنا جادت ذاكرة المهداوي ببيت من الشعر مناسب).

"لا تنتهي الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر"

كانت محاكمة عبد السلام عارف سرية. وقال حكام العراق في تبرير ذلك.. "إن من الضروري تجنب كشف أسرار الخلاف وشدته بين بغداد والقاهرة". ولكن أوجه هذا الخلاف بدأت تتكشف وتتضح في الصحف والإذاعات بعد حين. ولما حمي وطيس المعركة الباردة وأجيزت أذاعة وقائع المحاكمة السرية كما سجلت في حينها...

***

مصرعه....!

مصرعه...!

كنت قد زرت في القاهرة، في الأول من شهر شباط 1966 الصديق الفاضل العالم الفلكي الشهير الحاج محمد يوسف المنياوي، وطلب إليّ أن أبلغ الرئيس عبد السلام محمد عارف بأن يحذر كل الحذر التنقل في الطائرات وركوبها، وأن أؤكد عليه ذلك، ان أراد لحياته أن تطول!

وعندما سألته مستفهماً: هل سيموت في حادث طائرة؟!

أجابني: أن الأعمار بيد الله العلي القدير.. ولكل أجل كتاب.. وإذا جاءهم الموت لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.. صدق الله العظيم..

وفي بغداد التقيت الرئيس عبد السلام محمد عارف- بعد عودتي من القاهرة- في مكتبه الرسمي في القصر الجمهوري.

بادرني الرئيس عبد السلام عن الأخبار في القاهرة.. فقلت له:

- يا سيادة الرئيس، لقد حمّلني الحاج محمد يوسف المنياوي- وأنت تعرفه جيداً، إذ أنه تنبأ لك وأنت في سجن عبد الكريم قاسم بأنك ستخرج من السجن، وستصبح أول رئيس للجمهورية في العراق(*).

فأجابني مبتسماً: نعم، أتذكر ذلك، وقد أخبرني بهذا قريبي الأستاذ علاء الدين الريس..

(*) لقد كانت معظم تنبؤات الحاج المنياوي تصدق، ولعل تحديد يوم وفاة الرئيس جمال عبد الناصر (28 سبتمبر 1970) ونشره ذلك قبل فترة وجيزة في الصحف قائلاً "نجم عربي كبير يأفل من الأفق العربي تهز وفاته العالم أجمع" دليل على صحة تلك التنبؤات- وكذب المنجمون ولو صدقوا.

قلت: لقد طلب اليَّ الحاج المنياوي أن أبلغ سيادتكم- وما على الرسول إلا البلاغ المبين- أن تحذر التنقل في الطائرات، ومن ركوبها!

حدجني بنظرة ثاقبة صارمة، ثم نظر إلى سقف غرفة مكتبه، حيث تتدلى ثريا ضخمة من الكريستال.. وطال سكوته، ثم قال، وكأنه يحدث نفسه، بصوت خافت:

- "وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت".

تذكرت هذا اللقاء، وهذا الحوار، عندما رنّ جرس الهاتف في مكتبي في وكالة الأنباء العراقية في الصالحية بجانب الكرخ في الساعة الثامنة من مساء الأربعاء 13 نيسان 1966 لينقل الهاتف لي عبر أسلاكه صوت عدنان الجبوري- سكرتير رئيس الوزراء، الذي قال بصوت متهدج: راقبوا الأذاعات المجاورة، وبالأخص أذاعتي الكويت والأحواز.. وأن أي خبر يلفت أسماعكم، أتصلوا بنا، وذلك بناء على أوامر السيد رئيس الوزراء..

أصدرت تعليماتي إلى (قسم الإنصات) في الوكالة بمراقبة إذاعتي الكويت والأحواز والمحطات اللاسلكية الأخرى مراقبة دقيقة، وتسجيل ما تذيعه فوراً..

بعد ساعة أخبرني رئيس القسم ثابت نعمان السعدي، بأن إذاعة القاهرة أذاعت خبر اغتيال عبد الله الإرياني وزير الأدارة المحلية في اليمن.

وقمت بدوري بأخبار سكرتير رئيس الوزراء بذلك الخبر الذي اعتبرناه مهماً، كما تقضي التعليمات الصادرة الينا من وزارة الثقافة والأرشاد ووزارة الخارجية.

غير أني وجدت سكرتير رئيس الوزراء لم يكترث لهذا الخبر، ولم يعره أهمية.. كما أكد عليّ للمرة الثانية مراقبة أذاعتي الكويت والأحواز وتسجيل ما تذيعانه من أخبار، وأخباره على الفور، إن أذاعت خبراً مهما.

وفي الساعة العاشرة مساءً اتصل بنا فؤاد الخليل مندوب وكالة الأنباء العراقية المرافق لرئيس الجمهورية في جولته في جنوب العراق، وأملى على قسم الأخبار الداخلية تقريراً مفصلاً عن جولات الرئيس عبد السلام محمد عارف في محافظة البصرة ذلك اليوم.. وقال: السيد وزير الثقافة والإرشاد الدكتور محمد ناصر يؤكد أذاعة هذا التقرير في نشرة أخبار الساعة الثانية عشرة (منتصف الليل) وتعميمه على كافة الصحف.

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة اتصل سلمان الصفواني وزير الدولة هاتفيا بي، وأخبرني بأنه متواجد حالياً في مكتب مدير عام الأذاعة والتلفزيون، وأنه يجب أن نكون على اتصال مباشر به، وأن نخبره بأي خبر مهم تلتقطه أجهزة الانصات.

استفسرت منه عن ماهية هذا الخبر المهم، فأجابني بأختصار: بعدين..!

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، شعرنا- نحن الموجودين في وكالة الأنباء العراقية أن حدثا مهما قد وقع.. وبدأنا نضرب أخماساً بأسداس لمعرفة كنه هذا الحدث المهم.

اتصلت هاتفياً في تلك الساعة من بعد منتصف الليل بالعميد الركن دريد الدملوجي مدير عام الوكالة أنذاك، في بيته، وطلبت إليه المجيء إلى الوكالة لأن حدثاً مهماً قد وقع!

وبعد نصف ساعة كان العميد الدملوجي في الوكالة.. فتساءل عن ذلك الحدث المهم. قلت له: لا ندري.. ولم تخبرنا أية جهة رسمية به..!!

ثم قلت بعدئذ: لماذا لا تتصل بوصفك ضابطاً كبيراً ومدير عاماً للوكالة بمديرية الاستخبارات العسكرية، وتستفسر منهم عن الأخبار الجديدة، كأنك على علم بما وقع وحدث، وتطلب المزيد من الاخبار!

طلب العميد الركن الدملوجي بوساطة الهاتف الرسمي الخاص، مديرية الاستخبارات العسكرية وسألهم عن الأخبار الجديدة..

قال له مدير الاستخبارات العسكرية: إن طائرة الرئيس ما زالت مفقودة.. وأنهم لم يعثروا على أي أثر لها لحد الان.

عندئذ.. بانت لنا الحقيقة..

وبقينا جميعاً في الوكالة، وفي الإذاعة والتلفزيون، نترقب الأخبار. حتى أشار عقربا الساعة إلى السادسة من صباح الخميس 14 نيسان 1966، حينذاك علمنا، بعد أن انقشع ظلام الليل، وبانت الحقيقة جلية واضحة بالمأساة.

**

قبل أن نروي دقائق الساعات الأخيرة في حياة الرئيس عبد السلام محمد عارف، وتفاصيل مصرعه، وتقارير الهيئات التحقيقية والفنية، والساعات التي أعقبت مصرعه.. يجدر بنا أن نتناول الظروف السياسية التي كانت تسود العراق في تلك الأيام، ومعرفة (الراغبين) في (ذهاب) عبد السلام محمد عارف و(غيابه) عن المسرح السياسي!

لقد ازداد خصوم الرئيس عبد السلام محمد عارف وكثر عددهم، وأصبح العديد من أفراد الشعب يتمنون زوال حكمه، بعد أن أستأثر بسلطات الحكم بمفرده، وأمسك بيد من حديد على زمامها!

وكان آخر من تخلى عنه (جماعته) الذين ساندوه بكل قوتهم في أحلك الظروف وأصعبها.

وأصبح الرئيس عبد السلام في الأشهر الأولى من عام 1966 حاكماً مطلقاً، يدير أمور البلاد بمفرده، وليس من حوله إلا من انتفع منه ومن سلطانه، وهم قلة، إذا قيسوا بكثرة أعدائه وخصومه ومنتقديه!

لو نقبنا بدقة، وتمعّنا بصفاء، ما يجري ويدور تحت القشرة السطحية، لوجدنا أن الذين كانوا (يتمنون) زواله و(يريدون) أفول حكمه عديدون، هم:

1- أنصار الملكية في العراق.

2- مؤيدو عبد الكريم قاسم.

3- الشيوعيون.

4- الأكراد (جماعة البرزاني).

5- الايرانيون.

6- البعثيون.

7- الناصريون.

8- عبد الرحمن البزاز ومريدوه.

وعندما رحل عبد السلام محمد عارف عن هذه الدنيا، في تلك الحادثة التي راح ضحيتها أيضا، عدد من الأبرياء.. ترددت في الأندية والمجالس، وعلى ألسنة الناس الشائعات والتقولات، أغلبها كان يؤكد أن الحادث مفتعل، يسبقه تحضير وتهيئة وسبق إصرار .. وكثرت الأصابع التي تشير إلى (الفاعل الأصلي)- سواء كان هذا الفاعل جهات أو فئات أو كتلاً سياسية أو عسكرية!

لقد تضاربت الأقوال- في حينه- في (المسبب) لذلك الحادث، وتعدد ذكر (الأداة) أو (الفعل) الذي تسبب في سقوط طائرة الهليوكوبتر، ومقتل ركابها جميعاً.

* فقد قيل.. أن (أحدهم) من الناقمين على عبد السلام محمد عارف ونظام حكمه قد وضع مخدراً في (البيسي كولا) الذي قدم للطيار النقيب خالد محمد نوري، وأن هذا المخدر كان السبب في فقدان السيطرة على قيادة الطائرة، وبالتالي سقوطها متفجرة!

* وقيل.. أن عبوة ناسفة صغيرة قد دُست في جيب الوزراء المرافقين للرئيس عبد السلام، بغفلة منه، وأن هذه العبوة الناسفة كانت موقوتة للتفجر في وقت ميعادها عندما تكون الطائرة في الجو!

* وقيل أيضا.. أن متفجرة صغيرة ممغنطة لصقت تحت مقعد الطيار، وأنها انفجرت بعد دقائق من إقلاع الطائرة!

* وقيل.. أن حفنة من الرمل، قد سكبت في فتحة مخزن الوقود (البنزين) في الطائرة.. وأن الرمل الناعم اختلط مع البنزين، ليسد منافذ أحتراق الوقود، فأدى إلى إهتزازها بعنف وسقوطها وانفجارها!

* وقيل.. أن أحد مرافقي الرئيس عبد السلام الذي كان ينتمي إلى حزب معارض، دون أن تكون هويته الحقيقية مكشوفة، كلف من مسؤوله الحزبي بحمل رزمة في طائرة الرئيس لايصالها إلى البصرة، وكانت هذه الرزمة عبارة عن عبوة متفجرة!

* وقيل.. أن (أحدهم) قد أطلق قذيفة على الطائرة، أصابت مستودع الوقود فانفجرت، وسقطت محترقة!

* وقيل.. أن جهازاً صغيراً يبث اشعاعاً لشل الحركات الإرادية، قد وضع في مكان خفي في (لوحة) القيادة، قد شل أعصاب الطيار، وجعله لا يستطيع التحكم بمقود الطائرة.

* وقيل.. أن الطيار النقيب خالد محمد نوري قد رتب انفجار الطائرة، وقفز منها، وهرب إلى جهة مجهولة، لاسيما بعد أن اعيا هيئة التحقيق الوصول إلى معرفة جثث خمسة من الركاب كانوا قد انصهروا في كتلة واحدة، ولم يستدلوا عليه!

* وقيل.. وقيل.. وقيل الكثير من هذه التقولات والتكنهات، والرجم بالغيب!

ولنعد الان إلى (الاحتمالات)، أو (الدوافع) التي تكهن المراقبون السياسيون، أن (الراعين) في غياب عبد السلام محمد عارف عن مسرح الحكم في العراق، كانوا وراءها، وهم:

1- أنصار الملكية: لقد اعتبر (الملكيون) أن وراء مقتل العائلة المالكة في العراق، صبيحة يوم 14 تموز 1958 في قصر الرحاب هم كل من: عبد الكريم قاسم وعبد السلام محمد عارف وعبد اللطيف الدراجي، الذين سبق أن قرروا قتل الثلاثة الكبار بعد نجاح الثورة: الملك فيصل الثاني والأمير عبد الاله ونوري السعيد، والقضاء على حكمهم.

ومنذ ذلك اليوم الدامي، الذي صرع فيه كذلك: الملكة نفيسة والدة الأمير عبد الاله وجدة الملك فيصل الثاني، والأميرة عابدية شقيقة الأمير عبد الاله، وعدد من حاشية وخدم الاسرة المالكة- أزمع (بعض) أنصار العهد الملكي، الانتقام من (المحرضين) الثلاثة، متحينين الفرص لقتلهم.

وعندما صرع عبد الكريم قاسم ظهر يوم السبت 9 شباط 1963 في الاستوديو الكبير في الإذاعة بالصالحية بالكرخ من قبل ثوار رمضان، وتلاشيه في قعر نهر ديالى، تنفس (الملكيون) الصعداء.

لم يبق أمامهم غير عبد السلام وعبد اللطيف الدراجي، وقد سنحت لهم الفرصة عندما جمعت طائرة الهليوكوبتر في القرنة الإثنين معاً.

وكان في قاعدة الشعيبة الجوية في البصرة، طيار من (أقرباء) العائلة المالكة، أو يمت بصلة ما إليها هو المقدم خالد حسين ناصر فإن (الملكيين) ربما تحينوا هذه الفرصة، ودبروا معه ذلك الحادث!!

2- مؤيدو عبد الكريم قاسم: عندما صرع عبد الكريم قاسم وسقط نظام حكمه، ظل مؤيدوه، يتحينون الفرص للانتقام من عبد السلام محمد عارف، لأنهم أعتقدوا أن إبادة عدد كبير منهم غداة نجاح ثورة رمضان، وطردهم من الحكومة والجيش، وزجهم في السجون والمعتقلات كان وراء ذلك كله عبد السلام، وعلى هذا قرروا إزالة عبد السلام ونظام حكمه من الوجود وأنهم خططوا لذلك، وأنهم بلا شك الراغبون في غيابه، والمتمنون زوال حكمه إلى غير رجعة!!

3- الشيوعيون: لقد شن الشيوعيون حملة شعواء قاسية على عبد السلام محمد عارف عندما بدأ الخلاف يستحكم بينه وبين عبد الكريم قاسم، كما أنهم استباحوا مدينة الموصل القومية بعد فشل ثورة الشواف، وقتلوا وسحلوا وعلقوا على أعمدة الكهرباء وعلى الأشجار، العديد من أبنائها ونسائها وشيوخها، كما استباحوا كذلك مدينة كركوك ومثلوا بشهدائها أيضاً.. وعندما زال عبد الكريم قاسم وعهده، شن الرئيس عبد السلام محمد عارف حملة بلا هوادة على الشيوعيين، فاحال الكثير منهم على المحاكم، وأعدم من أعدم، وسجن من سجن، وطرد الألاف منهم من دوائر الدولة والجيش، وهرب العديد منهم إلى خارج العراق.. فأصبح- في نظرهم- عدوهم الأول، الذي يجب أن يدفع الثمن باهضاً، وأن يزال من الوجود هو ونظام حكمه، فخططوا لذلك، وحاولوا مرة الإطاحة به- في تمرد لهم في معسكر الرشيد، ولكنهم فشلوا.. فازداد حقدهم عليه.

فقد جاء في تقرير الاجتماع الاعتيادي للجنة المركزية للحزب الشيوعي المنعقد في أواخر تموز 1965: "الوقائع تؤكد من جديد، اشتداد عزلة الحكم الدكتاتوري لدرجة قصوى، وتفاقم أزمته.. والتصدع الخطير الذي طرأ مؤخرا على كيان الهيئة الحاكمة بخروج عناصر الكتلة (الناصرية) قد كان

منسجما مع التحليلات التي استند إليها بيـان اللجنـة المركزيـة في صـياغة وتحديد الموقف من هذا الحكم.. إن خروج عدد من الوزراء (الناصـريين) وما اقترن به من إقصاء بعض أنصارهم من مراكـز الحكومـة، لـيس مجـرد تعديل وزاري اعتيادي، وأنما هو في الجوهر من الانقلاب التي تم في ظرف بلغ فيه الصراع ذروته بين الطرفين، ومهما يكن من أمـر، فـأن خـروجهم من الحكم هو خطوة إيجابية يمكن تقييم نتائجها من خلال المواقف اللاحقة التي سيتخذها هـؤلاء الساسـة وأنصـارهم إزاء هـذا الحكـم الـدكتاتوري وسياسته المعادية لمصالح الشعب...

وطرح الحزب الشيوعي العراقي بعد ذلك شعار "العمـل الحاسـم" بعـد أن نوقش في الاجتماع الموسع للجنة المركزية في تشـرين الأول 1965، واتخـذ به قراراً ينص: "في حالة القيام بعمل حاسم نؤيد تماما الاعتماد على معاونة فعالة من قوى (هاشم)- المنطقـة العسـكرية التابعـة للحـزب الشـيوعي- علـى أن تكـون هـذه المعاونـة الفعالـة عـاملاً حاسمـاً في هجـوم الحركـة الجماهيرية، وليس بديلاً عنها"!!

4- الأكراد: كان عبد السلام محمد عارف في الأيام الأولى لثورة الرابع عشـر من تموز، قد حمل على المتمردين في شـخص (المـلا مصـطفى البرزانـي)- المغترب العائد من موسكو، وكان يردد، بعد عـودة البرزانـي وجماعتـه إلى العراق- في مجالسه الخاصة، أنه لو بيـده الأمـر لقـال للبرزانـي وجماعتـه: "برو.. برو.."- وهي كلمة باللغة الكرديـة، تعـني باللغـة العربيـة: "إذهـب.. إذهب.."!

وقد استبشر جماعة الملا مصطفى البرزاني، وفرحوا كثيراً، عندما زج بعبـد السلام محمد عارف في السجن، وأيدوا عبد الكريم قاسم والشـيوعيين في ضربهم العناصر القومية الوحدوية.

وقد تمرد الأكراد في شمال العراق وثاروا عدة مرات في عهد عبد السلام محمد عارف وقسى أحياناً عليهم كل القسوة، لاسيما في أيامه الأخيرة، فقرروا الانتقام منه لما سبّبه لهم من مآس وآلام، ووجوب (غيابه) والقضاء على نظام حكمه مهما كلفهم الأمر!

5- الإيرانيون: حاول الرئيس عبد السلام محمد عارف في بادئ حكمه أن يقيم علاقات ودية مع إيران، محاولة منه لاصلاح ذات البين بينه (شخصياً) وبين حكم الشاه في إيران، بعد أن تعرض مراراً في خطبه الارتجالية التي كان يلقيها على جماهير المحافظات في جولاته، في بدء ثورة الرابع عشر من تموز، بحكم الشاه، والاشادة بالثائر الإيراني الدكتور محمد مصدق وتمجيد مواقفه الوطنية بعد قيامه كرئيسٍ لوزراء إيران بتأميم النفط مما أغاظ الإيرانيين في حينه.

ولكن مشاكل الحدود بين البلدين الجارين كثرت، وتعددت الاعتداءات الإيرانية على المراكز الحدودية العراقية... وقد بلغت الازمة بين البلدين قمتها، بسحب البلدين سفيريهما وتأزم العلاقات الدبلوماسية، عندما تدخل شاه إيران، محمد رضا بهلوي- على لسان سفيره في بغداد، حينما قدم أوراق اعتماده لرئيس الجمهورية العراقية- في شؤون العراق الداخلية، فطرده الرئيس عبد السلام قبل أن تتم مراسيم تقديم أوراق الاعتماد، فاغتاظ الإيرانيون مرة أخرى- وعلى رأسهم الشاه- من تصرف الرئيس عبد السلام محمد عارف، وناصبوه العداوة متحينين الفرصة للاطاحة به وبنظام حكمه!!

6- البعثيون: كان حزب البعث العربي الإشتراكيّ، يرى في عبد السلام محمد عارف قومياً متحمساً أقرب إليهم من أي شخص أخر، فناصروه في بدء ثورة الرابع عشر من تموز 1958 كل المناصرة، وأيدوه بكل طاقتهم

وحماسهم، ودافعوا عنه بكل قوتهم، عندما قدمه عبد الكريم قاسم للمحاكمة، وساعدوه كثيراً وعائلته عندما زج به في السجن، ونصبوه رئيساً للجمهورية عندما أطيح بعبد الكريم قاسم ونظام حكمه.. ولكنه انقلب عليهم، وزج بكثير منهم في السجون والمعتقلات، وناصبهم العداء، فأخذ يهاجمهم في كل خطبه، وينتقد مبادئهم، ويصفهم بابشع الالقاب والنعوت.

وقد تمكن في الخامس من أيلول 1964- كما يقول زهير صادق الخالدي في كتابه "صدام حسين والتحدي"- المناضل صدام حسين من أعداد خطة الثورة وتهيئة مستلزماتها للانقضاض على نظام عبد السلام عارف. وبسبب انكشافها تعرض الحزب لموُجة جديدة من الإرهاب الدموي والبطش، واعتقل عشرات الالوف من المناضلين البعثيين وأصدقائهم في كل أنحاء العراق".

ولهذا فقد اعتبروه "حجر عثرة لابد من إزالتها، لكي يكون العراق في المكان الملائم من حركة التحرر الوطني والقومي، لأن وجوده صار خطراً يهدد أمن وأمال الجماهير.. لذا كان لابد من إزاحة هذا الحكم وتصفيته كلياً"!

7- الناصريون: كان عبد السلام محمد عارف من أشد المتحمسين للرئيس جمال عبد الناصر ولمبادئ ثورة 23 يوليو 1952 في بادئ الأمر، كما أن الكثيرين ممن استهوتهم منجزات الرئيس جمال عبد الناصر ومواقفه الوطنية والقومية- كانوا يؤيدون ويناصرون ويدعمون عبد السلام محمد عارف.. ولكنهم عندما شعروا بأنه أخذ يبتعد عن (الوحدة) ويخف أعجابه بمنجزات عبد الناصر شيئاً فشيئاً، وبدأ يتقول على عبد الناصر

ويهاجمه في مجالسه الخاصة، ويلمح أنه وراء بعض الأحداث، وأنه أصبح (منافساً) له على (زعامة) الأمة العربية!!- انفضّ عنه أغلب من كان يؤيد ويعجب بالرئيس جمال عبد الناصر.

وعندما استفحل هذا (الداء) عند الرئيس عبد السلام- حاول عارف عبد الرزاق- وكان من المؤيدين للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، ومن المعجبين بالرئيس عبد الناصر- القيام بانقلاب عسكري للاطاحة بحكم عبد السلام- كما مرّ بنا سابقاً- وعندما فشل ذلك الانقلاب، شن الرئيس عبد السلام حملة قاسية على كتلة عارف عبد الرزاق، وزج بهم في السجون والمعتقلات، فحمل (هؤلاء) في نفوسهم البغضاء والضغينة، وصمموا على الانتقام منه لأعماله المشينة وتصرفاته المريبة" وقرروا أنه يجب أن (يغيب) عن الوجود، وأن يحلوا هم مكانه، ليحققوا أهدافهم المعلنة.

تؤكد السيدة وفاء عبد السلام محمد عارف أن أنصار جمال عبد الناصر كانوا وراء مصرع والدها، وأنها عندما التقت الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة بعد مصرع والدها، قالت له: أن أجهزة المخابرات المصرية هي التي خططت لقتل والدي، وأنها كانت وراء الحادث..". وتقول، أن عبد الناصر استغرب من ذلك، وأكد لها أن ذلك لم يحصل، وأنه كان يعتبر والدها أخاه وصديقه العزيز، وأنه آلمه كثيراً مصرعه على ذلك الشكل، وأنه حزين لغيابه ورحيله.

وتضيف السيدة وفاء قائلة: "أن زعامة والدي في المشرق العربي وبروزه كقوة سياسية كبيرة، دفعت أجهزة عبد الناصر إلى تصفيته والتخلص منه، كمنافس لعبد الناصر!!!

8- عبد الرحمن البزاز ومريدوه: كان عبد السلام محمد عارف- معجباً منذ شبابه- بعبد الرحمن البزاز، فقد كان يعتبره كشقيقه الأكبر [كان البزاز يكبره بثماني سنوات]، وأنهما نشأا في محلة واحدة. وكان الإثنان يؤمنان بالقومية والوحدة العربية، ويتمسكان بالتعاليم الإسلامية والدين الحنيف...

وعندما فشل عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء في محاولة انقلابه، كان عبد الرحمن البزاز نائبا لرئيس الوزراء وزيراً للخارجية، فكلفه الرئيس عبد السلام بتشكيل حكومة جديدة. وقبل أن يصبح البزاز رئيساً للوزراء- أمضى سنتين في لندن وجنيف كسفير لدى بريطانيا وكأمين عام لمنظمة الأقطار المصدرة للنفط..!!

وكان عبدُ الرحمن البزاز رجلاً طموحاً، معجباً بنفسه كل الأعجاب، ويعتبر نفسه أهلا لرئاسة الجمهورية لغزارة علمه، وسعة مداركه السياسية، ومعرفته باللعبة السياسية العربية والدولية.. فالبزاز كان يطمح في أن يحل مكان عبد السلام محمد عارف في رئاسة الجمهورية في (غيابه) أو (خلو) منصبه!

ففي البيان رقم (1) الذي أصدره عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء صبيحة الرابع عشر من نيسان 1966 عن حادث الطائرة الذي أودى بحياة الرئيس عبد السلام محمد عارف: جاء مايلي: "وتعلن الحكومة إلى الشعب كافة بأنها تقدر مسؤولياتها في هذه الفترة العصيبة. وقد أنيطت مهام السيد رئيس الجمهورية بالسيد رئيس الوزراء، حسب أحكام المادة السادسة والخمسين من الدستور المؤقت..".

وبملاحظة نص المادة (56) من الدستور المؤقت- كما قالت مجلة "الحقوقي" في مقال نشرته تحت عنوان "خرق فاضح للدستور"- "يتضح بجلاء أن أحكام الدستور تمنع رئيس الوزراء، منعاً قاطعاً وصريحاً من ممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية، إذ تنص على مايلي:

"مادة 56- خلال فترة خلو منصب رئاسة الجمهورية يستمر رئيس الـوزراء على ممارسة صلاحيته. ولا يحق له ممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية".

وأضافت مجلة "الحقوقي" قائلة: "وهذا يعني أن ممارسة رئـيس الـوزراء لمهـام رئيس الجمهورية في الفترة بين الرئيس السابق والرئيس التالي، تعتبر باطلة، لأنه استعمل هذه الصلاحيات بدون وجه حق. الأمـر الـذي يسـتتبع- بالضـرورة- بطلان جميع القرارات والمراسيم التي أصدرها بهذه الصفة".

ثم تساءلت "الحقوقي": "على أي أساس أو قـوة دسـتورية أو غـير دسـتورية استند رئيس الوزراء بتسـلمه هـذه الصـلاحيات؟ وكيـف سمـح لنفسـه- وهـو العميد السابق لكلية القـانون، والفقيـه بتفسـير بنـوده، والحـريص علـى سـيادة وتطبيق أحكامه تطبيقا صحيحا سليما- كما أعلن عن ذلك مـراراً؟ وهـل كـان الاستاذ البزاز على علم مسبق بما أقدم عليه من عمل له دلالته وخطورته؟! فإن كان كذلك، فتلك مصيبة، وإن كان لايدري فالمصيبة أعظم!!

ولاشك أن الدستور العراقي عندما نص على ذلك، كـان مقصـوداً عـدم منح رئيس الوزراء صلاحيات رئيس الجمهورية، وذلك لتأمين سـلامة انتخـاب رئيس الجمهورية من قبل أشخاص الهيئة التي منحها الدسـتور هـذه الصـلاحية. وبخلافه يكون لرئيس الوزراء- وقد تسلم مهـام رئـيس الجمهوريـة خـلال مـدة الأسبوع- ومن الناحية النظرية في الأقل- حق تعيين وزراء جـدد، وحـق تعـيين قادة الفـرق، وأعضـاء مجلـس الـدفاع الـوطني، فيضـمن بـذلك انتخابـه رئيسـاً للجمهورية من قبل أشخاص جاء بهم لهذا الغرض.

ولهذا السبب فأن المشرع لم يسمح لرئيس الوزراء ممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية صراحة، إدراكاً منه لهذه الناحية الخطيرة، والتي لم تراع من قبل السـيد رئيس الوزراء عند إعلانه البيان الأول المشار إليه أعلاه".

كما نشرت مجلة "حقوقي" في نفس هـذا العـدد تحـت عنـوان بـارز "البـزاز.. يعترف" وباطار عريض قائلة: "إعترف الاستاذ عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء في مجلس ضم لفيفاً من مريديه بأنـه فعـلاً قـد خـرق الدسـتور في مادتـه السادسـة والخمسين.. لأنه كان "في حالة من الانفعال والارتباك" - على حد تعبيره - صبيحة إعلان وفاة الرئيس عبد السلام محمد عارف..

فلم يستطع أن يلاحظ كلمة "لا" في نص المادة (56)!!

وهكذا اعترف الاستاذ البزاز بخطإه ونفى عن نفسه "التعمد" في ذلك..

وهكذا أنطلق مريدو البزاز يدفعون عن استاذهم "القصد" و"التعمد" في خرقه الدستور..

ولكن.. نسي الاستاذ البزاز - أو تناسـى - بـأن الـدكتور جاسـم الوهـابي رئيس ديوان مجلس الوزراء قد نبهه إلى ذلك، وقال له:

- سيادة الرئيس إن هذا خرق لأحكام الدستور فلا يجوز لـرئيس الـوزراء أن يمارس صـلاحيات رئـيس الجمهوريـة خـلال فـترة خلـو منصـب رئاسـة الجمهورية.

ولكن الاستاذ البزاز أجابه ببرود - دونه برودة الأنكليز:

- إنني أعلم بذلك.. ولكنني سوف لا أمارس صلاحيات رئيس الجمهورية.

فقال له الدكتور الوهابي:

- ولكنها مخالفة صريحة لاحكام الدستور.

أجابه الاستاذ البزاز - باللهجة العامية:

- محد راح يدري!!].

هكذا كان يطمح عبد الرحمن البزاز في أن يتربع على كرسي رئاسة الجمهورية..

وقد إنطلق مؤيدوه ومريدوه بكل قوتهم وسرعتهم إلى تهيئة الأجواء لتنصيبه رئيساً للجمهورية. وظهرت الصحف الموالية له، تؤيد ذلك، فقد نشرت جريدة (العرب) البغدادية لصاحبها ورئيس تحريرها نعمان العاني الصادرة في 15 نيسان 1966 عنواناً (مانشيتاً) كبيراً يقول: "البزاز.. رجل الساعة"، وكتبت تحته ما يوحي بأن عبد الرحمن البزاز هو الذي سيكون رئيساً للجمهورية، وأن ليس هناك أفضل وأحق منه بهذا المنصب الخطر.. وأنه "رجل الساعة" عن جدارة!!

ويتساءل الكاتب الصحفي محمد باقر شري في مقال له نشره في جريدة (الكفاح) البيروتية بتاريخ 15 تشرين الثاني 1966 تحت عنوان "ماذا يجري في العراق؟" قائلاً:

"إذا كانت الاستخبارات المركزية الأمريكية أو البريطانية، مع بعض عناصر الحكومة العراقية، أو حتى بعض عناصر الأحزاب الموتورة في العراق، قد قامت بعملية "طائرة الهليوكوبتر" فإلى ماذا كانت تهدف، ما دام لم يخلف عبد السلام من يمثل اتجاهها، بل جاء حكم لايقل نظامه عن حكمه.

ثمة من يقول: أن المستفيد الوحيد المفترض من ذهاب عبد السلام عارف يومذاك هو حكومة البزاز، وشخص رئيسها على وجه التحديد، خاصة أن له لون الصداقة "الاكاديمية" للغرب سيتولى دستورياً مهام الرئيس بعد مقتله، وبعد ذلك يتم التمهيد لانتخابه رسمياً. وقد كاد يحدث ذلك بالفعل، فقد صوت الوزراء إلى جانبه طبعاً، وكان أحدهم في ليبيا فاستدعاه ببرقية لكي لايخسر صوتاً. وقد كاد يفوز، لأن أصوات الوزراء تعادل أصوات العسكريين، إلا أن هؤلاء وضعوا مسدساتهم على الطاولات، وفرضوا انتخاب عبد الرحمن محمد عارف تحت طائلة التهديد"!

ويستطرد محمد باقر شري قائلاً: وعلى ذكر البزاز فهناك تواتر في بغداد حول اجتماعه بشمعون في لبنان، ويضيفون إليهما وصفي التل.

وبالمناسبة- والكلام لا يزال لشري- فقد طلبت وكالة رويتر من مكتبها في بغداد، أن يوافيها بمعلومات عن تفاصيل الزيارات التي قام بها شمعون إلى بغداد في العهود السابقة.. ومهما يكن من أمر فأن البزاز ليس بعيداً عن جو (التفاهم) مع الغرب، وهو يتميز بعقلية جامعية، لا تستهدف التقيد بأي اتجاه أو عقيدة أو مبدأ، ولقد لجأ إلى القاهرة خلال المد الشيوعي، وكانت معاداة الشيوعية في ذلك الوقت أمراً مشتركاً لجميع العناصر اليمينية والقومية العربية اليسارية على حد سواء.

ويتساءل كذلك (بعض) المراقبين السياسيين عن مقابلة عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء ظهر يوم الأحد 10 نيسان 1966- أي قبل حادث الطائرة بثلاثة أيام- المستر أندرسن- وزير المالية الأمريكي الأسبق، والضالع في المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) وعن الاحاديث التي دارت بين الطرفين، وهل لها علاقة بموضوع (غياب) الرئيس عبد السلام محمد عارف؟!

وتساءلت مجلة (الحقوقي) الناطقة بلسان جمعية الحقوقيين العراقيين، في عددها الخامس الصادر في الأول من عام 1967 تحت عنوان: "لماذا لم يركب محمد ناصر طائرة الموت؟" قائلة:

"أزداد تساؤل الناس- بعد أن صدر العدد الرابع من "الحقوقي" عن أسباب عدم ركوب الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والأرشاد في حكومة البزاز المقالة- الطائرة المشؤومة التي أودت بحياة الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف وصحبه الأبرار.. في حين أنه كان مقرراً له أن يكون بمعية رئيس الجمهورية في جولته التفقدية هذه إلى جنوب العراق.. خاصة وأنه من أبناء تلك المنطقة...!

وأنطلقت هذه التساؤلات يتردد صداها في كل المجالس والأندية.. وفي كل مكان..!

وفي مجلس ضم الدكتور محمد ناصر ورئيسه السابق السيد البزاز ولفيفا من أصدقائه... أجاب (أبو علي) بكلمات مهزوزة قائلا:

- لعل الناس لا يعرفون السر الذي دفعني لعدم ركوب الطائرة مع رئيس الجمهورية.

فقد وقعت بيني وبين المرحوم عبد الله مجيد سكرتير رئاسة الجمهورية- آنذاك- مشادة، حيث أنه وجه له لي كلاماً، كان ينبغي إلا يوجه لمثلي كوزير..

فقد قال لي بلهجة الأمر: قل لجماعتك- ويقصد مصوري التلفزيون ومندوبي الصحف والأذاعة- أن يتقدموا الركب..

فما كان مني إلا وانسحبت من الركب محتجاً على ذلك..!!

. هذا ما قاله الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد في حكومة البزاز السابقة عن سبب تخلفه عن ركوب الطائرة المشؤومة...

(والحقوقي) لا تريد أن تناقش هذا الادعاء، وهذه القصة الساذجة الصادرة عن الدكتور محمد ناصر، ولا سيما أن الطرف الثاني وهو المرحوم عبد الله مجيد قد ذهب للقاء ربه..!!

ولا تريد (الحقوقي) أن تكذب هذا الادعاء في هذا العدد..

وإنما تطالب (الحقوقي).. بل ويطالب الشعب العربي في كل مكان أن ينشر التقرير القضائي الذي قدمته الهيئة التحقيقية الخاصة في هذا الصدد..

وعندئذ.. سيظهر كل شيء على حقيقته].

ونشرت أيضا مجلة (الحقوقي) في نفس هذا العدد، وتحت أطار بارز بعنوان "تقرير خطير يؤكد (أهمال) حكومة البزاز و(تقصيرها)"! قائلة:

"رفعت لجنة التحقيق الخاصة التي قامت باجراء التحقيق الموضعي الشامل في حادث سقوط طائرة الهليكوبتر المشؤوم الذي أودى بحياة الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف وصحبه الابرار- تقريرها إلى الجهات الرسمية العليا.

وقد تضمن التقرير معلومات على جانب كبير من الاهمية والخطورة تدلل على مدى "الاهمال" و"التقصير" الذي ارتكبته حكومة البزاز والذي أدى إلى هذه الكارثة..

و(الحقوقي) ترجو بالحاح أن ينشر هذا التقرير الهام ليطلع عليه الرأي العام. ولتظهر الحقائق ساطعة في موضوع ظل يشغله طويلاً، وسيظل يشغله حتى يعرف خفاياه وتفاصيله.]".!

ولم ينشر عبد الرحمن البزاز- في وزارته الثانية، في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف التقرير القضائي الذي رفعه رئيس الهيئة التحقيقية الحاكم (القاضي) سالم محمد عزت- إليه، بل ضرب عليه "السرية التامة"!

وتروي لنا السيدة وفاء عبد السلام محمد عارف بأن والدتها قالت لعبد الرحمن البزاز عندما جاء مع زوجته (أم عامر) لتعزيتها:

- جاي اتعزيني يا عبد الرحمن، وأنت وراء قتل زوجي.. روح.. ما أريدك تموت موت الله يا عبد الرحمن.. أشوفك بعون الله إينكطولك!! (أي: يشربوك الماء نقطة نقطة)!!

وتضيف السيدة وفاء: وهذا ما حدث فعلاً للبزاز في أواخر أيامه فقد أخذ الأطباء يشربوه الماء نقطة نقطة..!!

أما الدكتور جابر عمر، فيؤكد أن لديه قناعة تامة بأن حدوث بعض الأحداث الكبرى في وقت يسبق الصراعات الدولية المهمة، لم تكن صدفة، أو بنت وقتها، وإنما- في اعتقاده- أنها أعدت قبل ذلك، كي لا تعرقل سير الصراعات المرسومة. فيلاحظ مثلا، أن مصرع الملك غازي قد حدث قبيل إعلان الحرب العالمية الثانية. إذ أن الملك غازي- كما كان معروفاً في ذلك الوقت- كان يسير على أسلوب خاص به، ولا يخضع لمخطط السياسة البريطانية في العراق. وبقاؤه بهذا المركز السامي الرفيع، وبهذا الوضع- يكون خطراً كبيراً على علاقة العراق ببريطانيا عندما تعلن الحرب..

ويضيف الدكتور جابر عمر: وحادثة عبد السلام عارف، تشبه إلى حد كبير حادثة الملك غازي، إذ أن الدول الكبرى وربيبتهم إسرائيل خططت لحرب الخامس من حزيران 1967. ولو بقي عبد السلام عارف على رأس الحكم في العراق يتمتع بالسلطة الأولى فيه، وأنه غير خاضع أيضا للاتجاهات السياسية المألوفة، لاسيما وأن حرب حزيران تعتبر لديه التحدي الأول للقومية العربية ولرئيسها جمال عبد الناصر. فعبد السلام عارف- كما هو معروف عنه- لا يمكنه إلا أن يسير مهما كانت الظروف، في الاتجاه القومي، ويكون حتماً سنداً للجمهورية العربية المتحدة، وبذلك يكون خطراً كبيراً على سير الأحداث، ومعرقلاً للمخطط المرسوم، فازالته أصبحت ضرورة ملحة قبل قيام حرب حزيران 1967!!

ويؤكد لنا فيصل حسون- نقيب الصحفيين، المرافق للرئيس عبد السلام محمد عارف في رحلته المشؤومة بأن عملية سقوط طائرة الهليوكوبتر ومصرع من فيها- لم تكن قضاءً وقدراً "إذ لم تكن هناك عاصفة ترابية شديدة تسقط طائرة- كما ورد في تقرير وكالة الأنباء العراقية"!

ويقول فيصل حسون أن رئيس محكمة استئناف البصرة، رئيس الهيئة التحقيقية، استدعاه بعد شهر من وقوع الحادث، وسأله عما إذا كانت هناك عاصفة ترابية قد هبت واسقطت طائرة الرئيس، فكان جوابه بالنفي.. وعلى أثر ذلك طلب رئيس الهيئة التحقيقية من كاتب الضبط الذي سجل أفادته، أن يقفل المحضر، ويسجل جملة "وختمت أقواله"!

ويعزو فيصل حسون أن وراء هذا الحادث كانت قوى كبرى "إذ أن هذه القوى كانت تمهد للخامس من حزيران 1967، وهي التي أرادت أن تخلي الساحة من أية قوة يمكن أن تعرقل تنفيذ المخطط المزمع تنفيذه في 5 حزيران، ظناً منها بأن الرئيس عبد السلام محمد عارف كان صادق الولاء في علاقته مع الرئيس جمال عبد الناصر.

وفي قناعة فيصل حسون الشخصية- كما يقول: هي أن عبد السلام بالرغم من عدم محبته لعبد الناصر في أيامه الأخيرة، وابتعاده عنه، فإن موقفه، لو قامت حرب 5 حزيران- التي أتفقت عليها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، سوف يكون موقفاً مختلفا عن موقفه الأخير على الأقل لاثبات ادعاءاته بأنه وحدوي، وأنه ضد القوى الاستعمارية.

وعليه فأن الراغبين في (إزاحة) عبد السلام محمد عارف وغيابه عن المسرح السياسي والقومي هم: الأمريكان والإنكليز والصهاينة].

ويؤيد عبد السميع محمد عارف- الشقيق الأكبر للرئيس عبد السلام- هذا التكهن، ويضيف بأن (أبو ناجي) الإنكليز- وشركات النفط، واليهودية العالمية، كانوا وراء مصرع شقيقه!

أما شقيقه عبد الرحمن محمد عارف- الذي خلفه في رئاسة الجمهورية فقد أكد في تصريح له لوكالة أنباء الشرق الأوسط أدلى به يوم الأثنين 18 نيسان

1966 "بأن استشهاد شقيقه كان قضاء وقدراً ولكن الرجعية تحاول أن تصور الحادث على أنه (اغتيال). كما نفى أن يكون الحادث مدبراً)!!

**

ويحدثنا فيصل حسون، نقيب الصحفيين حينذاك، المرافق للرئيس عبد السلام محمد عارف عن "رحلة الموت" قائلا:

عندما قيل لي: ينبغي أن تستعد للسفر إلى البصرة، مع بعض الزملاء لنرافق الرئيس عبد السلام محمد عارف في رحلته.. لم أتردد في قبول الطلب، لأنني كنت أقدر أن هذه الرحلة قد تتحول بالتالي إلى فترة استجمام استطيع أن أنتزعها من متاعب العمل.

والبصرة أثيرة عندي، حبيبة إلى قلبي. وأهلها يحتلون من نفسي أرفع منزلة منذ عرفتهم في أول زيارة قبل تسعة عشر عاماً.

وقيل لنا أنكم ستسافرون بالقطار.. لأن طائرة الخطوط الجوية العراقية المسافرة صباح الأثنين 11-5-1966 ليس فيها مقعد واحد خالياً!

وأصررت على أن نسافر بالطائرة..

ثم دبر الأمر.. وفي المطار التقيت بالعميد المهندس عبد الهادي الحافظ الذي قال: إن الصحفيين انتزعوا من مهندسي وزارة الصناعة مقاعدهم في الطائرة.. بحيث اضطر المهندسون إلى التوجه للبصرة بالسيارات.

وكان معنا في الطائرة الاستاذ إبراهيم الولي رئيس تشريفات رئاسة الجمهورية بالنيابة والرائد عبد الله مجيد والعميد المهندس جهاد أحمد فخري.

وعندما وصلنا البصرة كان في المطار بين المستقبلين اللواء الركن عبد المجيد سعيد مدير الموانئ العام والاستاذ محمد الحياني متصرف لواء البصرة.

وبعد أن توزعنا على غرفنا في فندق شط العرب، غدنا إلى الالتقاء حيث جلست مع محمد الحياني وعبد الله مجيد وهما يناقشان منهاج زيارة رئيس الجمهورية للبصرة.

وعرفت من نقاشهم أن المنهاج قد تعرض للتعديل والتبديل أكثر من مرة..

وحاول عبد الله مجيد أن يدخل تعديلاً أساسياً عليه في ليلة بدء الزيارة.. لولا أن الحياني، أكد بأن الترتيبات قد اتخذت لتنفيذ المنهاج المطبوع، وأنه ليس بالمستطاع، إجراء أي تعديل فيه!

وبدعوة من المتصرف تناولنا الغداء في إحدى البساتين الجميلة على ضفاف نهر مهيجران قرب أبي الخصيب..

وانتهزت الفرصة لأحدث الحياني عن حاجة الصحفيين في البصرة إلى أرض لبناء دور سكن لهم عليها..

ولم يكن الرجل بالمتردد حين أكد أنه مستعد لتلبية الطلب، حالما يصله من نقابة الصحفيين رسمياً، وفرحت للاستجابة السريعة الحاسمة.. وابلغتها إلى بعض إخواني من الصحفيين البصريين!

وفي المساء تناولنا العشاء بدعوة من الزميل الاستاذ عبد العزيز بركات.

وقد وصل العميد زاهد محمد صالح دار الزميل متعباً من رحلة إلى القرنة والأهوار القريبة منها، حيث قام بتفقد المناطق التي سيزورها رئيس الجمهورية.

وسمعت الرجل وهو يقول بأسى:

– أحسب أن هذه الرحلة ستكون مرهقة جداً... أن المنهاج يشير إلى أن تناول طعام الغذاء سيتم في الواحدة والنصف..

في حين أنني لا أتوقع- بعد أن تجولت في المنطقة، وحسبت الوقت الذي سنقطعه في التجوال- أن يتغذي السيد الرئيس قبل الساعة الخامسة!

وبهتنا جميعاً لهذا القول.. كيف يمكن أن يكون الغذاء في الخامسة مساء، بينما ينطلق الموكب من البصرة قبيل الساعة الثامنة والنصف صباحاً؟! ولماذا كل هذا الأرهاق؟! وما هي بواعث إعداد مثل هذا المنهاج المتعب؟!

وكان الحياني يستمع للملاحظات التي ابديناها جميعاً ويبتسم.

قال: إنني أعتقد أن تقديرات العميد زاهد مبالغ فيها.. فربما استطعنا تناول الغداء في الرابعة والنصف!

وأعتبرناها نكتة..

أذن صحيح..أن الرحلة ستكون مرهقة جداً.. فلماذا؟ وأجاب الحياني:

- إن أهالي الأهوار، يحلمون بزيارة رئيس الجمهورية. إنهم لا يريدون شيئاً، ولم يخطر ببالهم في يوم من الأيام أن يزورهم رئيس الدولة.. وهم لذلك حريصون على أن تشمل هذه الزيارة مختلف مناطقهم، ولن نستطيع أن نختصر من المنهاج، لهذا السبب..

وبما عرف من العميد زاهد من أدب جم، قال:

- حقا لقد لمست هذه المشاعر من الناس، وكنت أتوقع أن لهم مطالب، ولذلك فهم يريدون أن يلتقوا برئيس الجمهورية..

وعندما سألتهم عن مطالبهم، قالوا: لا نريد شيئاً، سوى أن نرى الرئيس.

وهززنا رؤوسنا، حيرة: كيف يمكن التوفيق بين هذا الواقع، وبين متطلبات أن يكون المنهاج نظامياً؟!

ثم سمعت الحياني يقول:

- اتركوا الأمر إلى الله، وسترون عندما تشهدون حفاوة الناس برئيس الجمهورية، إنني على حق!

وانتهى العشاء، وغادرنا العميد زاهد مسرعا إلى اجتماع يعقده مع بعض المسؤولين لدراسة متطلبات الأمن المتصلة بالزيارة.

وفي صباح اليوم التالي الثلاثاء 12-4-1966 كان مطار البصرة يغص بالمستقبلين.

ورغم أن الحضور كان رسمياً بحيث لا يسمح لغير حاملي البطاقات بالدخول، فأن الذين تسربوا إلى مبنى الفندق، ومنه إلى الحدائق كانوا أكثر بكثير مما قدر المسؤولون.

وهبطت طائرة رئيس الجمهورية، وأطلقت المدفعية طلقات الاستقبال.. وجرت المراسم حسب المنهاج. ووقف الرئيس يتلقى تحيات مستقبليه ويصافحهم فرداً فرداً..

ومن مبنى الفندق انطلق الموكب مسرعاً.

وكانت الجماهير تحتشد على طول الطريق.. تحيي تصفيقاً وهتافاً.

وكانت البصرة مزدانة زينة العيد.

ووجدت أن من الصعب أن نمضي مع الموكب وفق المنهاج الرسمي.. مروراً بالبصرة، ثم انعطافاً على الزبير، ودرجة الحرارة، قد بدأت بالارتفاع، بسبب الريح الشرقية التي هبت على البصرة ذلك اليوم.

وأنعطفت بنا سيارة رئيس التشريفات بالنيابة إلى الموقع العسكري الذي تقرر إقامة جامع الشهيد جلال أحمد إسماعيل فيه انتظاراً لوصول موكب الرئيس.

وانتظرنا أكثر من ساعة تحت السرادق المعد وسط الأرض الجرداء، نبترد حيناً بالماء، وحيناً آخر بالمرطبات.. حتى جاء الموكب، وعندما دعى الرئيس لارساء الحجر الأساسي للجامع، كنا نعود ثانية إلى السيارة لنسبق الموكب إلى موقع البصرة، حيث التقى رئيس الجمهورية بضباطه ومراتبه، ووقف يلقي فيهم أول خطاب له في تلك الرحلة.

وقبل أن يتوجه الموكب إلى القاعدة البحرية، كنا- مع رئيس التشريفات بالنيابة- نسبقه إلى نادي الضباط، حيث تجمع المدعوون لتناول الغداء مع رئيس الجمهورية، بدعوة من آمر الموقع.

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عندما أقبل الموكب.. وشعر الرئيس أنه تأخر على المدعوين، وأنه لو صعد إلى بهو النادي، فسيؤخر تناولهم الغداء فترة أطول.. فصاح بالذين وقفوا على شرفات النادي لاستقباله: إن على من يريد أن يتغذى.. أن ينزل، فلا مجال للانتظار..

وتناولنا الغداء.. في حدائق النادي، وتحت شمس البصرة التي بدأت تؤذى من يصطبر عليها.

وشعرت بالتعب.. خصوصاً وأن المنهاج يفترض أن يغادر الموكب نادي الضباط إلى البصرة فأبي الخصيب، حيث يوضع الحجر الأساس لمعمل الأسمدة الكيمياوية.. ثم يحضر رئيس الجمهورية احتفالاً آخر، قبل أن يتوجه في المساء إلى الزبير لحضور حفلة العشاء التي يقيمها أهل تلك المدينة العربية تكريما للرئيس.

وملت على أذن أحد الزملاء، لابلغه قراري بالتخلف عن مرافقة الموكب لأخذ قسطي من الراحة. على أن نلتقي في الزبير، في المساء.

ورأيت سيارة مدير الموانئ العام تسبق سيارتي بمغادرة النادي.

وفي الفندق أمضيت فترة القيلولة، ثم جاء أحد الأصدقاء ليصطحبني بسيارته إلى مكان الدعوة قرب الزبير.

ورغم أن الموعد، كان الساعة السابعة إلا أن الحاضرين، وجموع المواطنين قد وصلوا إلى هناك قبل ذلك بكثير..

وعندما وصلنا، كان الموكب لم يصل بعد، فجلسنا ننتظر.

وجاء اللواء الركن عبد المجيد سعيد، فدعاني إلى مشاركته الجلوس على أريكة واحدة.

وسألته عن الموكب، فقال إنه فارقه منذ أنتهى الغداء في نادي الضباط. وأنه رأى أن المنهج مرهق بشكل غير معقول، ففضل الذهاب إلى داره، وهو يعود منها.

وتحدثنا عن منهاج الغد، وذكرت له ما سمعته من زاهد والحياني.

وقال لي مدير الموانئ العام بانفعال أنه أساساً غير راض عن منهاج الرحلة كله، بسبب حشده بالفعاليات التي لا مبرر لها. وأضاف أنه لذلك لن يحضر غدا إلى الهارثة للمشاركة في احتفال وضع الحجر الأساس لمعمل الورق، ولن يزور القرنة. ثم قال: أنه إذا كان الغرض من رحلة الغد للاطلاع على الطريق الذي يربط الهوير والخاص بالمدينة مارا بالأهوار، فأن رئيسين للوزارة، هما: الفريق طاهر يحيى والاستاذ عبد الرحمن البزاز، قاما بزيارة المنطقة والاطلاع على هذا الانجاز الذي حققته الإدارة المحلية.. ولا حاجة لزيارة رئيس الجمهورية.

وجاء الموكب..

واستقبل الرئيس، استقبالاً حافلاً..!

والقيت الكلمات والقصائد.. ثم وقف رئيس الجمهورية يلبي طلب الجماهير في أن يقول كلمة وتحدث عن شتى الشؤون.. وكان حديثه ارتجالياً. وعندما بدأ يستعرض التحركات الاستعمارية في منطقة الشرق الاوسط أشار بعبارة شديدة وقاسية إلى قيام الإنكليز بنقل قاعدتهم من عدن إلى البحرين.

وهنا تقدم منه الحياني وكان يقف خلفه هامساً بأذنه بعبارة لم يفهم أحد فحواها.. ولكن الرئيس لم يسكت عن التعليق عليها، بل إندفع صائحاً:

- ماذا يعني.. ليكن ما يكون

وعندما أدرك عبد السلام عارف أن السامعين لم يفهموا شيئاً قال مفسراً الموقف:

- يقول لي أن بين المدعوين بعض القناصل.. وماذا يهم، هل أنا أخاف منهم؟!

وشعر الجميع أن الجو قد تكهرب، إلا أن الرئيس مضى في خطابه وسط عواصف متزايدة من التصفيق.

وانتهى الاحتفال بتناول العشاء..

وقبل أن يغادر الموكب المكان، كنت أسبقه إلى الفندق، حيث رآني الرئيس جالساً في البهو مع الأخوين الاستاذين زكي جميل حافظ وإسماعيل خير الله وسألني: كيف وصلت قبلنا.. فقلت له: لقد غادرت قبل الموكب".

ويستمر فيصل حسون في سرد حديثه:

"ومع الصباح- يوم الأربعاء 13-4-966 صحونا، وقبل الساعة الثامنة والنصف كنا في السيارات متجهين إلى الهارثة فالقرنة.

وعلى طول الطريق، كان الموكب يستقبل بالحفاوة البالغة. أقواس تحمل

عبارات الترحيب وذبائح تنحر، وبيوت من الشعر أقامها أصحابها وأعدوا فيها القهوة العربية ليتناولها رئيس الجمهورية وصحبه.

وفي منطقة الهارثة، وعند المكان المقرر أن يوضع فيه الحجر الأساس لمصنع الورق أقيمت سرادقات كبيرة، وتجمع المواطنون حوالي الساحة الواسعة يهزجون ويدبكون ويرددون زجلهم وهوساتهم.

وكانت فرقة مدرسية لطيفة تقدم الحاناً شجية، على الآت الموسيقى، على نحو يستثير الدهشة والأعجاب..

والقيت الكلمات والقصائد، ثم قدمت الفرقة المدرسية بعض التابلوهات الفنية التي تمثل الجد والعمل وتحرر العامل والفلاح.. وعلى بركة الله وضع رئيس الجمهورية الحجر الأساس للمعمل الكبير.

ثم انطلق الموكب ثانية متجهاً نحو القرنة، وكان الفرسان على جانبي الطريق يواكبونه بخيولهم الراكضة، هازجين فرحين.

وعلى العادة، فقد قررنا أن نسبق الموكب، حيث يذهب. وسارت سيارة رئيس التشريفات بالنيابة، إلى القرنة، فالهوير، بينما تخلف الموكب في زيارة لأحدى مناطق الأهوار:

وجلسنا ننتظر في بيت القصب الضخم الذي سيستريح فيه رئيس الجمهورية عند وصوله إلى قرية الهوير الكبير.

وكان صاحب البيت الحاج جمعة العبادي قد أعد في مضيفه كل أسباب الراحة. وعقل أمام البيت جملاً لنحره- مع مجموعة كبيرة من الخراف- تكريماً للرئيس. وعلى منضدة طويلة وسط البيت وضعت أطباق الفاكهة بأنواعها.

وعندما وصل الموكب كانت القرية كلها تخرج لاستقباله، بنسائها ورجالها، بشيوخها وأطفالها..

وشق الرئيس طريقه إلى بيت القصب الجميل بصعوبة بالغة..

وعندما استقر في مكانه من صدر البيت، قال موجها الكلام لي:

– أكنت تتصور أنك سترى في هذا المنأى بشراً.. إلا يجب أن نبدأ بالعمل من أجل هؤلاء المواطنين من هنا؟ إلا يكفينا رفع شعارات..؟

ورغم الحر، ورغم الغبار الذي ملأ أنوفنا، وكوَّن طبقات سميكة فوق جلودنا، فأن الرئيس كان يبدو في منتهى السعادة، للقائه بمواطنيه من أهل الأهوار..وقبل تناول الشاي، مد رئيس الجمهورية يده إلى ليمونة، وراح يمتص ماءها.. مكتفياً بذلك من المقصف الذي اثقل بألوان الفواكه. وكان يتفقد الحاضرين، ويسألهم أن يتناولوا شيئا مما حفل به المقصف.

وعندما غادرنا البيت، اجتمعت حشود المواطنين على مدخل المضيف. وراحت تطالب رئيس الجمهورية بأن يخطب، فوقف على سيارته المكشوفة، وراح يؤكد لهم بأن وجوده بينهم ضمان بأن مطالبهم ليست شيئاً عسير التحقيق..

. إنهم حين يطلبون تحويل قرية الهوير إلى ناحية، فهو لا يكتفي بهذا المطلب بل أكثر من ذلك، وأن العمل في جميع أنحاء القطر يجري من أجل الشعب دون تفريق أو تمييز.

ومن الهوير انطلقنا وسط الأهوار التي اخترقها الطريق الذي انشأته الإدارة المحلية. فأعادت به الحياة إلى هذه المناطق. وجعلتها تستشعر الآدمية بعد أن اتصلت بالعالم. وكانت قبل ذلك معزولة عنه تعاني آثار تلك العزلة تخلفا رهيبا. والتصاقا بالعصور البائدة في النصف الثاني من القرن العشرين!

ولم تستطع سيارتنا أن تنتظم في الموكب وهو يمضي نحو قرية (الخاص) فآثرنا العودة متجهين نحو ناحية المدينة. حيث كانت الزوارق البخارية بانتظار

رئيس الجمهورية وصحبه وحيث كان وجوه البلد في انتظار الموكب ليرافقوه في عبور نهر الفرات إلى المدينة نفسها.. وقد صعدنا إلى أحد الزوارق وأنطلقنا به عبر النهر حيث وصلنا النادي الذي سيلتقي فيه الرئيس بأبناء الناحية. وكان المواطنون رجالاً ونساء قد تجمعوا عند ضفة النهر وحول النادي على نحو لا يسمح بالمرور إلا بشق الأنفس.

وعندما عبر الموكب النهر استقبلته الجماهير بالتصفيق والهتافات. وقد آثر الرئيس- وقبل أن يتوجه إلى النادي- أن يطوف مشيا على الأقدام في أرجاء الناحية.. وبعد أن وصل النادي بدأ أحتفال جماهيري تحدث فيه مدير الناحية والقيت قصائد وكلمات، وعندما بدأ الرئيس بالقاء كلمته رأينا أن نسبقه في التوجه إلى القرنة وكانت الساعة قد تجاوزت الثالثة بعد الظهر.. وعبرنا الفرات ثانية سالكين الطريق الذي يشق الأهوار مرورا بالقرى المتناثرة على جانبيه حتى بلغنا القرنة، ووجدنا النادي (نادي الملتقى) يعج بالمدعوين انتظاراً لمقدم رئيس الجمهورية، وقال رئيس التشريفات لقائمقام القرنة عبد اللطيف الجبوري إننا سبقنا الموكب وأن عليكم أن تهيئوا الطعام استعدادا لوصول الرئيس.. وأجاب القائمقام بأن كل شيء جاهز.. وحين سيعبر الموكب النهر سأتلقى إشارة تلفونية ونقوم بما ينبغي.

وعند الساعة الرابعة والنصف سمعنا أن الموكب اقترب من النادي، ثم بدأت طلائعه بالوصول.

وأقبل الحاضرون على رئيس الجمهورية يهتفون بحياته ويحيونه بحرارة.. ويصافحونه فرداً فرداً..

وكان الزملاء من الصحفيين الذين لم يتح لهم أن يقصدوا المدينة أو يتجولوا في منطقة الأهوار، في حديقة النادي بانتظار الموكب.

وعندما لمحهم الرئيس عبد السلام سألهم: لماذا لم تحضروا.. لقد فاتكم أن تروا ما لن يتاح لكم رؤيته!

وددت أن يجلس ليستريح، وتقديرا منه لانتظار المدعوين الذين جاوزوا كل حد. فقد توجه الرئيس إلى موائد الطعام وهو يقول: لا أريدكم أن تتأخروا أكثر.. طبعا إنكم جعتم، فالساعة قد أصبحت الخامسة إلا ربعاً!

كان مكاني- على المائدة- في مواجهة رئيس الجمهورية.

ووقف يتفقد الذين حوله..

كان يقول لهذا أو ذاك، كلوا من هذا الطعام، أو تناولوا من ذاك الصنف.. أما هو فكان يكتفي بمشاغلة الحاضرين والتظاهر بتناول الطعام الخفيف.

والتفت إلى الزميل عبد العزيز بركات، وأوصاه بزملائه من الصحفيين، وقال:

- طبعا، ما داموا في البصرة فهم ضيوف عبد العزيز بركات.

وتناولنا جميعاً طعامنا بشهية. وكان الرئيس يبدو سعيداً غاية السعادة، فرحاً لا تتسع الدنيا لفرحته.

وبعد الفراغ من تناول الطعام انتحى رئيس الجمهورية مكانا من حديقة النادي محاذيا للنهر وجلس يتحدث مع عبد اللطيف الدراجي وجلس بجوارهما: مصطفى عبد الله وجهاد أحمد فخري وعبد الهادي الحافظ.

وقبل تناول الشاي طلب الرئيس أن يأتوه بسجادة ليؤدي فريضة العصر خاصة وأنه يحتفظ بوضوئه. وعندما تأخروا في إحضارها، قال: لا حاجة بها، فبالامكان إداء الصلاة على الأرض.. ولكن القائمقام أبي إلا أن يرافقه إلى إحدى غرف النادي، حيث أدى فريضة العصر الأخيرة!

وزحف الوقت.. وكانت الساعة الخامسة والنصف عندما جاء القائمقام يلتمس رئيس الجمهورية أن يحضر المهرجان الشعبي المقرر إقامته في ملعب القرنة.

وقال له الرئيس: ولكن الوقت أدرك، وأعتقد أنه ليس بوسعنا أن نتأخر عن الساعة السادسة، لأن الطيارين لا يستطيعون الطيران في الليل.

وسار الموكب نحو ساحة الملعب.

وهناك كانت الجماهير تطوق الساحة من جميع جهاتها، وكان المدعوون يجلسون تحت السرادقات.

وبدأ المهرجان، وتتابعت الكلمات والقصائد.

تكلم القائمقام، وأعقبه شاعر شعبي تحدث طويلاً عن الطيور والبلابل، قبل أن يتحدث عن مطالب القرنة. ثم ألقى أحد الشباب قصيدة قومية. وقدمت فرقة من إحدى المدارس رقصاً ايقاعياً مصحوباً بابتهالات دينية! وأخيراً جاء دور رئيس الجمهورية.

ولم أسمع عبد السلام عارف متدفقاً في حديث، كما سمعته في هذه المرة!!

كان منطلقا يعبر عن سعادته بلقاء الجماهير.. وكان سعيداً بالاستقبال الحار الذي لقيه في كل مكان.

وقال لهم بلغة بسيطة: أتظنون أننا عندما كنا نقوم بالثورات، كنا نريد لأنفسنا مكاسب معينة، وأننا كنا نكتفي بأذاعة البيان رقم (1) من مكاتبنا، إننا لم نثر إلا من أجلكم، وفي سبيل أن تغدو حياتكم غير ما كانت عليه.

ثم قال أنه يتمنى أن يعمل لا في سبيل تلبية المطالب التي عرضها المتكلمون فحسب وإنما ما هو أكثر منها.. حتى أنه يتمنى لو استطاع أن يزوجهم جميعاً.

وعندما كان يتحدث عن رغبته في العمل من أجل الشعب ارتفع صوت المؤذن من بعيد. داعياً إلى صلاة المغرب.. فاستبشر الرئيس وقال: إذا ارتفع الأذان فالحديث صادق إن شاء الله.

وأعتذر رئيس الجمهورية في ختام كلامه عن اضطراره للعودة إلى البصرة وقال: كنت أتمنى أن أبقى معكم وأن أتحدث اليكم طويلاً ولكن إذا بقينا، فالطيار لا يستطيع أن يطير وإذا بقينا فكيف نستطيع أن نقوم بواجباتنا غداً، وأمامنا منهاج حافل آخر؟

ويدأ الظلام يرخي سدوله.. ولمحت ساعة يدي فإذا بها تقترب من السابعة إلا ربعاً! وراح الرئيس يلوح للجماهير بيده مودعاً، وكانت الجماهير تهتف له وتصفق وتلوح. وعلى جانب من أرض الملعب كانت تقف طائرات الهليكوبتر الثلاث.

وسار رئيس الجمهورية باتجاه الطائرات، بينما تدفقت الجموع تريد أن تودعه.

وعند مدخل الطائرة التي تقف في الوسط، وقف الرئيس يصافح مودعيه.. ولم يكن في حسبان أحد أنه كان يودع الوداع الأخير.

وصعد إلى الطائرة، بعد أن قال بصوت مرتفع قليلاً:

- في أمان الله...

ورد عليه الحاضرون:

- في أمان الله.

وصعد في الطائرة عبد اللطيف الدراجي ومصطفى عبد الله وزاهد محمد صالح وعبد الهادي الحافظ وجهاد أحمد فخري ومحمد الحياني وعبد الله مجيد..

وقيل لنا تعالوا إلى أحدى الطائرتين الأخريين، وصعدنا: بايز عزيز متصرف الناصرية والمقدم الركن قاسم حمودي وكيل آمر الموقع والمقدم الركن زكي الصائغ ضابط ركن الموقع وإبراهيم الولي رئيس التشريفات بالنيابة والمقدم فاضل مصطفى من ضباط الحرس الجمهوري وشاكر الغرباوي رئيس بلدية الناصرية وأحمد الحسو من موظفي القصر الجمهوري وعبد العزيز بركات وفيصل حسون.

وربطنا أحزمة مقاعدنا..

ولمحنا طائرة الرئيس- من خلال النافذة- تغادر أرض المطار باتجاه البصرة.

وبعد لحظات كانت طائرتنا تندفع وراءها تاركة الطائرة الثالثة المقرر أن تتبعنا!

وكانت هذه أول مرة اركب فيها طائرة هليكوبتر.

وبدأنا نتحدث عن الطائرة: لماذا تهتز، وهل أن كل طائرات الهليكوبتر هكذا؟

وكانت الأرض تبدو لعيوننا عندما أقلعنا بالأضواء التي تنتشر في القرنة.. ولكن الأضواء انقطعت بعد ذلك فلم نعد نرى شيئا.

ومرت الدقائق.. وسألت: كم من الوقت يستغرق طيراننا قبل أن نصل البصرة؟

وقال المقدم فاضل: خمس وعشرون دقيقة.

وكلما اهتزت الطائرة كنت ألمح الرعب على وجوه بعض الحاضرين الذين لم يتعودوا ركوب الطائرات كثيراً!

وسمعت الزميل بركات يقول: إن الطائرة قد استدارت.. فرد عليه أحد الحاضرين وأحسبه المقدم فاضل- مداعبا بقوله:

- لا.. رأسك هو اللي الدار!

وحدقت في الساعة فإذا بها قد تجاوزت السابعة وسبع عشرة دقيقة.

قلت: يبدو أننا على وشك الوصول.

وآمن الجميع على قولي.

وبدأت الأرض تبدو تحتنا.. نخيل.. وشوارع وسيارات!

وفجأة حطت الطائرة على الأرض بقوة وعنف.. أنزعجت لهما، فتساءلت: أهكذا تحط الهليكوبتر دائماً؟

فقيل لي: لا..

ونظرنا إلى الأرض.. إنها ليست أرض مطار البصرة.

وفتح باب الطائرة وفوجئنا بقائدها الملازم الأول الطيار منذر سليمان عزت يصيح بوجه المقدم فاضل:

- سيدي طيارة المشير تاهت.. وفوجئ المقدم فاضل، كما فوجئنا جميعاً، وقال:

- شلون.. وين تاهت؟

ونزلنا من الطائرة سراعا، ونحن نتساءل:

- أجل أين تاهت.. وكيف حدث هذا؟!

ورأيت الطيار يركض..

وهنا أدركنا أننا لسنا في مطار البصرة، وإنما نحن على أرض ملعب.. وتخيلنا في بادئ الأمر أن الطيار لم يستطع الهبوط في المطار، فاختار ملعب الجمهورية الذي لا يبعد كثيراً عن مطار البصرة.

ولكن، ما هذه الطائرة؟!

إنها طائرة الهليكوبتر الثالثة التي تبعت طائرتنا، فكيف وصلت قبلنا؟!

وقال قائل: لا نحن لسنا في البصرة، إننا في ملعب القرنة.

وتلفتنا حولنا نريد أن نتثبت من صدق القول، فإذا بنا حقا مرة أخرى في ملعب القرنة.

وعلى أرض الملعب كانت السيارات قد فتحت أضواءها تنير الأرض، عسى أن تهبط فيها الطائرة التائهة.. وحتى بروجكتور كاميرا التلفزيون كان يستخدم في أرشاد الطائرة.. وهرعنا خلف الطيار إلى منصة الخطابة التي كانت تتوسط الملعب، حيث كان هناك التلفون.

وأمسك الملازم الأول الطيار منذر سماعة التلفون يطلب الاتصال بمطار البصرة وببرج المراقبة في المطار ليبلغه أن الطائرة المقلة لرئيس الجمهورية قد فقدت اتصالها به وأن على المطار أن يحاول مساعدتها بإنارة المدرج.

وطلب من السيارات أن تواصل إنارة أضوائها وتسليطها على أرض الملعب.. بل طلب إشعال حرائق على أرض الملعب لتراها الطائرة المفقودة. وجيء بصفائح النفط، وأشعلت الحرائق ثم صعد البعض إلى سطح أحد المباني حيث أشعل النار فوقها، وراح يسكب النفط بدون حساب لإدامة النار مشتعلة وهاجة!

وبقينا نضرب أخماساً بأسداس..

ما الذي يجب عمله.. لا أحد يستطيع التفكير..

وقال الطيار إنه سيقوم بمحاولة لمساعدة الطائرة.

وصعد بطائرته، وحلق فوق الملعب، يرسل أشارات ضوئية ويحاول الاتصال لاسلكيا ولكن دون جدوى، وهبطت الهليكوبتر مرة أخرى على أرض الملعب.

وقال منذر وهو يروي للواقفين ماحدث:

- إنني تابعت الطائرة وكنا نسير خلفها وبعد أن باتت درجة الرؤية صفرا كنت أتصل بقائد الطائرة النقيب الطيار خالد محمد نوري فأدركت أنه فقد الاتجاه ولم يستطع مطار البصرة أن يؤمن له المعلومات اللازمة عن الاتجاه وكانت آخر كلمة- قبل أن ينقطع اتصالنا اللاسلكي- قالها لي: داد منذر إلحق لي آني رحت.

وقد حاولت عبثا أن أتصل بالطائرة بعد هذا.

وقال الطيار منذر وهو يملي على مقدم الجو خالد ناصر آمر القاعدة الجوية في البصرة آخر أخبار الطائرة المفقودة بالتلفون.

- أن الطائرة استدارت نحو اليسار (90) درجة بعد أن أخذت خط (148) ثم عادت فاستدارت نحو اليمين (90) درجة وبات خطها (146).

وصاح المقدم فاضل بالتلفون

- افعلوا شيئا.. حاولوا.

وكان على الخط في فندق شط العرب الاستاذ على نهاد مصطفى معاون المتصرف ثم الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والأرشاد الذي عاد إلى البصرة من الهارثة بعد حضور الاحتفال بوضع الحجر الأساس لمعمل الورق دون أن يواصل الجولة معنا.

ثم كان هناك اللواء الركن عبد المجيد سعيد المدير العام لمصلحة الموانئ الذي قال لي متذمرا: أنه لا يفهم كيف يوضع مثل هذا المنهاج المرهق الذي لامبرر له والذي أبى أن يحضره!

ومضى الزمن ساعة إثر ساعة ولا فائدة.. وقررنا عندئذ أن نتوجه إلى البصرة بالسيارات.

وفي فندق شط العرب كانت جموع المدعوين تتوافد لحضور مأدبة العشاء التي أقامها المتصرف تكريما لرئيس الجمهورية!

وبدأ الهمس.. بسؤال عن سبب تأخر عودة الرئيس؟!

ثم بدأ المدعوون يتناقلون (إشاعة) فقدان الطائرة ولا يريدون أن يصدقوها!

وعندما قطعوا الأمل في وصول الداعي والمحتفى به.. عللوا أنفسهم مرة أخرى بالأمل ثم تناولوا العشاء وانصرفوا قلقين.

أما الفندق فقد ظل خلية نحل.. اجتماعات تعقد بين الدكتور محمد ناصر واللواء الركن مجيد سعيد وكبار الضباط ورجال الإدارة والأمن واتصالات تلفونية تجري مع بغداد واستنفار للقوات المسلحة. ثم أنطلقت زوارق مصلحة الموانئ ومفارز الشرطة وسيارات الأسعاف إلى جانب مفارز الجيش الآلية تذرع المنطقة جيئة وذهاباً بحثاً عن الطائرة المفقودة. وحلقت طائرة تابعة لشركة النفط وعلى متنها طيار عراقي وآخر عربي وثالث هندي تبحث في المنطقة وتمشطها دون جدوى.

وفي طريقنا من القرنة إلى البصرة رأينا ضوءاً يسطع ثم ينطفئ وخيل لنا أنها الطائرة المفقودة تستنجد بالمارة، فبادلنا الاشارة باشارة ثم وقفنا في الطريق وبعثنا بسيارتنا إلى أقرب مركز للشرطة بينما استخدمنا سيارة لوري لتذهب إلى مركز شرطة آخر باتجاه مضاد.

وعندما كنا نقول لركاب سيارات اللوري والتكسي أن طائرة الرئيس مفقودة كانوا يصابون بالهلع ويبادرون إلى الاتجاه بسياراتهم صوب الهور علهم يساهمون بالانقاذ ودعواتهم ترتفع على السنتهم. وبعد تجربة مشحونة بالانفعالات وفي ظلام الليل البهيم اكتشفنا أن الضوء الساطع كان ينطلق من

مشحوف صيد كان يجوب الهور في تلك الساعة، ووصلنا الفندق لنعيش لحظات القلق والجزع. كنا في حلم مزعج لانريد تصديقه.

وجلسنا نعيش الحيرة ونحاول أن نتغلب على التعب والارهاق بفناجين القهوة.

لم يغمض لأحد جفن.. لأن الجميع كانوا يعيشون القلق الرهيب.

وشعشع الفجر بعد أن اتفق طيارو القاعدة الجوية على الانطلاق مع أولى دفقات النور بحثاً عن الطائرة.

ودق باب غرفتي في الساعة السادسة إلا ربعا وقال زميلي:

– لقد قضي الأمر.. أن الطائرة قد احترقت بمن فيها. وقد رأيت ذلك بأم عيني!

وكانت أحدى الطائرات الضخمة قد أقلت مع إطلالة الفجر تقل المقدم فاضل والزميل عبد العزيز بركات ومصور التلفزيون وجيه للبحث عن الطائرة المفقودة وكانت فعلاً أولى الطائرات التي اكتشفت حطام طائرة الموت!

وجاء جاري في الفندق على الفور يسألني عن الاخبار.. لم أستطع أن أحدثه بقصة طائرة الموت، لأنني لم أرد أن أصدق رواية الزميل!

وفي مكان لم يخطر على بال الذين عاشوا ليلة الفزع والرعب، وعلى مبعدة ستة عشر ميلا (لحو 25 كيلومترا) جنوب شرقي مدينة القرنة، وفي أرض قاحلة مستوية ليس فيها حفر ولا تلال تناثرت طائرة الموت حطاما ممزقا.. وتناثرت بجانبها، وعلى مقربة منها جثث ركابها وطياريها الأحد عشر.

لماذا اختار القدر للطائرة هذا المكان البلقع النائي الذي لازرع فيه ولا ضرع ولا يسكنه إنسان؟

تلك هي حكمة القدر الذي صنع الماساة، واختار لها المسرح الدامي في ذلك الخلاء الرهيب. إن المنطقة التي سقطت فيها الطائرة تقع في ناحية السويب شرقي شط العرب.. وهي على بعد أثنين وثلاثين ميلاً (نحو خمسين كيلومترا) من مدينة البصرة، وما بين هور الحويزة وهور السويب.

وتوجهت بالسيارات لجنة إنتدبها وزير العدل برئاسة السيد سالم محمد عزت رئيس محكمة استئناف منطقة البصرة لإجراء كشف على مكان الحادث والقيام بتحقيق قضائي عنه.

وعندما وصلت برفقة اللجنة حطت طائرة عسكرية قرب طائرة الموت، مقلة لجنة أخرى تم تأليفها برئاسة عقيد الجو الركن زيدان أحمد زيدان لاجراء تحقيق فني في أسباب الحادث وظروفه ووقفت معقود اللسان مشدوها أمام منظر طائرة الموت وقد تناثرت حطاما. وتمزقت أشلاء. وتاه فكري وأنا أرى بعيني صورة الكارثة المفجعة.

وكنت انتقل بين الجثث وبين حطام الطائرة، وآهات تنفجر بها القلوب من الضباط والجنود والعمال وسواق السيارات.

ورأيت ما لم استطع بعد أن أكذبه. رأيت الفاجعة مجسدة على الأرض.. وقد رسمها القدر مأساة لا يتصورها العقل!

ما هذا الذي على بعد ثلاثة أمتار من هيكل الطائرة؟

إنها جثة الرئيس عبد السلام محمد عارف منكفئا على وجهه وقد شبك يديه تحت صدره والتصق وجهه بالأرض..

يا الله كيف حدث هذا؟!

لقد كان الرجل قبل دقائق معدودات ملء القلوب والأبصار وكانت الحناجر تهتف له: "إحنا جنودك يا سلام..." و"عبد السلام محبوبنا مكتوب جوه

قلوبنا" فكيف به بعد دقائق يفترش هذا المكان من الأرض.. والنار القاسية تتناول أطرافه بالحروق الشديدة فتحول بعضها إلى ما يشبه الفحم؟!

لقد عاند الرجل الموت، وظل تحت المشنقة ينتظره الموت نيفا وثلاث سنين.. وها هو يعانده مرة أخرى ويظل يصارعه حتى تغلبه النار!

وعلى مبعدة أربعة أمتار من جثة الرئيس وإلى جانب حطام الطائرة من طرفها الجنوبي أنطرح مصطفى عبد الله طه، وقريبا منه كانت جثة عبد الهادي الحافظ، وعلى بعد نحو ثلاثين متراً كانت جثة عبد اللطيف الدراجي.

أما عجلات الطائرة فقد تناثرت على بعد يتراوح بين الخمسين والستين مترا، وكذلك كان حال مروحة الطائرة التي تمزقت وتناثرت هنا وهناك.

وبدأ التحقيق يثبت الوقائع ويرسم الخرائط ويشخص الجثث مستدلاً عليها بما كان يكتشف إلى جانب بعضها، في حين كان من السهل تبين جثث الرئيس والدراجي وعبد الله والحافظ وعبد الله مجيد.

والتقطت صور شمسية وتلفزيونية لموقع الكارثة وللجثث كل على انفراد. وعندما كان المحققون يبحثون عن الجثث قدروا أن بعضها، أو بعض أجزائها لا تزال تحت بقايا الطائرة فطلبوا من بعض مراتب الشرطة سحب هيكلها المحترق.. إلا أن الشرطة لم يستطيعوا تحقيق طلبهم عندما فوجئوا بأن الهيكل مازال يغوص في لجة من الجمر المتقد، وكانت الساعة آنذاك الواحدة والنصف بعد الظهر.. حتى لقد اضطروا عندئذ إلى استخدام جهاز كرين محمول على أحدى السيارات لسحب هيكل الطائرة من مكانه.

وكان يحضر التحقيق عدد من الضباط ومدير أمن البصرة، وقائد القاعدة الجوية فيها مقدم الجو الركن خالد حسين الذي روى كيفية سقوط طائرة الموت قائلا:

- إن العاصفة حين واجهت الطائرة أصيب قائدها بالهلع، وكان يخشى المسؤولية التي وضعت في عنقه حياة رئيس الجمهورية ورجال الدولة فارتبك ولم يستطع أن يتبين مدى ارتفاعه أو يقدر موقفه تقديرا دقيقاً، وحتى عندما استدار مرتين متعاقبتين لم يعد يعرف أين أصبح، وما مدى ارتفاعه، وقد أصطدمت إحدى عجلتي الطائرة- المرجح أن تكون اليسرى- بالأرض بحيث استتبع ذلك إصطدام المروحة وانفجار خزان البنزين وشبوب الحريق في جسم الطائرة التي ظلت مندفعة بعامل الاستمرارية ترتطم بالأرض ثم ترتفع عنها لتعود إلى الارتطام.. حتى استقرت في مكانها بعد أن تركت على الأرض طبقة من الرماد الاسود تمتد بطول خمسين متراً وعرض لايقل عن عشرة أمتار.

ولاحظت أن الرئيس عبد السلام محمد عارف كان متمنطقا بحزام الطائرة فوق حزامه الجلدي، وإلى جانبه استقر مسند مقعده المحترق. بينما جمع المحققون من جانب الجثة ومن جاكيت الرئيس الذي التصق بفعل النار مصحفا صغيراً ودفتراً للمذكرات وقلم حبر وبعض المفاتيح، وانتزعت من قميصه الأزرار..

أما الدراجي فقد وجد ضمن جاكيت بدلته الذي تحول إلى رماد والذي يبدو أنه خلعه قبل أن يلقى حتفه وإثر شبوب النار فيه- حيث وجد على بعد عشرة أمتار من الجثة- نسخة بالحجم الصغير من القرآن الكريم، وقلم حبر وعلبة سكاير مع مبسم- غليون- وبعض المفاتيح وأزرار القميص.

وعثر على خاتم زواج يحمل اسم السيدة شهبال وقد قيل أنها عقيلة مصطفى عبد الله طه. بينما عثر على سدارة زاهد محمد صالح العسكرية وعلامة ياقته الحمراء، كما عثر على هوية أحد العرفاء الذين كانوا في الطائرة. وعثر على حمالة مسدس يعتقد أنها من مخلفات العميد زاهد.

وتهادى في الصحراء رتل طويل من سيارات الإسعاف، جاء يحمل توابيت خشبية لتحتوي جثث الأحد عشر.

وبدأ تشخيص الجثث، شخصيا وعدليا.

ثم وضعت المحاضر الكاملة ورسمت مخططات الحادث، وأقوال الفنيين. وراح رجال الدين ينقلون كل جثة إلى تابوتها ويسجلون اسم صاحبها عليه، بعد أن يكفنوه ويجروا المراسيم الشرعية.

ونقلت الجثث بعد ذلك إلى السيارات ملفوفا كل صندوق بالعلم العراقي.

وسارت في مقدمة الموكب الجنائزي سيارة عسكرية تحمل حرس شرف.. واعقبت الموكب سيارة أخرى مماثلة.. ومضى الموكب الحزين يحفر بآثار مسيرته الأخيرة أرضاً شهدت بوحشتها مصرع النجوم وهم يتقلبون على الرمال في ليل بهيم حالك السواد.

وطواه القدر مشهدا مريرا.

وضاقت بي الدنيا على رحبها.

أهكذا ينهي القدر لعبته السمجة الحمقاء؟

أهكذا يتحول عيد البصرة الكبير، مأتماً حزيناً موجعاً؟

أللهم إنها حكمتك..

أللهم لا اعتراض..

وعند نهاية جسر هول القريبة من مطار البصرة، وقفت مع الجموع التي كانت تنتظر الموكب بعد أن فقد الجميع أعصابهم وراحوا يذرفون الدموع وينشجون بالبكاء دون تحفظ أو مراعاة للرسميات!

ويختم فيصل حسون حديثه قائلا:

وكما استقبل موكب رئيس الجمهورية قبل ثماني وأربعين ساعة، بطلقات المدافع، وبحرس الشرف وأنغام الموسيقى، فقد ودع موكبه، في الساعة الرابعة من مساء يوم الخميس الرابع عشر من نيسان 1966 وداعا حافلا!

واستعصت دموعي، وكأنها تحجرت في مآقي.. فرددت، ساخرا:

"وتقدرون.. فتضحك الأقدار!].

ويروي قابوس العاني مندوب جريدة (العرب) البغدادية المرافق للرئيس عبد السلام محمد عارف فيقول:

"ما كنت اتصور، وما كان زملائي الصحفيون يتصورون أن سفرتنا مع موكب الرئيس عبد السلام محمد عارف، إلى البصرة، هي آخر سفرة معه وماكنا نتصور، أن القدر بمثل هذه الضراوة والسرعة، يسطو على قائد الثورة، الرجل المؤمن المسلم.. لكن هذا، ما حدث..

فلقد كانت هذه الزيارة ذات وجهين، أو ذات صورتين.. أحدهما صورة الأفراح والأعراس التي عاشتها البصرة خلال ساعات قصار.. والاخرى هي صورة الأعراس التي تحولت إلى مآتم وأحزان..

إن كنت أنسى، فلن أنسى في حياتي تلك الصراحة المطلقة التي يتمتع بها الرئيس عبد السلام، والظاهرة على كل تصريحاته وخطبه..

قال الرئيس في إحدى خطبه، وبالأسلوب العامي: بأن (أبو خليل) مستعد دائما لأن يسحق رأس الاستعمار بالحذاء، ومادام رأس (أبو خليل) طيب، فلا مجال هنا للدساسين والمتآمرين والمستعمرين".

كانت هذه اللقطة في معسكر الشعيبة، القاعدة البريطانية الاستعمارية، التي انتزعها الجيش العراقي الشجاع من الإنكليز، وحوّلها إلى قاعدة وطنية تتحدى الاستعمار.

وفي أثناء وضع الحجر الأساس لمعمل الورق في الهارثة، قال الرئيس بأنه يرى في هذه العملية "ثورة رابعة" في حقل الصناعة والتنمية، تضاف إلى ثورات العراق التحررية.

وقبل وصول موكب الرئيس إلى القرنة، استقبل من قبل شباب "النشوة" وعشائر البومنصور.. وقد أبى الرئيس إلا أن يصل إلى مضيف شيخ العشائر المذكورة، بعد أن قطع طريقا وعراً شائكاً وسط الأهازيج والهوسات العربية المعروفة.

وقد أحتسى القهوة العربية مع الموكب في ذلك المضيف، وهو يشاهد رقصات ودبكات أبناء القبيلة التي تثير الحماس والغبطة إلى درجة كبيرة.. حتى أن محمد الحياني، متصرف لواء البصرة، لم يتمالك نفسه من المشاركة في الدبكة، كأي فرد من أفراد العشائر.

أصرّ الرئيس عبد السلام محمد عارف- وهو في القرنة- على الذهاب إلى حدود الجبايش، والعبور إلى المدينة على ظهر ماطور، للوقوف بذاته على أحوال سكان الأهوار هنالك، ولاشك في أن تلك المنطقة قد شهدت رئيساً يزورها لأول مرة.

وبعد الانتهاء من وجبة الغداء في القرنة، وحوالي الساعة الخامسة والنصف من عصر الأربعاء- يوم الحادث- أبدى عبد اللطيف الدراجي وزير الداخلية رغبته في إنهاء ما تبقى من مواد البرنامج المرسوم في القرنة، والعودة إلى البصرة. كما أبدى مسؤول آخر رغبة في الاستمرار على استكمال البرنامج، وهي الرغبة التي تحققت إذ تأخرت عودة الموكب ساعة ونيف، فكانت العودة مع هبوب العاصفة.

في مهرجانات القرنة، قال أحدهم للرئيس عبد السلام بأن القرنة أحوج ما تكون إلى كورنيش، وأنها موعودة به منذ زمن المرحوم ياسين الهاشمي، ولم يتحقق لحد الان..!

فأجابه السيد الرئيس بأنه سيوعز للمسؤولين بتنفيذ كل المشاريع الملحة، وأن الكورنيش سيكون هذه المرة (نقدي)..!

ويروي لنا محمد راضي جعفر أنه ألقى قصيدة في الاحتفال الذي أقيم في (القرنة) أثنى فيها على مواقف ومبادئ حزب البعث وأشاد بمواقف قائده (القائد المؤسس ميشيل عفلق)، وأن "عبد السلام محمد عارف امتعض من تلك القصيدة، وأضمر حقداً عليّ"...

ويؤكد محمد راضي جعفر أنه شاهد محمد الحياني متصرف البصرة يحاول الركوب في الطائرة الثانية، وأن الرئيس عبد السلام محمد عارف قد أجبره على ركوب طائرة الهليوكوبتر التي تقله، والتي سقطت بعد ربع ساعة واحترقت بمن فيها!

وجاء في تقرير أورده فؤاد الخليل مندوب وكالة الأنباء العراقية الذي كان يرافق عبد السلام محمد عارف في زيارته للواء البصرة أن الطائرة التي كانت تقله ومرافقيه قد عثر عليها في الساعة الخامسة والدقيقة العشرين من صباح الخميس في منطقة قريبة من قرية النشوة التي تقع على شط العرب، أي بعد فقدان الطائرة بحوالي عشر ساعات.

ويقول المندوب: في الساعة السابعة إلا عشر دقائق من مساء الأربعاء غادرت أرض ملعب الإدارة المحلية في القرنة ثلاث طائرات هليوكوبتر أقلت أحداها الرئيس ورفاقه، وكانت الطائرة الثانية تقل الوفد الصحفي المرافق له ونائب رئيس التشريفات ووكيل آمر الموقع ومتصرف الناصرية وبعض الضباط،

بينما كانت تقل الطائرة الثالثة مندوبي ومصوري التلفزيون والسينما والمسرح ووكالة الأنباء العراقية وبعض المرافقين.

وكان الرئيس قد حضر في القرنة احتفالاً جماهيرياً ضخماً لتكريم سيادته، ألقى فيه خطاباً ومازالت كلماته الأخيرة ترن في آذان أبناء الشعب وهو يدعو إلى الوحدة الوطنية لتكون انطلاقا للوحدة القومية ويدعو المواطنين إلى التآخي.. ومن بين كلماته الأخيرة أنه قد نذر نفسه لخدمة الشعب وكل ما يريده هو أن ترفرف السعادة في كل بقعة من هذا الوطن وأن يعم الأمن والاستقرار أجزاءه المختلفة لننطلق بعد ذلك إلى العمل والبناء.

وبعد عشر دقائق من إقلاع الطائرات الثلاث ومازال المودعون في ساحة الملعب عادت الطائرة الثالثة ومن بين ركابها مندوب الوكالة تحلق فوق سماء الملعب كأنها ريشة في مهب الريح، كان الظلام منتشراً والريح شديدة والغبار كثيفاً، وهبطت الطائرة بصعوبة بالغة ليروي ركابها الهلع الذي انتابهم خلال الدقائق القليلة التي عاشوها في الجو حين كانت الطائرة تعلو وتنخفض في عاصفة قوية حدثت بصورة مفاجئة.

وبعد دقائق أخرى عادت الطائرة الثانية التي تقل الوفد الصحفي وهبطت في الملعب بصعوبة أكبر وإذا بربانها يخرج من الطائرة وهو يصرخ بأعلى صوته أنه قد فقد الاتصال بالطائرة الأولى التي تقل السيد رئيس الجمهورية.

وما حدث في الملعب بعد ذلك لا يوصف فقد عقدت الدهشة ألسنة الجميع وخيم القلق عليهم لا يدرون ما يفعلون، واتصل الطيار تلفونيا بمطار البصرة يستفسر عن أخبار طائرة السيد الرئيس، لكن المطار لم يكن لديه أي خبر عن الموضوع.

ويقول الطيار أن آخر اتصال بينه وبين طائرة الرئيس كان سماع استغاثة

رددها ربان الطائرة النقيب الطيار خالد محمد نوري وهو يقول أنه لا يرى أي شيء على الأطلاق. وأن عاصفة ترابية مفاجئة قد هبت بعد دقائق من الطيران.

وكانت طائرة الرئيس قد أقلعت قبل الطائرتين الأخريين مما جعلها في وسط العاصفة حيث كان مدى الرؤية صفراً بينما عادت الطائرتان الثانية والثالثة قبل أن تدخلا قلب العاصفة وكان المفروض أن تقلع الطائرة الثالثة التي كانت تقل المصورين قبل طائرة الرئيس وكان من الممكن أن تدخل هي في قلب العاصفة لكن ما حدث كان العكس.. وبين هرج الناس ومرجهم طلب أحد الطيارين أن تشعل النيران في أرجاء الملعب وبقربه وتشعل أضوية السيارات كافة لعل طائرة الرئيس تهتدي إلى الملعب وتستطيع أن تهبط.

وقد تم ذلك على الفور وأصبح الملعب شعلة مضيئة وكان يمكن للطائرة لو كانت فوق الملعب أن تراها رغم كثافة الغبار.

وبقي الاتصال بين القرنة ومطار البصرة مستمرا وعلى الفور تم ابلاغ الدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والارشاد بالأمر. وكان الدكتور ناصر وهو ضمن الوزراء المرافقين للسيد الرئيس قد تخلف عن مرافقته في زيارته للقرنة إذ قام بزيارة تفقدية لسير العمل في تشييد محطة تلفزيون البصرة.

وقام الطيار بمحاولة جريئة وجديدة للاتصال بالطائرة المفقودة فحلق مرة أخرى في ذلك الجو ولكن المحاولة كانت بدون جدوى.

وفي مطار البصرة وعلى الفور أجرى السيد وزير الثقافة والارشاد اتصالات بالمسؤولين في اللواء ومدير الموانئ العام كما اتصل بالاستاذ عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء لاطلاعه على فقدان الاتصال بالطائرة واتخذت في البصرة إجراءات فورية واسعة فقد انتشرت سيارات الجيش والشرطة والأمن في مختلف انحاء اللواء وفي كل مكان يمكن لطائرة هليوكوبتر أن تهبط فيه. وخرجت

الزوارق البخارية في شط العرب وانتشر رجال العشائر في مناطق الأهوار يحملون الأضوية ويوقدون النيران عسى أن تهتدي الطائرة المفقودة وتسترشد بهذه النيران، كذلك قام وزير الثقافة والارشاد ومدير الموانئ العام وآمر الموقع وبعض الضباط بعقد اجتماعات استمرت حتى الصباح وجرى الاتصال بمخافر الحدود وأبلغ القنصل العراقي في (خرمشهر) وقيل أن طائرة هليوكوبتر تحمل شخصيات عراقية مهمة قد ضلت طريقها وسط عاصفة ترابية وربما تكون قد دخلت إيران.

وبعد مضي ساعة ونصف، ولما لم يستطع أحد الاتصال بالطائرة والتعرف على مكانها، فقد الجميع الأمل في أن تكون مازالت في الجو، غير أنه بقي هناك أمل في أن تكون الطائرة قد هُبطت اضطرارياً في مكان ما، وعلى هذا الأساس استمر البحث واستمرت النيران موقدة في أنحاء اللواء حتى الصباح.

وفي الساعة الخامسة والدقيقة العشرين صباحاً وفي منطقة قريبة من قرية (النشوة) في الجهة الشرقية من شط العرب عثرت أحدى الطائرات على حطام طائرة هليكوبتر فعادت على الفور إلى مطار البصرة حيث احيط وزير الثقافة والارشاد المسؤولين علماً، فارسلوا فوراً مفرزة من الشرطة إلى مكان الحادث، في حين أحيط السيد رئيس الوزراء الذي بقي في مكتبه حتى الصباح علما بذلك.

وفي المكان الحادث وجدت الطائرة محطمة تماما.. وكانت جثث الشهداء محروقة، لم يكن بالإمكان التعرف على معظمهم، غير أن جثة السيد الرئيس كانت واضحة المعالم.

وكانت ساعات الشهداء واقفة تشير إلى الساعة السابعة والدقيقة العاشرة، وهو وقت استشهادهم، أي بعد طيرانهم بعشرين دقيقة بالضبط.

وتشير الدلائل الأولى إلى أن الطائرة قد انفجرت بعد أن ارتطمت بالأرض، ولم تعرف تفاصيل دقيقة عن الموضوع.

وكان مع الرئيس في الطائرة عشرة من الذين رافقوا سيادته وقد استشهدوا جميعاً وهم السيد عبد اللطيف الدراجي وزير الصناعة والعميد زاهد محمد صالح المرافق الأقدم للسيد رئيس الجمهورية والسيد عبد الله مجيد السكرتير العام لرئاسة الجمهورية والسيد عبد الهادي الحافظ وكيل وزارة الصناعة والسيد جهاد أحمد فخري المدير العام لمصلحة الكهرباء الوطنية والسيد محمد الحياني متصرف لواء البصرة والنقيب الطيار خالد محمد نوري ونائب الضابط كريم حميد والعريف محمد كريم].

وقد أصدرت الحكومة- وزارة عبد الرحمن البزاز. صباح الخميس الرابع عشر من نيسان 1966 بيانا رسميا أعلنت فيه سقوط طائرة الرئيس عبد السلام محمد عارف ووفاته. جاء فيه:

[تنعى الحكومة العراقية مع مزيد من الحزن والاسى للشعب العراقي وللأمة العربية وللشعوب الإسلامية عامة السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف فقد سقطت به وبمن معه من الوزراء والمرافقين مساء أمس الطائرة التي كانت تقله من القرنة إلى البصرة بفعل عاصفة قوية أدت إلى سقوط الطائرة وتحطيمها واستشهاد السيد الرئيس ووزيري الداخلية والصناعة وبعض المرافقين. وفي الوقت الذي نعلن فيه هذا النبأ المفجع والحادث الجلل نضرع إلى العلي القدير أن يسكن الشهداء فسيح جناته ويلهم الشعب الكريم الصبر والجلد على تحمل هذه الصدمة المؤلمة بالصبر والايمان والثقة بالله والعمل الدائب من أجل المثل العليا التي لقى الرئيس الراحل ربه راضياً مرضياً من أجلها. وتعلن الحكومة إلى الشعب كافة بأنها تقدر مسؤولياتها في هذه الفترة العصيبة. وقد انيطت مهام السيد رئيس الجمهورية بالسيد رئيس الوزراء حسب

أحكام المادة السادسة والخمسين من الدستور المؤقت إلى حين انتخاب رئيس الجمهورية بمقتضى المادة 55 من الدستور التي تقضي بانتخاب رئيس جديد للجمهورية خلال أسبوع واحد من تاريخ خلو المنصب وذلك بأغلبية ثلثي المجموع الكلي لأعضاء مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني].

هذا.. وقد تلقى اللواء عبد الرحمن محمد عارف رئيس أركان الجيش وهو في موسكو على رأس وفد عسكري عراقي خبر مصرع شقيقه الرئيس عبد السلام محمد عارف على مراحل:

فقد طلب إلى الوفد العسكري أن يحضر إلى مقر السفارة العراقية في موسكو. وعندما وصل اللواء عبد الرحمن محمد عارف السفارة كتم أعضاء السفارة الخبر عنه. ثم بدأوا يلمحون له عن الحادثة!!

وفي هذه الأثناء استدعى المارشال مالينوفسكي وزير الدفاع السوفيتي اللواء عبد الرحمن محمد عارف إلى مكتبه.

وفي مكتب وزير الدفاع السوفيتي تلقى اللواء عبد الرحمن محمد عارف نبأ مصرع شقيقه بعد سقوط الطائرة فيه.

قدم الوزير السوفيتي التعازي باسم الشعب السوفيتي والحكومة السوفيتية.

وفي اليوم التالي، وعلى طائرة روسية وصل بغداد اللواء عبد الرحمن محمد عارف مع الوفد الحكومي السوفيتي الذي حضر للاشتراك في مراسيم تشييع الرئيس عبد السلام محمد عارف.

وفي القاهرة تلقت رئاسة الجمهورية أول نبأ يشير إلى احتمال وقوع حادث لطائرة الرئيس عبد السلام محمد عارف عند منتصف ليلة الأربعاء، في رسالة مستعجلة بعثت بها سفارة الجمهورية العربية المتحدة في بغداد قالت فيها: إن المعلومات التي تلقتها تفيد أن طائرة الرئيس العراقي مفقودة منذ بضع ساعات

وهي في طريقها من القرنة إلى البصرة. وقد أبلغت هذه المعلومات على الفور إلى الرئيس جمال عبد الناصر في الساعة الثانية عشرة والنصف وكان في طريقه إلى بيته بعد أن صحب الأمير صباح السالم الصباح أمير الكويت إلى قصر القبة.

وقد طلب الرئيس جمال عبد الناصر أن تظل القاهرة على اتصال مستمر مع السفارة في بغداد حتى تصل أنباء مطمئنة عن الطائرة. وظل الرئيس عبد الناصر ساهراً في انتظار وصول الأنباء.

وفي الساعة الثالثة صباحاً بعث القائم بأعمال السفارة العربية في بغداد برسالة ثانية قال فيها: إن المعلومات التي حصلت عليها السفارة من رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز تفيد أن هناك بالتأكيد حادثاً قد وقع، وأن القوات من الجيش والشرطة كلها في منطقة لواء البصرة في حالة استنفار للبحث عن الطائرة. وقد ابلغت هذه الرسالة على الفور إلى الرئيس عبد الناصر.

وفي الساعات الأولى من صباح الخميس اتصل الرئيس جمال عبد الناصر بالمشير عبد الحكيم عامر الذي كان على علم بالتطورات أولاً بأول.

وفي الساعة السادسة صباحاً سمع الرئيس عبد الناصر بنفسه النبأ من راديو بغداد.

وأذاعت أمانة رئاسة الجمهورية العربية المتحدة البيان الرسمي التالي:

[تلقت الجمهورية العربية المتحدة بالحزن العميق نبأ الحادث المروع الذي وقع للرئيس المشير عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية. ولقد هز النبأ المروع من الاعماق كل جماهير الشعب في الجمهورية العربية المتحدة التي أحبت عبد السلام عارف عن تقدير لدوره البطولي وإخلاصه المتفاني في خدمة أماني شعب العراق العظيم وقضايا أمته العربية الخالدة.

ولقد كان الرئيس جمال عبد الناصر يعتبر عبد السلام عارف رفيق جهاد

وصديقا وأخا وأنه ليشعر أن خسارة الأمة العربية مدعاة لاسف وألم يرجو الله أن يساعدها عليهما بالصبر والإيمان. وفي هذه اللحظات المفعمة بالمشاعر الحزينة فإن الرئيس جمال عبد الناصر وشعب الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد الاشتراكي والحكومة يتوجهون جميعاً إلى الشعب العراقي العظيم، أب التاريخ العراقي كله وأب الأبطال الذين جادوا بالحياة من أجل شرف النضال العربي دوماً وتحت اعلام معاركه المقدسة بالعزاء صادقاً وقلبياً، ولتكن رحمه الله رعاية من حول الجثمان الطاهر لشهيد العراق والأمة العربية وليحفظ الله شعب العراق مصدر القوة المتجددة والخالدة والأمل المرتجى للأمة العربية في مرحلة من أهم مراحل النضال وأدقها وأكثرها حسماً.

هذا وقد أوفد السيد الرئيس جمال عبد الناصر السيد صلاح الشاهد كبير الأمناء إلى سفارة العراق لإبلاغ عزاء سيادته وبالغ أسفه بمناسبة وفاة الرئيس الراحل].

أجرى الصحفي العربي محمود عبد الهادي المحرر بجريدة (الاخبار) القاهرية حواراً مع الطيارين اللذين نجوا من الموت، وكانا يقودان الطائرتين المرافقتين للطائرة المنكوبة وكتب يقول:

"الأول وهو منذر سليمان عزت. ملازم أول طيار. متوسط الطول تبدو على ملامحه آثار الأرهاق والتعب.

والثاني عثمان نوري علي، هادئ، متوسط القامة.

كان الأول عائدا لتوه من المستشفى.

وكان الثاني في مكانه بالقاعدة- قاعدة طيران الرشيد.

التقيت بالطيارين في قاعة الرشيد.

لم يكن الطيار موجودا. كان في أحد المستشفيات العسكرية. وجاء زميله الثاني عثمان، ليدور بيننا هذا الحديث السريع:

× متى تلقيت الأمر بالطيران إلى البصرة مع الرئيس عبد السلام عارف؟

- قبل الحادث بيومين تقريبا.

× ألم تحاول أن تعتذر؟

- حاولت..

× لماذا؟.. هل كان لديك إحساس بأن شيئا غريبا سيحدث؟

- أبدا.. لم يكن ذلك هو السبب.

× إذن ما هو السبب؟

- كانت زوجتي تستعد للوضع- الولادة.

× هل قبل اعتذارك؟!

- لا.. رفض المرحوم النقيب خالد محمد نوري، الذي أصدر لي الأمر.. رفض كل إعتذاري.

× هل لاحظت شيئا غير عادي على السيد الرئيس الراحل أثناء الرحلة؟

- لم يكن هناك شيء غير عادي، إلا لهجته في الحديث، كان يقول في كل خطبه وكلماته للناس.. إن شاء الله سنعمل كذا وكذا.. إذا عشنا، إن ما تطلبونه أقل مما نريد تحقيقه بكثير.. كان يعود من كل رحلة وملابسه كلها تراب، ووجهه مليء بآثار التعب، ورغم ذلك كان يرفض الراحة.

× ما هي معلوماتك عن اللحظات التي سبقت الحادث الرهيب؟

- اقلعت طائرة الرئيس، وأقلعت بعدها طائرة زميلي منذر. وكان المفروض أن أطير بطائرتي في نفس الدقيقة، ولكن الذي حدث هو أن أحد المحركات تعطل، واستغرق اصلاحه بضع دقائق..

× وبعدها طرت؟

- نعم...

× وأمامك طائرة الرئيس، وطائرة الملازم الأول منذر؟

- نعم.

× ثم ماذا؟

- طرت 15 دقيقة، ثم تلقيت أمراً بالعودة.

× ممن تلقيت الأمر؟

- من الملازم الأول منذر.

× ولماذا أمرك بالعودة؟

- لأن المرحوم خالد.. أمره.. أن يأمرني بالعودة.

× لماذا؟

- لسوء الحالة الجوية.

× وماذا فعلت؟

- رفضت العودة إلا إذا عدنا نحن الثلاثة.. يعني الطائرات الثلاثة، ولكن المرحوم خالد أصر على إعادتي تجنباً للخطر.. وبعدها حدث كل شيء.. مرت الدقائق.. والساعات وفوجئنا بالمصيبة الكبرى.

إن الملازم أول عثمان يترك الخيط لزميله منذر الذي عاش كل اللحظات بتفصيل يؤكد أنه عاش كل ثانية على أعصاب محترقة.

بقي أن تعرف أن الملازم عثمان قد عاد من هناك. من القرنة ليجد مولودا ينتظره. ولد المولود في قمة المأساة، أطلقت عليه العائلة اسم "محمد".

وقال الطيار منذر سليمان عزت: لم تكن تلك هي المرة الأولى التي أرافق فيها الرئيس الراحل الذي قمت معه بأكثر من عشر رحلات، مرت كلها بسلام.

× وما هي انطباعاتك عن الرئيس الراحل خلال هذه الرحلات؟

– السيد الرئيس كان يؤمن بالله إيمانا لا يزعزعه شيء.

كان يتحدى الموت، ويتحدى الخطر. كان يرفض مجرد الاستماع إلى تحذير من الخطر. منذ شهر كان سيادته في رحلة إلى كربلاء والنجف، مع نفس الطيار النقيب خالد، يومها أراد السيد الرئيس أن ينتقل من مكان إلى مكان، وكانت المسافة بسيطة، ويمكن قطعها بالسيارة، وهنا أشار عليه الطيار أن يقوم بركوب السيارة بدلا من الطائرة، لأن الأحوال الجوية لم تكن ملائمة. رفض الرئيس وأصر الطيار على الرفض. وهنا أمره الرئيس، وفعلا طار به ونزل في المكان المحدد ليبتسم عبد السلام عارف ويقول للطيار مداعباً: "يعني لم نمت.. يا خالد".

مرة أخرى.. حدث نفس الشيء. ووصل الأمر إلى حد الخطورة.. رفض الطيار، حتى لو قطعوا رقبته أن يغامر بحياة الرئيس، قال له أن الجو لا يسمح.. قرر الرئيس الراحل بأنه هو المسؤول، وأنه مستعد أن يكتب تعهدا على نفسه.. وهنا قال الطيار الراحل: إن حياتك ياسيدي ليست ملكا لك، إنها ملك لشعب العراق، وأنا أرفض التضحية"... هذه المرة وافق عبد السلام عارف على كلام الطيار.

هل تدري بعد ذلك؟.. لقد سقطت طائرة روسية كانت تقل عدداً من الخبراء في نفس الوقت الذي كان يوشك عبد السلام عارف أن يطير فيها. هنا

فقط قال عبد السلام عارف للنقيب الطيار خالد: "عندك حق"... هذه المرة رتب القدر كل شيء.

قال عبد السلام عارف للنقيب خالد محمد نوري:

- جاهز يا خالد؟!

ورد الطيار بأدب قائلا:

- نعم سيدي..

- على بركة الله.

ثم حدثت الكارثة!

وقال الملازم أول الطيار منذر سليمان عزت: تلقيت أمراً من النقيب خالد محمد نوري باعتباره آمراً للسرب الذي اتبعه، بالاستعداد للطيران إلى البصرة مع السيد الرئيس، كان ذلك يوم 11 من نيسان..

رتب كل شيء، طرنا إلى البصرة، قام الرئيس عبد السلام محمد عارف بجولاته في الأهوار، وهي المناطق الواقعة حول القرنة، وبقية القرى الموجودة في تلك المناطق.

كان الرئيس يلتقي بنا في بساطته وطيبة قلبه ليقول لنا: "كيف الحال.. مرتاحين" كنا جميعاً نبدى سعادتنا وارتياحنا لمرافقة السيد الرئيس في هذه الرحلة.

يوم الحادث، حوالي الساعة السادسة والدقيقة الخمسين بالتمام، كان كل واحد منا في طائرته، النقيب خالد محمد نوري في طائرة الرئيس، وأنا ومعي بعض المرافقين، أما زميلي عثمان محمد فكانت طائرته مكلفة بنقل عدد من الصحفيين ورجال التلفزيون.

وبعد 4 دقائق كنا في الجو..

تأخر عثمان قليلاً، لأن محرك طائرته كـان قـد تعطـل. ولكنـه طـار بعـدنا بأربع أو خمس دقائق.

كان المفروض أن نطير من القرنة، حيث أقلعنا، إلى البصرة.

لم نتلق تحذيراً من مطار البصرة عن سوء الأحوال الجوية.

وفجأة وجدت نفسي بالاشتراك مع المرحوم خالد، قائد طائرة الـرئيس في منطقة جيوب هوائية فظيعة. صار مدى الرؤية بعد ذلك صفرا.. الغبار والـتراب الاسود يملأ الجو بشكل فظيع.

اتصل بي قائد طائرة الرئيس وطلب مني أن آمر عثمان بـالعودة، ففعلـت. سمعته بعد ذلك يطلب من مطـار البصـرة أن يحـدد اتجاهـاً، لأنـه فقـد الاتجـاه. سمعت حواراً بين ضابط المطار والنقيـب خالـد. علـى الفـور اتصـلت بالمطـار، وتحدثت مع ضابط المراقبة بعنف، وقلت له:

- إلا تريد أن تفهم. النقيب خالد مع رئـيس الجمهوريـة. حـددوا لـه اتجاهـا بسرعة..

وكان رد السيطرة- المراقبة- لا توجد لـدينا أجهـزة لتحديـد الاتجـاه. ثـم حدث تداخل بين أصواتنا نحن الثلاثة: أنا والمرحوم خالد والمطار. ويشـاء الحـظ أن يتداخل معنا لاسلكياً صوت طيارة أخرى كانت تطير فـوق عابـدان بـإيران. كانت يتحدث بالأنكليزي. بعدها بلحظات، جاءني صوت خالد.. وسـط حالـة الرعب التي عشتها وعاشها الراكبون معي، قال لي النقيب خالد، وهـو يصـرخ: "منذر.. منذر عيني إلحقني.. أنا في خطر.. إفعل شيئاً..".

في نفس اللحظة هاجمني (جيب) هوائي، جعـل طـائرتي تـنخفض حـوالي الف متر، مدى الرؤية قليل جداً.. كانت المنطقة التي نطير فيها عبارة عن أهـوار.

كلها برك ومياه. حاولت البحث عن طائرة المرحوم على الفور.. اضطررت للعودة إلى القرنة من حيث اقلعنا.

طلبت من أهل المدينة اشعال النار فوق منازلهم. طلبت من بعض السيارات الموجودة أن تنطلق إلى كل الطرقات. كل ذلك ليهتدي الطيار المفقود ومع الرئيس.. بالنيران.. أو يرى نور السيارات.. ولكن لم تظهر نتيجة!

اتصلت تلفونياً بالبصرة، ومدير شرطة الموانيء، وآمر القاعدة الجوية في مطار الشعيبة، القريب من القرنة، للبحث عن الطائرة المفقودة. أعطيتهم التفاصيل كاملة عن كل شيء. كان ذلك في حوالي الساعة السابعة وعشرين دقيقة. وكنا قد طرنا في حوالي الساعة السادسة وخمسين دقيقة.

أخذت سيارة إلى البصرة. ومن هناك من المطار أحضُرنا خارطة ورحنا ندرس كل الاحتمالات، والأماكن التي يمكن أن تكون الطائرة قد هبطت فيها. أخذنا على الفور طائرة إنكليزية تابعة لشركة النفط.

أقلعت بنا الطائرة إلى المكان الذي انقطع فيه الاتصال بيني وبين طائرة الرئيس عبد السلام عارف، كانت المفاجأة التي جعلتني أعانق كل من حولي من الزملاء الطيارين الذين كانوا في نفس الطائرة. لقد رأينا نوراً على الأرض في نفس المنطقة. طلبت من الطيار أن يحاول الهبوط، فاستجاب لرغبتي..

ولكن، كم دهشنا حين تبينا أن النور الذي رأيناه كان منبعثاً من مركب في قلب النهر.

عادت الطائرة إلى فوق، وعدت إلى الدوامة الرهيبة. ثم عدنا مرة ثانية إلى القرنة. هناك كان زميلي الملازم الأول عثمان يحاول أن يتصل بكل الجهات المعنية. طرت مرة ثانية بطائرتي أخذت معي طبيباً وماء وزجاجات مياه غازية،

على أمل أن نعثر على ركاب الطائرة سالمين. كان ذلك في منتصف الليل. وكانت النتيجة هي نفس النتيجة: لاشيء بالمرة!!

في الصباح ظهر كل شيء.. لقد طارت 8 طائرات من الشعيبة، والبصرة وبغداد، لتبحث عن الطائرة المفقودة. ولقد تمكنت أحدى الطائرات بقيادة الرائد طيار محمد إبراهيم أدهم من العثور على الطائرة المفقودة.

عثرت عليها حطاماً..

بقية الصورة لا يمكن وصفها.. بعدها لم تتمكن طائرة الرائد محمد إبراهيم من الهبوط. لقد أعطت أشارات إلى مطار الشعيبة بأنها عثرت على الحطام. وطار إلى هناك على الفور طيار شاب أسمه مذكور.

عندما هبط إلى هناك، أصيب بحالة هستيرية، وراح يردد: "ماتوا.. سيدي.. ماتوا سيدي".

ولم يستطع الطيار الشاب أن يقف على قدميه. لقد هرع إلى طائرته، وهو يبكي بدموع ساخنة.

ويروي علي نهاد مصطفى- الذي كان في ذلك الوقت معاوناً لمتصرف (محافظ) البصرة، وهو من المسؤولين الذين ظلوا في مدينة البصرة، لتنظيم الاحتفالات فيها بعد عودة الرئيس عبد السلام محمد عارف إليها قائلا: "كان اليوم الثاني للزيارة، والطقس في البصرة رياح وذرات تراب، والمنهاج مزدحم يهد الأعصاب القوية. ويأتيني نداء هاتفي من فندق شط العرب، يسألني المشرف على إعداد العشاء: أين نضع موائد الطعام، والجو ملبد بالريح والتراب، فأجبته: كما قال لك المتصرف محمد الحياني، ضعه في حدائق الفندق، وقبل هذا لماذا لا تسأل الأنواء الجوية لتستطلع رأيها في الطقس؟!

ثم كلمني المشرف بعد ذلك وأخبرني بـأن الـريح والـتراب سينقشـعان في الساعة الخامسة مساءً.

ويبدأ المدعوون من المواطنين بالتقاطر على فنـدق شـط العـرب في المسـاء وكانوا مؤمنين بما لا يقبل الشك، من أنهم سيلتقون بالرئيس عبد السـلام محمـد عارف العائد من وسط الاهوار، ويأتي مع المدعوين أيضا مـدير المـوانيء العـام اللواء عبد المجيد سعيد، بعد أن سبقته إلى المكان لأكون في استقبال الوافدين.

ويضيف علي نهاد مصطفى: وبعد الساعة السابعة، بقليل، حصلت جلبـة وصياح، أثار انتباهي، وذهبت استطلع الأمـر فقيـل لـي: بـأن الأتصـال بطـائرة الرئيس قد قطع، وأن استغاثة سمعت من قائد الطائرة قبـل لحظـات.. وفي هـذه اللحظة، أحسست بالمسؤولية الملقاة على عاتقيّ. وأول عمل قمت بـه هـو أنـني بلغت مدير الموانيء العراقية ومدير الشرطة ووكيل موقع البصرة. واتفقنـا علـى أن نكتم الخبر عن بقية الحاضرين من المدعوين إلى حفلة العشاء، واتخذنا جملة من الإجراءات التي عسى وأن تعيننا على العثور على الطـائرة المفقـودة. ومـن هـذه الإجراءات إرسال برقية مستعجلة إلى القنصلية العراقية في عبادان، وأخبرت من أنَ طائرة تحمل شخصيات هامـة قـد فقـدت، ونخشـى أن ظلـت طريقهـا باتجـاه الحدود الإيرانية.

وما أن قاربت الساعة الثامنة، ولم نصل إلى شيء من أمر الطائرة المفقـودة، حتى بعثت ببرقية إلى مدير الداخليـة العـام أخـبره بفقـدان الطـائرة مـع اسمـاء ركابها. وهو أول تبليغ رسمي يصل إلى بغداد. وفي هذه الأثنـاء وصـل الـدكتور محمد ناصر وزير الثقافة والأرشاد إلى مطار البصرة، وأبلغ بالـذي حـدث. وقـام هو بدوره بالأتصال برئيس الوزراء عبد الرحمن البـزاز. وكـان الـزمن يجـري في دقائق وكأنها الدهر كله. ومضينا في سياسة كتم الأمر عن الآخرين. وقلـت لمـن سألني من المـدعوين بـأن الـرئيس ومرافقيـه قـد تـأخروا في القرنـة وأنهـم ربمـا

سيتناولون العشاء هناك، ودعوتهم إلى تناول الطعام. بعضهم صدق الحكاية، وبعضهم الآخر تسرب الشك إلى نفسه"!

وهنا يصف علي نهاد مصطفى لحظاته هذه أمام مائدة الطعام والمدعويين، وهو يعرف الحقيقة الخطرة، ثم يستمر في سرد الوقائع قائلا: "وانفض المدعوون كل إلى بيته. وبقيت أنا واللواء عبد المجيد سعيد والدكتور محمد ناصر، يلازم بعضنا البعض الآخر بانتظار وصول الأخبار وملاحقة الإجراءات الداخلية والخارجية. وقررنا أن نجعل من متصرفية البصرة مقراً لنا بدلاً من فندق شط العرب. وفعلا انتقلنا إلى بناية المتصرفية.

ويتذكر علي نهاد مصطفى أنه بعد الساعة الثامنة اتصلت به السيدة زوجة محمد الحياني تسألهُ عن سر تأخر زوجها مع ضيوفه لحد الان، فيقول: "آثرت أن أكتم الحقيقة عنها، وقلت لها: إنهم تأخروا وسيعودون بعد ذلك. إن فكري وقناعتي لم يطاوعاني في تصديق حدوث أي مكروه للرئيس ومرافقيه. وكان عندنا أمل كبير جداً بأننا سوف نعثر عليهم.

ويمضي الزمن وتتصل زوجة محمد الحياني مرة ثانية بمعاون زوجها، علي نهاد مصطفى، فيقول لها نفس الجواب، ولكن بكلمات مختلفة هذه المرة.. وتخابر للمرة الثالثة فيذكر لها ما حدث مع تطمين عريض بأنهم سوف يعثرون على الطائرة المفقودة، وكل ظنهم أنها هبطت في مكان ما، أو في نهر أو مستنقع ماء، استحال عليهم الخروج من الطائرة.

ويمضي الزمن الثقيل، ويظل الليل يتحرك، ولكن دون الوصول إلى النتيجة. ولم يبق في أذهانهم، أذهان الساهرين بالقلق على الرئيس ومرافقيه، إلا خيط واحد من الأمل، وهو أن ينبلج الصباح ليكشف موقع الطائرة.

وتأتي خيوط الفجر متثاقلة، وإذا بالهاتف يدق في متصرفية البصرة، وإذا هناك من يقول: لقد عثرنا على الطائرة سالمة؟!.. ويقفل علي نهاد مصطفى السماعة وهو يردد مع الحاضرين: الحمد لله.. الحمد لله..

وما هي إلا دقائق فرحة بعد عبوس عميق، فإذا بالألم يأخذ بالوجوه جميعاً.. نداء ثان يخبر الحاضرين بالواقعة المشؤومة. وهنا يتلفن علي نهاد مصطفى إلى اللواء عبد المجيد سعيد، الذي انتقل قبل الفجر إلى دائرته في مديرية الموانيء، مستوضحاً أياه جلية الأمر، ولماذا تناقضت المكالمتان؟.. من عبد المجيد سعيد، عرف الحقيقة، إذ كانت أحد طائرات الهليكوبتر قد أكتشفت في الصباح الباكر جداً حطام الطائرة المهشمة ونزلت إلى موقعها، حينما اقلعت طائرة أخرى ولمحت الطائرة التي سبقتها، ظن طيارها في أنها طائرة الرئيس عبد السلام محمد عارف، ومن هنا جاء النبأ السار الذي لم يدم طويلاً]!

هذا وقد شكلت حكومة البزاز مجلساً تحقيقياً برئاسة العقيد الركن زيدان أحمد زيدان صباح يوم الخميس الرابع عشر من نيسان 1966 لدراسة وأجراء الكشف على محل الحادث، وأصدر المجلس في الثاني والعشرين من نفس الشهر قراره التالي:

بعد دراسة وتدقيق ما ورد بافادات الشهود وما ظهر للمجلس من جراء الكشف على محل الحادث والتفتيش الدقيق لهيكل الطائرة المحترقة والإطلاع على كشف المهندس المختص. اتضح للمجلس مايلي:

1- في مساء يوم 12-4-1966 أصدر العميد زاهد محمد صالح المرافق الأقدم للسيد رئيس الجمهورية أمراً إلى النقيب الطيار خالد محمد نوري يتضمن حركة الطائرات الهليكوبتر الثلاثة من البصرة إلى القرنة على أن يصلوها قبل الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم 13-4-1966. لغرض نقل السيد

الرئيس وحاشيته من القرنة إلى البصرة بعد انتهاء زيارته التفقدية لقضاء القرنة.

2- في الساعة 1215 أقلعت الطائرات الثلاث من مطار البصرة بعد أن زود طياروها بالتقرير الجوي من سيطرة المطار أصوليا. متوجهة إلى القرنة، وعند وصول الطائرات مدينة القرنة هبطت في ساحة الالعاب وفي المكان المعد لنزولها سلفاً.

3- وبعد انتهاء الاحتفال توجه السيد الرئيس إلى طائرة الهليكوبتر المرقمة 598 والتي بقيادة قائد التشكيل النقيب الطيار خالد محمد نوري. وأقلعت في الساعة 1850 واعقبتها الطائرتان الأخريان..

4- وبعد مرور سبع دقائق واجهت طائرة السيد الرئيس طبات هوائية شديدة Bumpy مع غبار معلق في الجو مما جعل مجال الرؤية معدوماً وأدى إلى تغير اتجاه الطائرة مما جعل قائد الطائرة يجد صعوبة كبيرة في السيطرة على طائرته.. ونظرا لأن الطائرة انحرفت عن خط سيرها المرسوم إلى منطقة صحراوية لا توجد فيها أي أشباح أرضية أو دلائل إنارة مما سبب أنعدام الرؤية كلياً.

وأصبحت الطائرة بحالة غير اعتيادي unusual position وبعد فقدان الطيار الأمل بالدلالة على مكانه بسبب إنعدام الرؤيا وعدم وجود الأشباح الأرضية وتأثير الطبات الهوائية الشديدة استدار الطيار محاولاً العودة إلى القرنة محاولة منه للمحافظة على أرواح ركاب طائرته.

وفعلاً استدار إلى اليسار ولكن اشتداد تأثير الطبات الهوائية وانعدام الرؤيا كلياً جعل قيادة الطائرة في ذلك الاتجاه مستحيلاً. وعاد الطيار ثانية بالاستدارة إلى الجهة المعاكسة مستعيداً اتجاهه السابق. وفي أثناء دورانه صادفته طبة هوائية

قوية جداً أدت إلى فقدان السيطرة على الطائرة وارتطامها بالأرض أثناء دورانها إلى اليمين. وهذا أدى إلى أصطدام مقدمة الطائرة وعجلتها اليمنى والريش الرئيسية بالأرض في اللحظة الأولى، ومن ثم مالت إلى الجهة اليسرى وارتطمت عجلتها اليسرى بالأرض. ومن جراء الارتطام انفجرت خزانات الوقود الرئيسية الكائنة في أرضية الطائرة. ومن جراء تدفق الوقود على المحركات الساخنة حدث الحريق الذي أدى إلى انفجار الطائرة واحتراقها، ولم يحصل بصورة قاطعة أي انفجار أو حريق أو عطل بالطائرة منذ أقلاعها حتى اصطدامها بالأرض. لذا قرر المجلس التحقيقي:

أ- اعتبار الحادث قضاء وقدراً وبدون تقصير من أحد.

ب- اعتبار استشهاد كل من الضباط والمراتب المدونة اسماؤهم أدناه أثناء الخدمة ومن جرائها:

1- المشير الركن عبد السلام محمد عارف.
2- اللواء عبد اللطيف الدراجي.
3- العميد زاهد محمد صالح.
4- العميد جهاد أحمد فخري.
5- العميد عبد الهادي الحافظ.
6- الرائد عبد الله مجيد.
7- النقيب الطيار خالد محمد نوري.
8- ن. ض براد كريم حميد.
9- العريف محمد عبد الكريم.
10- السيد مصطفى عبد الله.
11- السيد محمد الحياني.

العضو	الرئيس
المقدم الطيار الركن	العقيد الركن
خالد حسين ناصر	زيدان أحمد زيدان

العضو	العضو	العضو
الملازم المهندس	الملازم الأول الحقوقي	الرائد الطيار الركن
عبد الله صيام	سامي عزاره المعجون	علي عواد

ويروي لنا الحاكم "القاضي" سالم محمد عزت- رئيس استئناف منطقة البصرة آنذاك- بوصفه رئيساً للهيئة التحقيقية في حادث سقوط الطائرة ومصرع رئيس الجمهورية ومرافقيه قائلا:

"اتصل بي هاتفيا صباح يوم الخميس الرابع عشر من نيسان 1966 كاظم الرواف- وزير العدل في وزارة عبد الرحمن البزاز الأولى- وطلب مني تشكيل هيئة تحقيقية برئاستي وعضوية: عبد الرزاق العضب- نائب رئيس استئناف منطقة البصرة، وعبد الوهاب الفضلي حاكم (قاضي) تحقيق البصرة والرئيس (النقيب) عبد الستار المعيني من القيادة العسكرية وكامل عبد علي مدير أمن البصرة- وإجراء التحقيق فوراً.

وكنت قد ذهبت مساء الأربعاء- ليلة الحادث- إلى فندق شط العرب مدعوا لوليمة العشاء الكبرى المقامة فيه على شرف رئيس الجمهورية وصحبه.. وهناك لمحت مدير شرطة الموانئ، سليمان بكر وهو صديق لي، والارتباك يبدو عليه. وكنت أظن في البداية أن هذا الاصفرار هو أثر من أثار التسمم الذي أصيب به قبل ليلة. وعندما بادرته بالسؤال عن صحته، وعن سر ارتباكه، أسر لي بما حدث. وهنا تذكرت ما حدث في بيتي قبل ساعة، إذ طلبن مني بناتي أن

اشتري لهن باقات ورد لأن رئيس الجمهورية سوف يمر على مدرستهن في صباح اليوم التالي، وهنَّ يُرمن تقديم الورود كهدية له نيابة عن المدرسة كلها..".

ويمضي سالم محمد عزت في حكايته قائلاً: "سهرنا الليل كله. وفي الصباح حينما علمت بالحادث الأليم اتصلت فوراً بوزير العدل واستمزجت رأيه في كيفية العمل الذي سوف نقوم به.. فاخبرني الوزير بأن مجلس تحقيق عسكري ذهب إلى البصرة لأجراء التحقيق.

ثم كلمني بعد ذلك، وطلب مني تشكيل هيئة تحقيقية برئاستي.

وفي ضحى نفس اليوم- الرابع عشر من نيسان- ذهبت وأعضاء الهيئة إلى مكان سقوط الطائرة وكان دليلنا مدير شرطة الكمارك الجنوبية حسين رشاش، الذي يعرف المنطقة جيداً. وتقع في أراضي (المجداح) ضمن ناحية النشوة، وتبعد عن مركز ناحية القرنة 16 ميلاً وعن مركز مدينة البصرة بحوالي 32 ميلاً.

وجدنا هناك في مكان الحادث، المجلس العسكري للتحقيق قد سبقنا. وقمنا على الفور بإجراء التحقيق والمعاينة. وحرصنا أن يكون التحقيق شاملاً وموسعاً، بحيث لا يترك أحد دون سماع أقواله.

وبالنظر للظروف التي أحاطت بالحادث، فقد كنا حريصين في التحقيق، ودقيقين في التدقيق.

شاهدنا الرئيس عبد السلام وقد انكفأ على وجهه، وقد احترق بعض شعر رأسه، وتمزق قسم من سترته، وأحترق كعب رجله.. ووجدنا في جيب سترته مصحفاً صغيراً.. ووجدنا عبد اللطيف الدراجي على بعد 50 متراً من جسم الطائرة المحترق، وبكامل ملابسه. خلاف الآخرين، الذين لم نستطع الاستدلال على شخصياتهم، سوى محمد الحياني، الذي عرف من قلم الحبر الذي يحمله.

بقينا يومين في فندق شط العرب لنجري التحقيق من هناك. ثم انتقلنا بعد ذلك إلى المحكمة.. ولم يبق أحد إلا وأخذنا أفادته.

أخذنا أفادة آمر معسكر الشعيبة، الذي قال بأن الطائرات الثلاثة قدمت من بغداد قبل يوم من الحادث، وأنه عندما سأل الطيارين عن سلامة الطائرات وأمنها، أجابوه بأن ذلك من اختصاصهم!

وفي يوم الحادث نقلوا الطائرات الثلاث إلى القرنة بعد الظهر ووضعوها في الساحة الكبيرة، ونصبوا حراسة مشددة عليها.

وقد ظهر من سير التحقيق أن الرئيس عبد السلام محمد عارف قال للطيارين عندما همّ الجميع بركوب الطائرات الثلاث، والجو ملبد بالغبار:

- تكدرون تدبروها..؟!

فأجابه النقيب الطيار خالد محمد نوري..

- نعم سيدي.. نكدر..

ويضيف رئيس الهيئة التحقيقية:

اتصل بي هاتفيا رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز قائلا إنه يروم عقد مؤتمر صحفي ليرد على الشائعات التي تملأ البلد، وأنه قبل عقد المؤتمر الصحفي هذا، يريد مني تقريراً عاجلاً عن الحادثة، ومجرى التحقيق فيها، فرفعت له تقريراً أولياً، أو مبدئياً عن الحادث. وطلب مني هو ووزير العدل، أن نستمر في التحقيق أيضاً.

وقد جاء في التقرير الأولي للهيئة التحقيقية الذي أرسل إلى عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء في يوم 23 نيسان مايلي:

[لم يثبت للهيئة من سير التحقيق والخبراء الفنيين عند الكشف وجود مواد تخريبية كالقنابل الموقوتة وغيرها. وسيتأيد ذلك عند التحليل الكيمياوي للأجزاء التي أرتآى الفنيون أخذها من حطام الطائرة.

وقد تبين للهيئة أن هناك بعض العوامل، مما قد يسمى إهمالاً أو تقصيراً يقع على جهات متعددة منها:

1- عدم وجود طيار مساعد في كل طيارة من الطائرات الثلاث، وعلى الأخص طائرة السيد رئيس الجمهورية.

2- عدم وجود آلة إيجاد الاتجاه (راديو كومبس) الذي يسهل للطيار معرفة طيرانه.

3- لم يقم طيارو الطائرات الثلاث، أو قائد تشكيلها، باستلام تقرير الأحوال الجوية للمنطقة قبل إقلاعها من القرنة، بل أكتفوا باستلام ذلك بعد لحظات من طيرانهم، وهم في الجو، وبما استلمه قائد التشكيل صباح يوم 13 نيسان عند اقلاعه من البصرة إلى القرنة. وكان في إحدى فقرات التقرير للأحوال الجوية الذي أعطي من مطار البصرة لقائد التشكيل مايلي: "احتمال حدوث هبات هوائية تتراوح سرعتها من 20- 25 عقدة".

4- لم يقم مطار البصرة المدني بدوره بإعلام المسؤولين في القرنة أو الطيارين أنفسهم عن الأحوال الجوية المتوقع حدوثها، رغم علم دائرة السيطرة في المطار، بأن طائرات المغفور له رئيس الجمهورية وبقية المدعوين ستصل حوالي الساعة السابعة إلى مطار البصرة!

5- عدم وجود جهاز إعطاء الاتجاه للطيارين الفاقدين اتجاههم في الأجواء العراقية في مطار البصرة!

وختمت الهيئة التحقيقة تقريرها الأولى المرفوع إلى رئيس الوزراء قائلة:

وهذا خلاصة ماتبين للهيئة على الوجه المتقدم. وستقوم الهيئة بعد ورود التقرير النهائي عن نتيجة التحليل الكيمياوي من الخبراء الفنيين برفع أوراق القضية إلى الجهات الرسمية المختصة".

وبعد مرور ما يقرب من الشهر، كانت الهيئة التحقيقية قد أنهت تحقيقها الموسع في حادث الطائرة ومصرع رئيس الجمهورية.

وقد جاء في التقرير الموسع، الذي رفع إلى وزير العدل، أن: "الجو في القرنة، في يوم الحادث، كان طبيعيا"وصالحا للطيران"... و"بعد عشر دقائق من الاقلاع حصل عارض طبيعي مفاجيء، وهو هبوب رياح شديدة مع عاصفة ترابية صادفت الطائرة- وهذا ما ورد في إفادة الملازم الطيار منذر سليمان- أعقب ذلك استنجاد طيار طائرة الرئيس عبد السلام محمد عارف النقيب خالد محمد نوري بالعبارات التالية: "إنني قد ضيعت اتجاهي وأنا أحمل في طائرتي رئيس الجمهورية، أعطني اتجاه"، وكان يخاطب بذلك مطار البصرة. وأن مطار البصرة جاوبه: "ليس لدينا أجهزة تمكننا من اعطائك اتجاه".

واتصل خالد بمنذر قائلا له: "أريد من هذا اتجاه.. تره آني ضيعت، وما دا أشوف كلشي".

ثم خاطب خالد، منذر ثانية بقوله: "لك عيني منذر الحك لي تره آني رحت".

وأن منذر أجاب خالد بقوله: "عيني أبو هاني لا ترتبك، أرجع وديور على 180 درجة، ولا "تباوع" على الغيوم".

ثم انقطع الاتصال نهائياً بين الطيار منذر والطيار خالد.. وفي هذه اللحظات يقول منذر أنه شاهد طائرة خالد تحاول الاستدارة إلى اليسار، ثم عادت إلى اتجاهها السابق مع الانحدار، ثم انعدمت الرؤيا بينه وبين خالد نهائياً".

وجاء في التقرير أيضا: "ولم يتأيد للهيئة حصول عاصفة ترابية أو زوبعة بصورة قاطعة، ولكن أجمع غالبية ركاب الطائرة التي يقودها منذر، وكذلك ركاب الطائرة الثالثة التي يقودها عثمان، أن طيران الطائرتين، كان غير اعتيادياً

ومصحوباً بهزات وتأرجح نحو اليمين وإلى اليسار، وارتفاع إلى الأعلى وهبوط إلى الاسفل، ولم يتمكن أحد من الركاب في الطائرتين من تأييد حصول عاصفة أو زوبعة، بل بالعكس أن بعض ركاب طائرة منذر ومنهم السيد عبد العزيز بركات ومتصرف الناصرية ذكرا بشهادتيهما أن مدى الرؤيا خلال فترة طيرانهم كانت واضحة بالنسبة إليهما شخصياً. كما أن الطيار خالد لم يذكر خلال محادثته مع زميله منذر مصادفته لعاصفة أو زوبعة، بل ذكر أنه لايرى شيئاً.

كما ضم التقرير الموسع أفادات الشهود الذين استمعت إليهم الهيئة التحقيقية، والذي بلغ عددهم (40) شاهداً.. وهم:

الطيار منذر سليمان. الطيار عثمان نوري علي. العريف الفني نور كاظم. قائمقام القرنة عبد اللطيف عبد الوهاب الجبوري. مدير ناحية السيب فاروق صبيح. معاون شرطة القرنة عبد الودود عبد الجبار. أفراد الشرطة المكلفين بحراسة الطائرات في القرنة: (موحي العيبي. مؤنس خليفة. ريحان منشد. جياري لفته). الملازم الثاني رشيد عبد العزيز الحياني ضابط خفر القاعدة الجوية في الشعيبة أنيس حنا ما رينا مراقب جوي في مطار البصرة. والمراقب الجوي عبد الأمير هرمز. والمراقب الجوي فريد عبد الاحد. وعبد الكريم الوافي ملاك من قرية السويب. كاظم حسون العطار مهني جوي في مطار البصرة. والمهني الجوي حميد خليفة. صالح محمد البكر مدير شرطة الأقضية. المقدم قاسم حمودي وكيل آمر موقع البصرة. المقدم الركن زكي سعيد الصائغ، أحد ركاب طائرة منذر. النقيب الطيار فاروق فرج، خبير فني للكشف على ركام الطائرة. رئيس عرفاء لاسلكي كاظم زمام في محطة لاسلكي شرطة النشوة. جاسم محمد دهام من مرتبات شرطة النشوة. المقدم الركن فاضل مصطفى أحمد من الحرس الجمهوري. إبراهيم الولي نائب رئيس التشريفات في القصر الجمهوري. أحمد عبد الله الحسو رئيس المكتب الصحفي القصر الجمهوري. عبد العزيز بركات رئيس تحرير

جريدة المنار. فيصل حسون نقيب الصحفيين. بايز عزيز متصرف الناصرية. شاكر الحاج عبد الأمير الغرباوي رئيس بلدية الناصرية. محمد وجيه فليح مدير في مديرية الأمن العامة. عبد اللطيف صالح مصور في مصلحة السينما والمسرح. وجيه أحمد طه رئيس قسم التصوير في التلفزيون. فؤاد الخليل مراسل وكالة الأنباء العراقية. عباس خلف مصور سينمائي رفعت عبد الحميد مساعد مصور. لطيف حسين العاني مصور وكالة الأنباء العراقية. ومن موظفي الأذاعة والتلفزيون: (سليم عبد الكريم المعروف. عبد الرزاق فنجان. داود عبد الرزاق. نعيم محمد الزيدي). خلف عبد الكريم ملاك في منطقة النشوة. المقدم الركن الطيار خالد حسين آمر قاعدة الشعيبة].

وقد جاء في إفادة الشاهد أنيس حنا مارينا، رئيس مراقبي السيطرة في مطار البصرة قوله ولقد سمعت حواراً بين الطيارين يقول أحدهما للأخر:

- شيريد هذا من سرعة طيراننا.. أتركه.

فأجبته: عيني أحنا نريد سلامتكم.. إذا رأيتم جسر كبير على نهر الفرات وبساتين نخيل وملتقى نهرين فهذه القرنة..".

ويقول المراقب الجوي أنيس مارينا في إفادته أن الإجراءات التي يجب أن يتخذها الطيار قل طيرانه: أولاً، يجب أن يذهب إلى برج المراقبة أو غرفة وسائل الايضاح ليقف على خطة الطيران، وحالة الجو، وعليه أن يملي استمارة "خط الطيران". وهذه الإجراءات يجب أن يتبعها جميع الطيارين المدنيين والعسكريين بلا استثناء".

أما شهادة فريد عبد الأحد- المراقب الجوي في مطار البصرة- فقد أفاد فيها أنه سمع كلاماً يجري بين الطيارين خالد ومنذر. وأن خالد ينادي على منذر، وأنه (أي الشاهد) تدخل بينهما وسألهما عما إذا كانت الطيارات تحمل

السيد رئيس الجمهورية، فأجيب بالايجاب. وقد اعطى إليهما التقرير الجوي باللغة العربية، كما يلي:

"اتجاه الريح 350 درجة. سرعته 4 عقدة. مدى الرؤية 4 كيلومتر. في الطقس اتربة معلقة. الغيوم معدومة: الضغط الجوي 1008 و6 اعشار مليار" فشكراه على ذلك.

وذكر الشاهد كذلك في إفادته، أنه في حوالي الساعة السابعة و6 دقائق سمع الطيار خالد ينادي على منذر ويقول له: "أنه لا يرى شيئاً". وأن الطيار منذر أجابه: "آني أراك أمامي.. استمر".

وذكر الشاهد أنه سأل الطيار خالد مستفسرا منه عما إذا كان يرى ناراً مشتعلة في منطقة الزبير أو الشعيبة.. فلم يجبه خالد.

وأن الطيار منذر طلب منه أن يعطي للطيار خالد اتجاه بالنسبة للمطار..

وأنه (أي الشاهد) طلب من الطيار منذر أن يمهله للاتصال بالشعيبة لعدم وجود الآلة في مطار البصرة.. وأنه اتصل فعلاً بالشعيبة وطلب من مطار الشعيبة أن يعطيه الاتجاه، وأن المطار أجاب بعدم وجود الآلة لديه..!!

وذكر الشاهد أيضاً، أنه لما سمع قول الطيار خالد "آني ظللت طريقي" أخبر مدير شرطة الموانيء سليمان بكر بما سمع.

وأن الاتصال بينه وبين خالد انقطع بعد ذلك نهائياً.

ولكن الاتصال بينه وبين منذر وبين مطار الشعيبة، ظل مستمراً وأخذوا ينادون على خالد، ويكررون النداء.

ويضيف الشاهد فريد عبد الاحد قائلاً: "زيادة في الاحتياط فقد طلبت من أحدى الطائرات المارة في سماء العراق، في المنطقة الجنوبية، المناداة على الطائرة المفقودة، بعد أن اعطيتها اسم الطائرة (o.c) لعلها تستطيع الاتصال بطيارها

الذي قد يكون على الأرض.. وفي الساعة السابعة و55 دقيقة سمعت الطيار منذر ينادي على الطيار خالد ثانية. فسألته: "هل حصلت على شيء" فأجابه منذر بالنفي.. وبقيت على اتصال مع الطيار منذر حتى الساعة الثامنة والربع، حيث انقطع الاتصال به نهائياً!.

أما المراقب الجوي عبد الأمير هرمز فقد أفاد في شهادته أنه سمع من جهاز الالتقاط على موجة 118 وواحد بالعشرة ميكا سايكل، كلام يدور بين الطيارين منذر وخالد، الواحد ينادي على الثاني، بغية فحص أجهزة الالتقاط اللاسلكي في طائرتيهما. وفي الساعة السابعة تدخل زميله فريد عبد الاحد بين الطيارين، وسألهما بقوله: "أنتم جايين للبصرة" وأن منذر أجاب فريد بقوله: "أي، نحن جايين للبصرة، ونصل ما بين 30- 35 دقيقة. وأن سيادة رئيس الجمهورية معنا في الطائرة الثانية (o.c) "أوسكار جارلي". وعندئذٍ أخبر زميله فريد المسؤولين في المطار.. وأنه (أي الشاهد) أعطى إلى الطيار منذر التقرير الجوي للنصف الساعة القادمة".

ثم أضاف الشاهد عبد الأمير هرمز قائلاً: "وفي حوالي الساعة السابعة و6دقائق سمعت خالد ينادي منذر ويقول له: آني لا أرى شيئاً، وأن منذر قال لخالد: "امشي على اتجاه 148 درجة".. ثم سمعت منذر يخاطب البصرة: "بصرة، من منذر، أعطيه الاتجاه" وسأتصل بالشعيبة" وفعلاً سأل الشعيبة.. وأثناء ذلك سمعت خالد يخاطب منذر قائلاً له: "آني تيهت" وأن زميلي فريد يخاطب خالد: "أنا لا أرى شيئاً على الأطلاق".. وسمعت منذر يخاطب خالد قائلاً له: "ديور 180 درجة" فأجابه خالد "ما أكدر" ثم أشار منذر على خالد أن يهبط إلى ارتفاع ليتمكن من مشاهدة الأرض.. فلم يسمع جواباً لخالد.. وأخذنا نكرر الاتصال ونكرر الطلب.. ثم انقطع الاتصال بين الطيار خالد وبين مطار البصرة نهائياً.. وبقى

النداء مستمراً على خالد من مطار البصرة ومطار الشعيبة، حتى انقطع في الساعة الثامنة والربع.

وختم سالم محمد عزت رئيس الهيئة التحقيقية تقريره النهائي بقوله:

وقد ظهر للهيئة التحقيقية مجدداً، وبعد استكمال التحقيق، وبالإضافة إلى ما ورد في تقريرها المبدأي السابق، ومن تقرير مدير المعهد الكيمياوي المرقم 1243 والمؤرخ في 25/ 4/ 1966 المعنون إلى رئاسة أركان الجيش.. مايلي:

1- أن الطائرة لم تحترق بالجو، إنما جرى احتراقها بعد اصطدامها على الأرض، وحصول الاحتراق نتيجة تسرب وقود الطائرة إلى محركاتها وهي في حالة الاشتغال.

2- لم يعثر بين حطام الطائرة على أثرٍ مادي، يدل على وجود قنبلة توقيتية أو مفرقع يدل على حصول انفجار مدبر].

يختم سالم محمد عزت، رئيس الهيئة التحقيقية كلامه قائلا: لقد اتضح لنا من جراء التحقيق، أن الحادث كانت قضاءً وقدراً. ولم يتسبب عن تخريب واضح أو مقصود، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فأن هناك تقصيراً تسبب عن غير قصد في حدوث هذه المأساة، والتحقيق لا يملك تحديد وجوه هذا التقصير. ومهمتنا أنتهت عند هذا الحد].

ويروي لنا الملازم أول شهاب أحمد حويش، أحد مرافقي الرئيس عبد السلام محمد عارف، وقريبه، أنه كان مرافقا للرئيس عبد السلام في تلك الرحلة ويقول أنه انتبه على أن الرئيس عبد السلام استعمل جملة: "لو تشوفوني، لو متشوفوني بعد" مرتين في خطبه التي القاها في منطقة الأهوار.

ثم يقول الملازم أول شهاب: كنت متشائماً جداً أثناء تلك الرحلة

المشؤومة. وقد أصابني صداع شديد، لم أستطع أن أفتح عيني من شـدته قبيـل أن يركب الرئيس عبد السلام الطائره.

قال لي: أركب معنا في الطائرة.

قلت له: سيدي لا استطيع أن أركب الطائرة من شدة الصداع، وأفضل أن أعود إلى البصرة في السيارة مع السائق حميد بلاسم.

قال مازحاً: أتخسه.. أنْت السبع، أتخاف من الطيارة..؟!

ثم سلمني نظارته الطبية ومسدسه الشخصي الصغير.. والتفت نحو المرافق رشيد المهداوي وقـال لـه: ديـر بالـك علـى شـهاب.. مـبين مالـه خلـكً.. (أي مريض).

وكانت هذه آخر الكلمات التي تفوه بها الرئيس عبد السلام وهـو يصـعد إلى طائرة الهليوكوبتر.

كان الجو مغبراً.. وسرنا حوالي ثلاثة كيلومترات بالسيارة المكشـوفة، الـتي كان يستعملها الرئيس عبد السلام في جولاتـه، ممـا اضـطررنا بعدئـذ إلى أحكـام غطاء السيارة (التنتة) من شدة الغبار!

ويصف الملازم أول شهاب أحمد خويش- كيف شاهد جثـة الـرئيس عبـد السلام بعد اكتشافها صبيحة اليوم التالي (الخميس) قائلا:

- لقد كان معي في السيارة ونحن نفتش عن موقع سقوط الطيـارة المـلازم أول عبد الرحمن سلمان من (الحماية) فكنا أول من وصل إلى منطقة الكارثة.

شاهدنا الرئيس عبد السلام منبطحاً على الأرض، وقد وضـع يديـه تحـت رأسه، وشعر رأسه قد أحترق بعضه (تشعوط) وعكف إحدى رجليه إلى اليسار.

وأحترق كعب رجله المعكوفة. وكان يرتدي بدلة صيفية لونها زيتوني فاتح، وقد تمزق قسم من الجاكتة عند الظهر.

كما شاهدنا نقطاً من الدماء على أنفه".

ويعتقد الملازم أول شهاب ويتصور أن الرئيس عبد السلام عندما فوجيء بسقوط الطائرة رمى نفسه، أو قذف من الباب من شدة الصدمة، فأصبح بعيداً عن موضع النار وجسم الطائرة المحترق.

ويقول أنه بعد ما شاهد جثة رئيسه: "نزعت قمصلتي العسكرية وغطيت بها الجثة.. وسقطت مغشياً عليّ"!

وفي الساعة السادسة من مساء يوم الخميس 14 نيسان 1966 وصلت إلى بغداد طائرة عسكرية تحمل جثمان المشير الركن عبد السلام محمد عارف، ونعوش الذين استشهدوا معه في حادث الطائرة التي كانت تقلهم من القرنة إلى البصرة.

وقد حضر إلى مطار الرشيد العسكري، الذي حطت فيه الطائرة، رئيس الوزراء عبد الرحمن البزاز والمشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وأعضاء الوفد المرافق له، والوزراء وعدد من أفراد عوائل الشهداء، وكبار الموظفين من عسكريين ومدنيين.

وعند نزول الطائرة إلى أرض المطار، تقدم رئيس الوزراء والمشير عامر إلى البوابة الخلفية للطائرة، فشاركا في حمل نعش الرئيس الراحل، الذي نقل إلى سيارة إسعاف عسكرية، ثم جرى إنزال نعوش بقية الشهداء ملفوفة بالأعلام العراقية وموضوعة عليها أكاليل من الزهور.

وقد جرى إيداع جثة الرئيس عبد السلام محمد عارف وبقية الشهداء في مستشفى الرشيد العسكري.

وكان قد جرى في الساعة الخامسة من عصر نفس اليوم في البصرة تشييع جثمان الرئيس الراحل وصحبه شارك فيه أعضاء الهيئة الموفدة من بغداد للمشاركة في تشييع الجثمان برئاسة الدكتور عبد الحميد الهلالي وزير الاقتصاد، ووكيل متصرف لواء البصرة، ومدير الموانيء العام، وممثل عن آمرية موقع البصرة، ورئيس الحاكم، ورؤساء الدوائر في اللواء (المحافظة) وعدد كبير من ضباط الجيش وجمهور من المواطنين.

وحمل نعش الرئيس الراحل عدد من ضباط الجيش، وسارت خلف النعش جموع من المواطنين في البصرة.

وفي مطار البصرة عزفت موسيقى الجيش السلام الجمهوري، وأطلقت المدفعية 21 إطلاقة تحية للرئيس الراحل قبل وضعه في الطائرة التي اقلته إلى بغداد.

وفي الساعة الثامنة والربع من صباح يوم السبت 16 نيسان 1966 نقل جثمان الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف من مستشفى الرشيد العسكري إلى داره، حيث بقي الجثمان بين اسرته لمدة نصف ساعة.

ونقل الجثمان بعد ذلك إلى القصر الجمهوري، حيث سجي في القاعة الكبرى في القصر، ووضعت عليه أكاليل عديدة من الزهور.

وقام على حراسته ضباط الحرس الجمهوري. وكان قد حضر إلى القصر الجمهوري أفراد عائلته، يتقدمهم إخوته: عبد السميع، وعبد الرحمن، وصباح، وكذلك نجله الأكبر أحمد عبد السلام.

ثم قام ضباط القوات المسلحة بالقاء النظرة الأخيرة والوداعية على الجثمان قبل أن يوارى مثواه الأخير.

كما شارك في القاء النظرة الوداعية وفد القيادة العربية الموحدة وسماحة مفتي الديار العراقية الحاج نجم الدين الواعظ، وعائلة الرئيس الراحل.

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت، دخلت ثلة من الحرس الجمهوري إلى حيث سجي النعش في قاعة من قاعات القصر الجمهوري، وحملت النعش إلى خارج المبنى، حيث كانت تقف عربة مدفع تجرها ستة خيول بيض مجللة بالسواد. ووضع النعش على العربة، ثم خرجت من القصر الجمهوري لتسير في موكب التشييع بين القصر الجمهوري وساحة الشواف، مخترقة شارع المنصور.

وقد وضعت أمام النعش صورة كبيرة للرئيس الراحل بملابسه العسكرية، مكللة بالزهور، ووضعت أكاليل أخرى من الزهور حول النعش، بينما ارتفعت الأعلام العراقية على جانبيه.

كان النعش ملفوفاً بعلم عراقي كبير، وكتبت على أحد جانبي النعش عبارة تقول: "الفقيد الراحل عاش من أجل وطنه ومات وهو يتفقد شعبه". أما الجانب الثاني فقد كتبت عليه العبارة الأخيرة التي تضمنها خطابه الأخير في القرنة وهي: "لقد نذرت نفسي لخدمة الشعب، وكل ما أريده هو أن ترفرف السعادة في كل بقعة من هذا الوطن".

وبعد النعش سار المرافقون وهم يحملون أوسمة الرئيس الراحل، ثم عدداً من طلاب الكلية العسكرية وهم يحملون أكاليل الزهور من رؤساء وملوك الدول الشقيقة والصديقة.

وفي ساحة الشواف جرت مراسيم إنزال النعش من عجلة المدفع ليحمل على سيارة مكشوفة. وبعد ذلك سار الموكب بالسيارات حتى جامع الشيخ ضاري في (أبو غريب)، حيث دفن إلى جانب قبر والده.

وفي نحو الساعة السادسة والنصف عزفت موسيقى الجيش لحناً حزيناً هو بوق النوم، ثم أطلق الجنود إطلاقات من بنادقهم وداعاً للرئيس الراحل.

وهكذا انتهت حياة عبد السلام محمد عارف- في مأساة من أبشع مآسي الطيران الداخلي..

وظلت مأساة سقوط الطائرة، ومصرع الرئيس عبد السلام محمد عارف وصحبه، لغزاً طيلة ربع قرن من الزمن، حيَّر المراقبين السياسيين والمهتمين بتاريخ العراق الحديث.

فلم تعلن- لو كانت هناك مؤامرة مبيتة لاسقاط الطائرة العمودية- أية جهة أو جماعة مسئولياتها عن مصرع عبد السلام محمد عارف طيلة هذه المدة الطويلة في عداد الزمن.

إنني من خلال تحرياتي العميقة والكثيفة، واستنطاقي العديد ممن شاهدوا ذلك الحادث المفجع، واطلاعي على اضبارتي التحقيق القضائية والفنية، أميل إلى أن القضاء والقدر هو الذي أحكم تدبير ذلك الحدث، وأودى بحياة رئيس الجمهورية. وأن العاصفة الترابية هي (السبب) وهي (الفاعل). في سقوط طائرة الهليوكوبتر، التي تحطمت على الأرض واحترقت. وأن الأمر لم يكن من تدبير أي إنسان، إنما هو من تدبير جبار قهار، لا سلطان لأحد على رد إرادته!

وعندما وسّد عبد السلام محمد عارف في قبره، في تلك الزاوية المتواضعة من حديقة جامع الشيخ ضاري في (أبو غريب)، كنت واقفا عن كثب أراقب

مراسيم دفن هذا (الرجل) الذي دخل التاريخ، مسطراً في سجلاته، أنه "أول رئيس للجمهورية في العراق". وأنه وضع بصماته بعمق في تاريخ العراق الحديث، بخيرها وشرها!

وعندما أهيل عليه التراب في مرقده الأخير، ترددت في أذني كلماته، بعد أن نقلت إليه تحذير العالم الفلكي الشهير الحاج محمد يوسف المنياوي بعدم ركوب الطائرات:

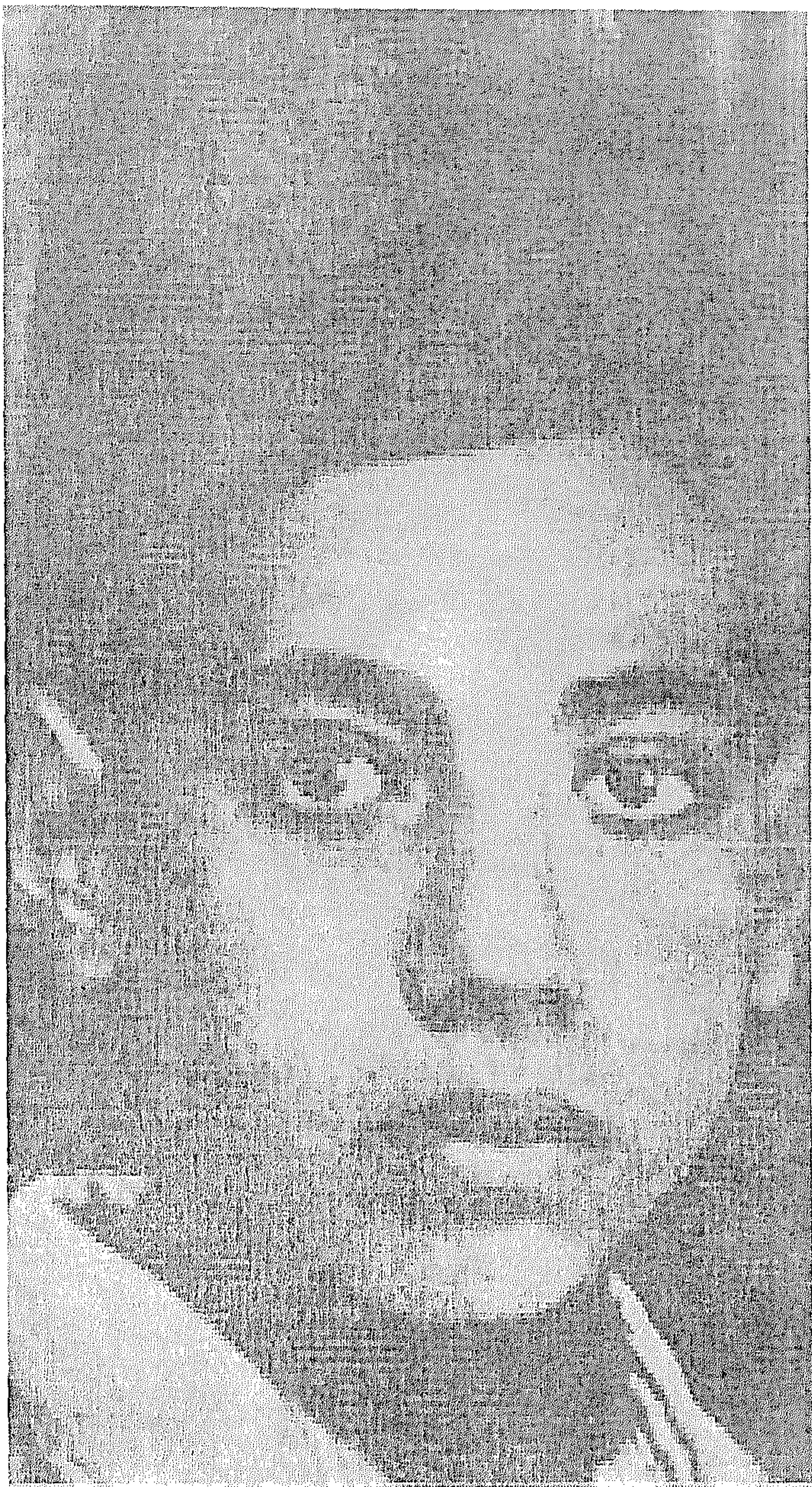
- "وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت"....

صدق الله العظيم.

وثائق الصور



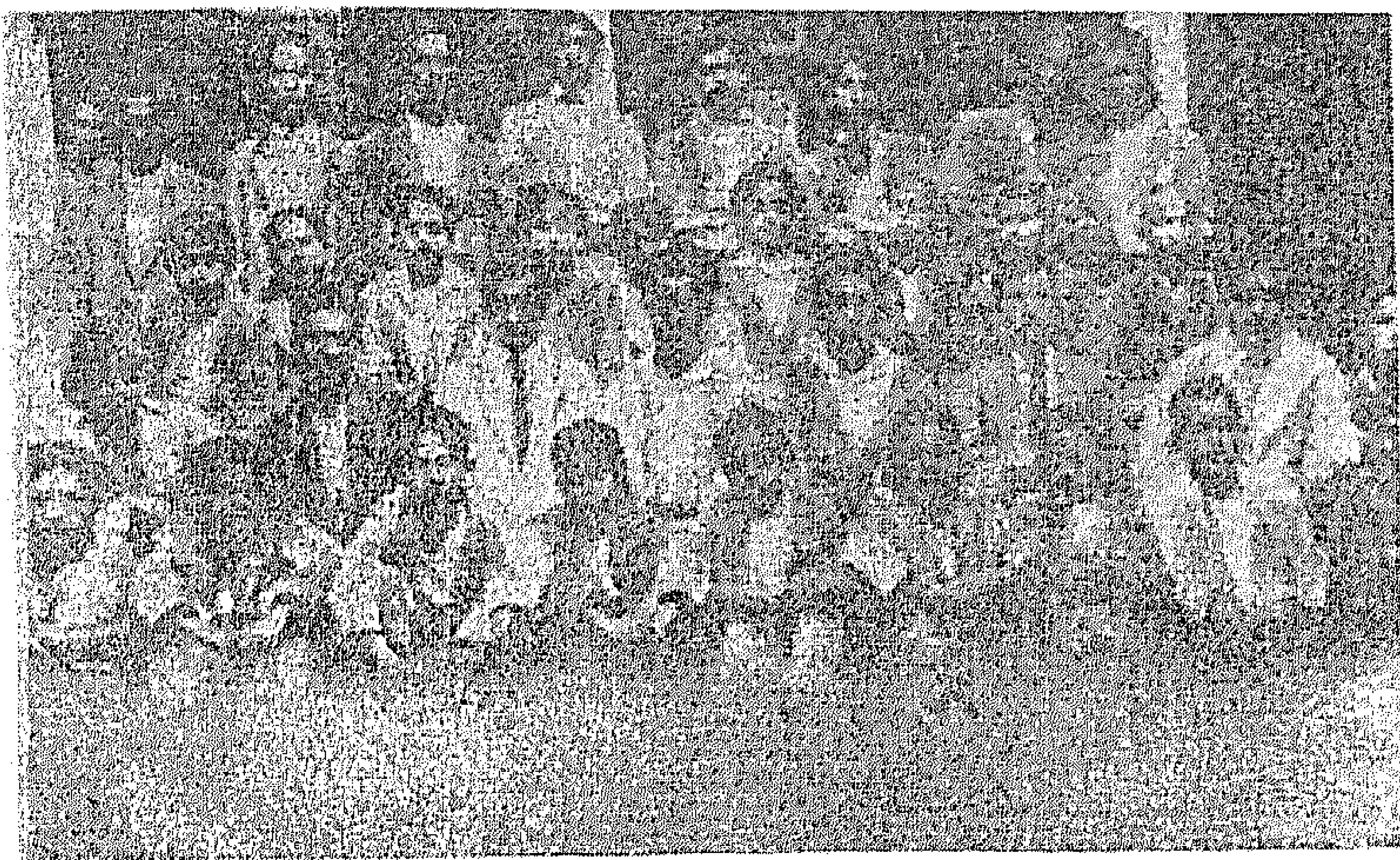
صورة تذكارية للشيخ الحاج محمد عارف وأبنائه



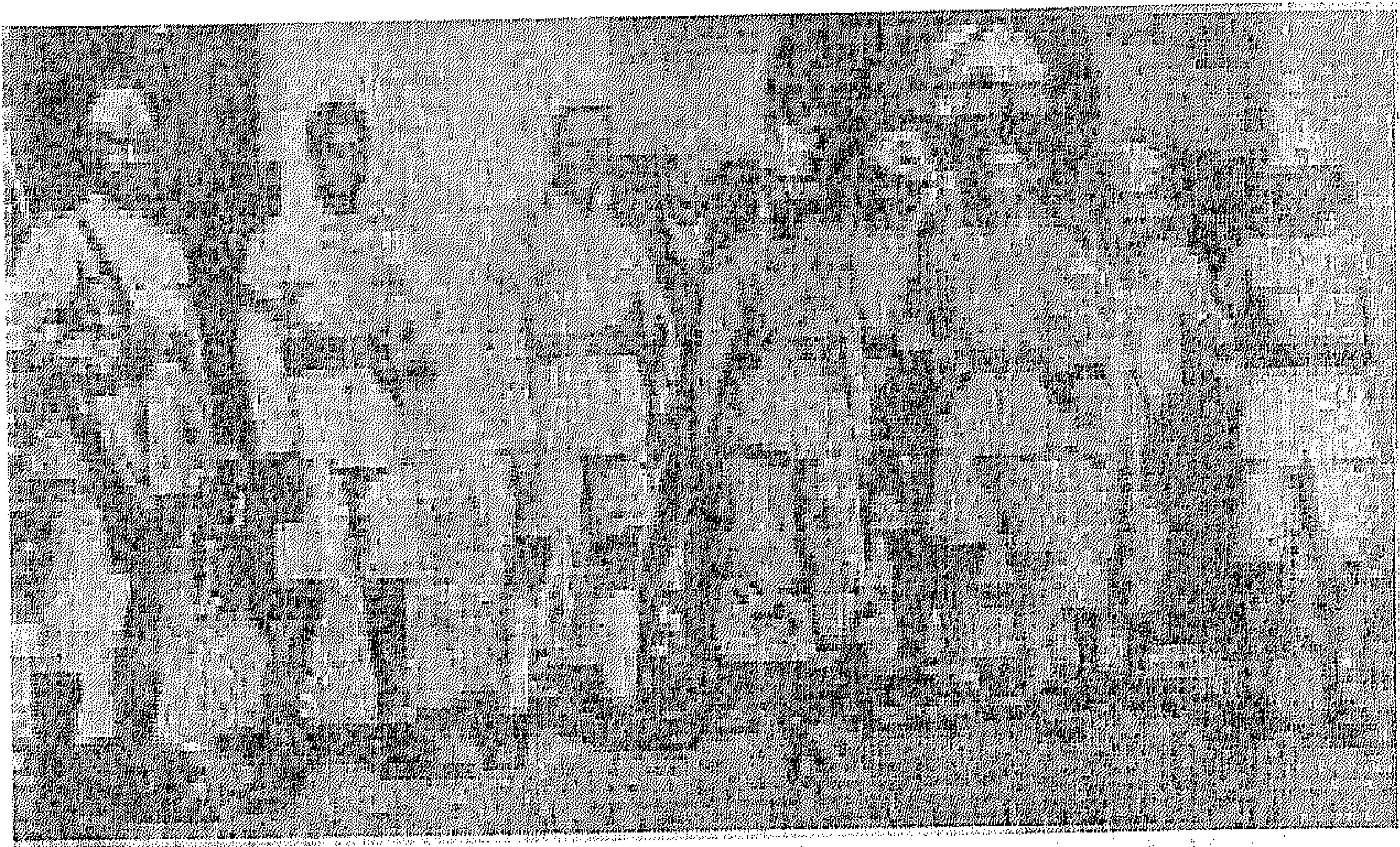
عبد السلام محمد عارف آل طالب



عبدالسلام محمد عارف (مرتدياً السدارة) العراقية في مطلع شبابه



طلاب مدرسة دار السلام الابتدائية التي انتقل اليها الطالب عبدالسلام محمد عارف عام ١٩٣٢



كتب عبدالسلام محمد عارف تحت هذه الصورة من ذكريات الفتوة ٢٦ نيسان ١٩٣٦



وكتب عبدالسلام محمد عارف تحت هذه الصورة: في يعقوبة والتاريخ ٥ مايس ١٩٣٦ والصورة بالقرب من عقد الجسر.



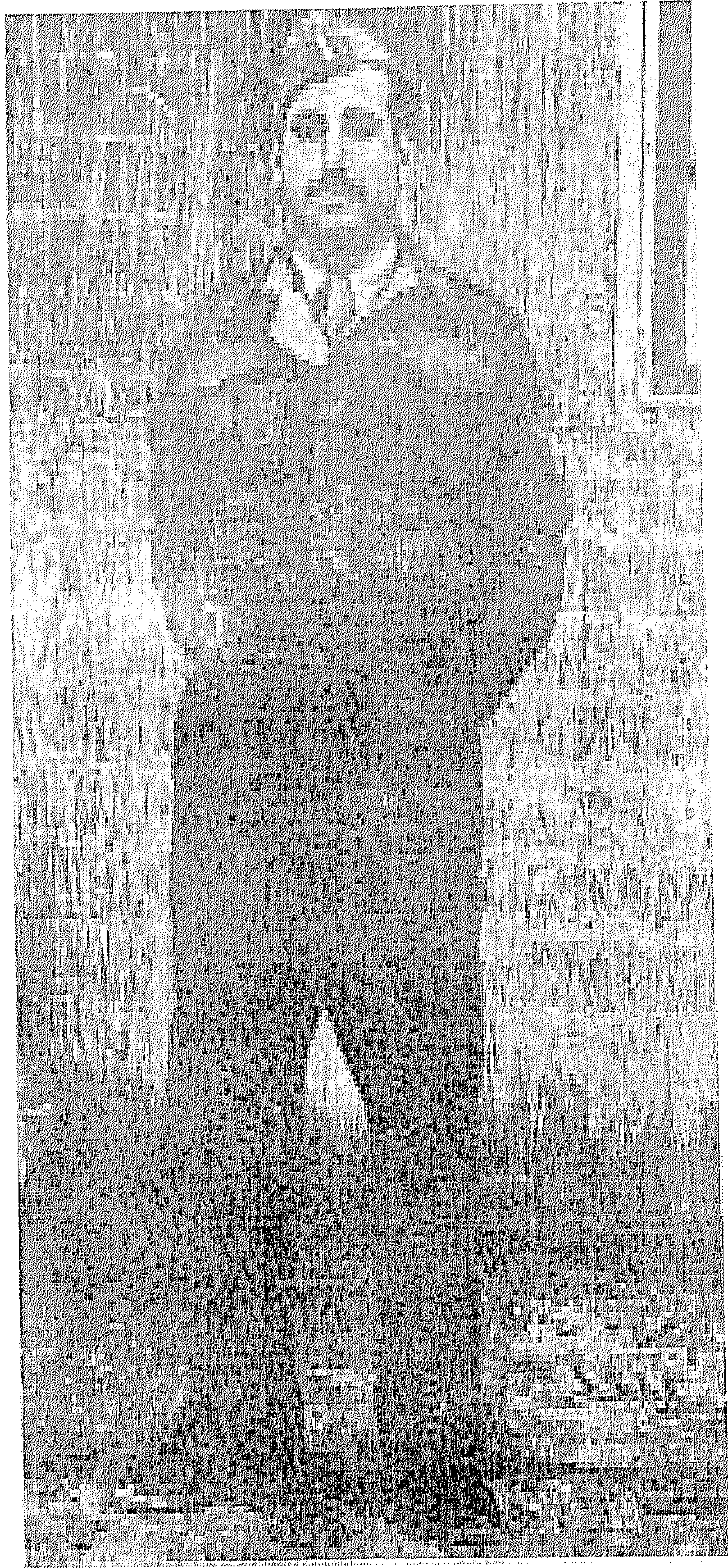
عبدالسلام محمد عارف يحضر (الجبلية) في راس مع زملاء له في سفرة إلى خارج بغداد



عبدالسلام محمد عارف من هواة القنص في شبابه.



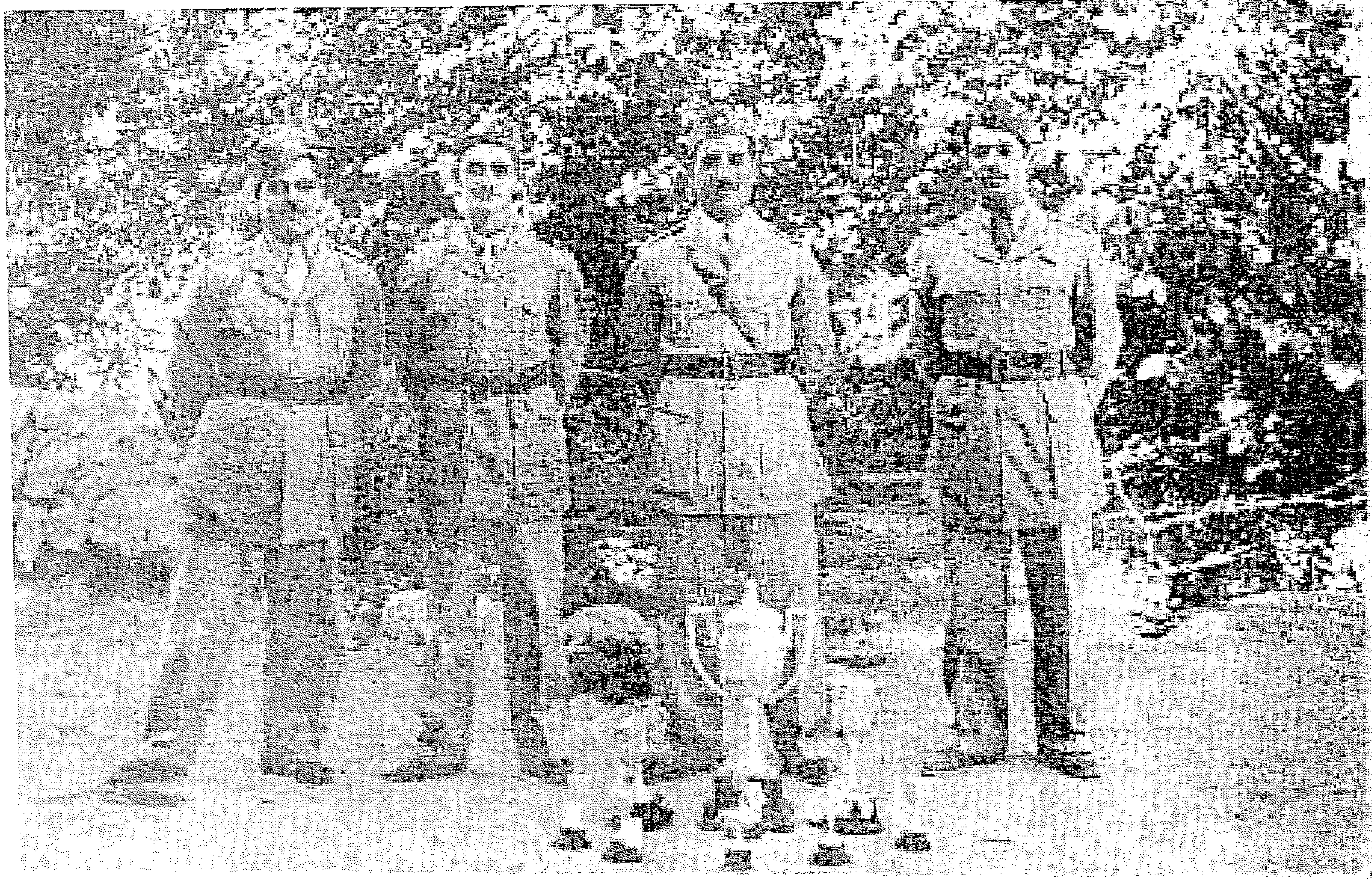
الملازم عبد السلام محمد عارف التقطت له هذه الصورة بعد ان اصبح ضابطاً في الجيش في ٧ مايس ١٩٣٩



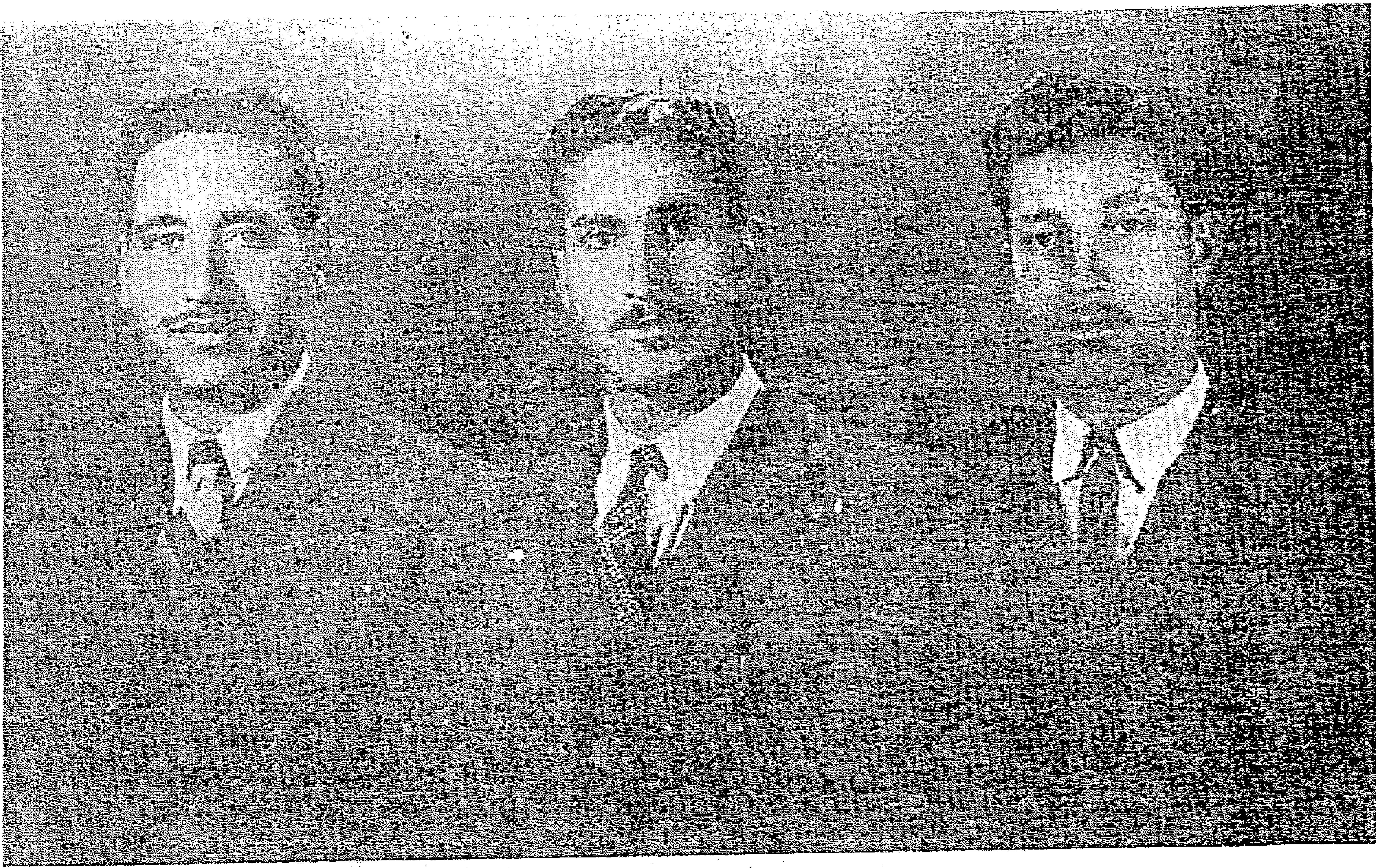
الملازم الأول عبدالسلام محمد عارف في البصرة عام ١٩٤٣



صورة جماعية للفصيل الثالث المتخرج بالكلية العسكرية ١٩٤٦ - دورة ٢٤ وقد ظهر عبدالسلام محمد عارف واقفا في وسط الصورة (الخامس من اليمين - الصف الثالث من الاعلى)



الفصيل الثالث في الكلية العسكرية عام ١٩٤٦



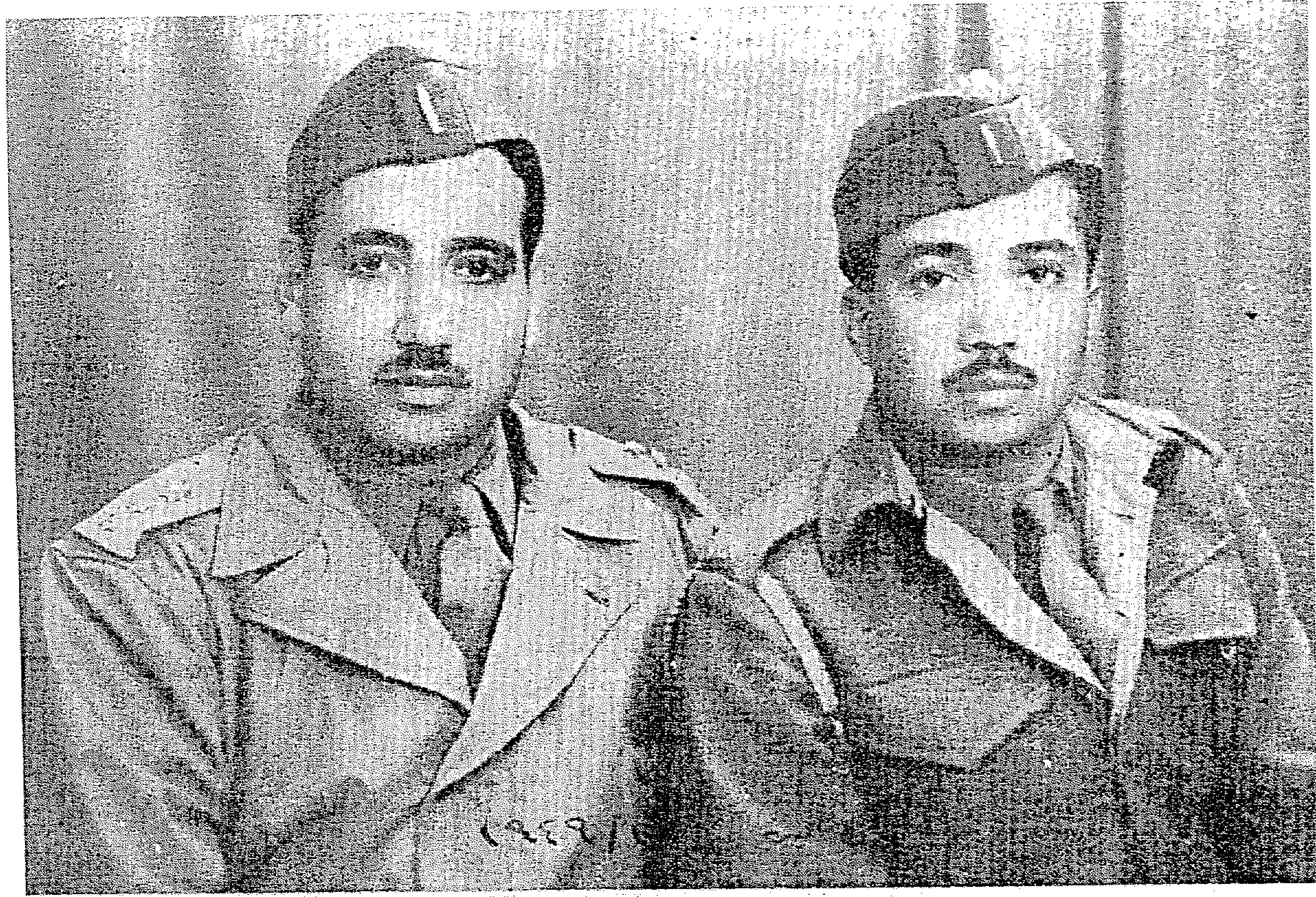
من اليسار: عبدالسلام محمد عارف. عبدالحسين جعفر. علي عريم التقطت هذه الصورة من قبل المصور محمد نورسي في كركوك في الساعة الحادية عشر وخمسة دقائق صباح يوم ١٩ كانون الاول ١٩٤٧ - كما قد كتب خلفها!!



الملازم الاول عبدالسلام محمد عارف في نابلس بفلسطين عام ١٩٤٨ مع زملاء له من الضباط
بالطرابيش النابلسية - في اقصى اليسار



التقطت هذه الصورة لعبدالسلام وهو يرتدي الملابس المدنية في استوديو للتصوير في فلسطين عام ١٩٤٨.



الرئيس (النقيب) عبدالسلام محمد عارف مع احد اصدقائه الضباط التقطت لهما هذه الصورة في نابلس بفلسطين في ٥ كانون الثاني ١٩٤٩



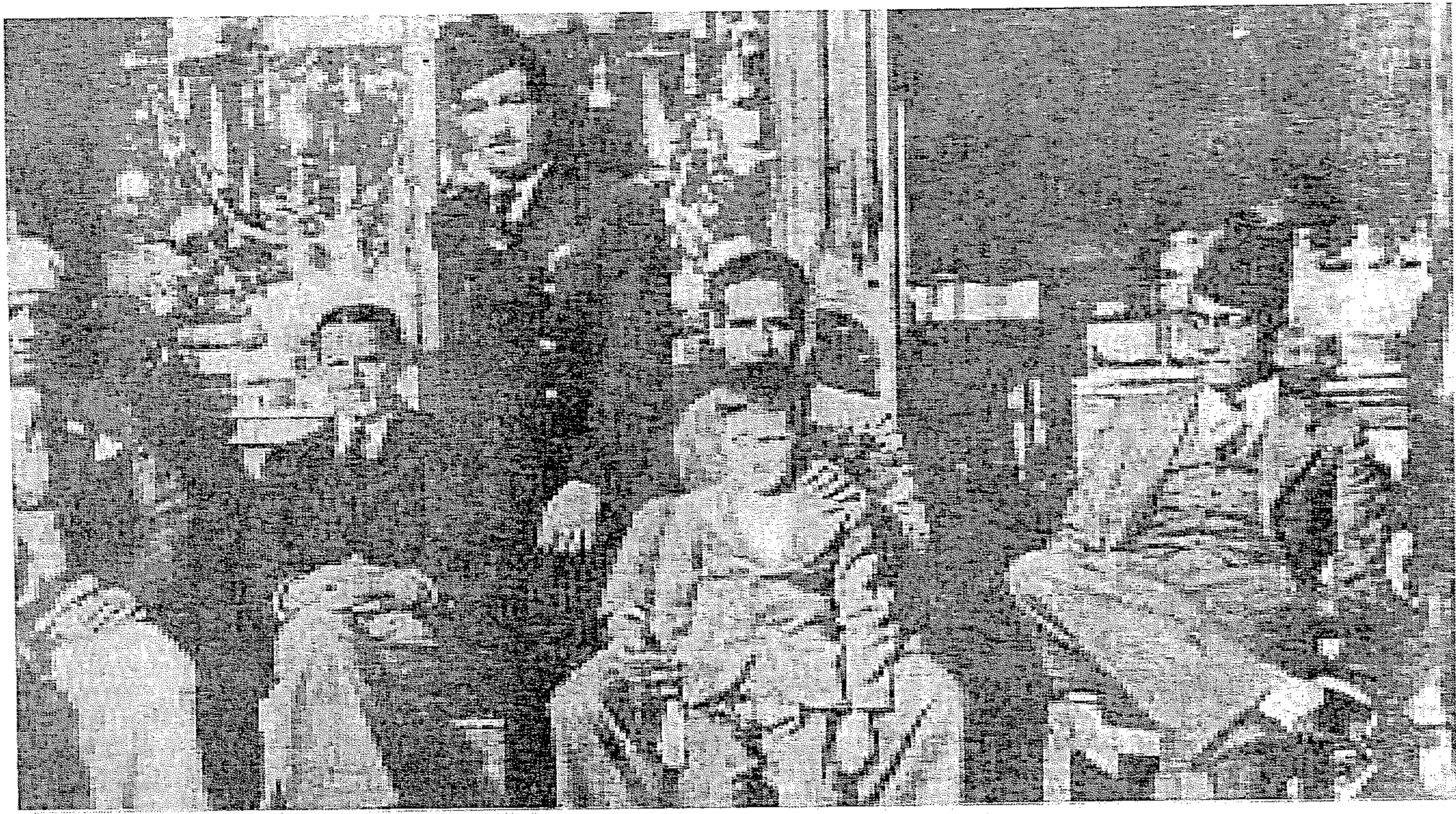
يقف الرئيس (النقيب) الركن عبدالسلام محمد عارف الى اقصى اليسار امام مدخل كلية الاركان



عبدالسلام محمد عارف يحتضن ولده احمد قبيل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بقليل



صورة كتب في اسفلها: ذكرى تفتيش الزعيم الركن رفيق عارف قائد الفرقة الثانية لمفرزة انضباط الموصل والفصيل الثاني / هندسة في ٢٥ كانون الاول ١٩٥١ ويقف الرئيس الاول الركن عبدالسلام محمد عارف خلفه (على ذراعه اشارة X)



عبدالسلام محمد عارف بالملابس المدنية يجلس مع بعض أصدقائه أمام دكان في محلة الكرخ قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بأشهر قليلة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الوالد الأكرم الحاج محمد عارف البزاز المحترم

بعد تقبيل أياديكم الكريمة

فقد توكلت على الله [illegible]

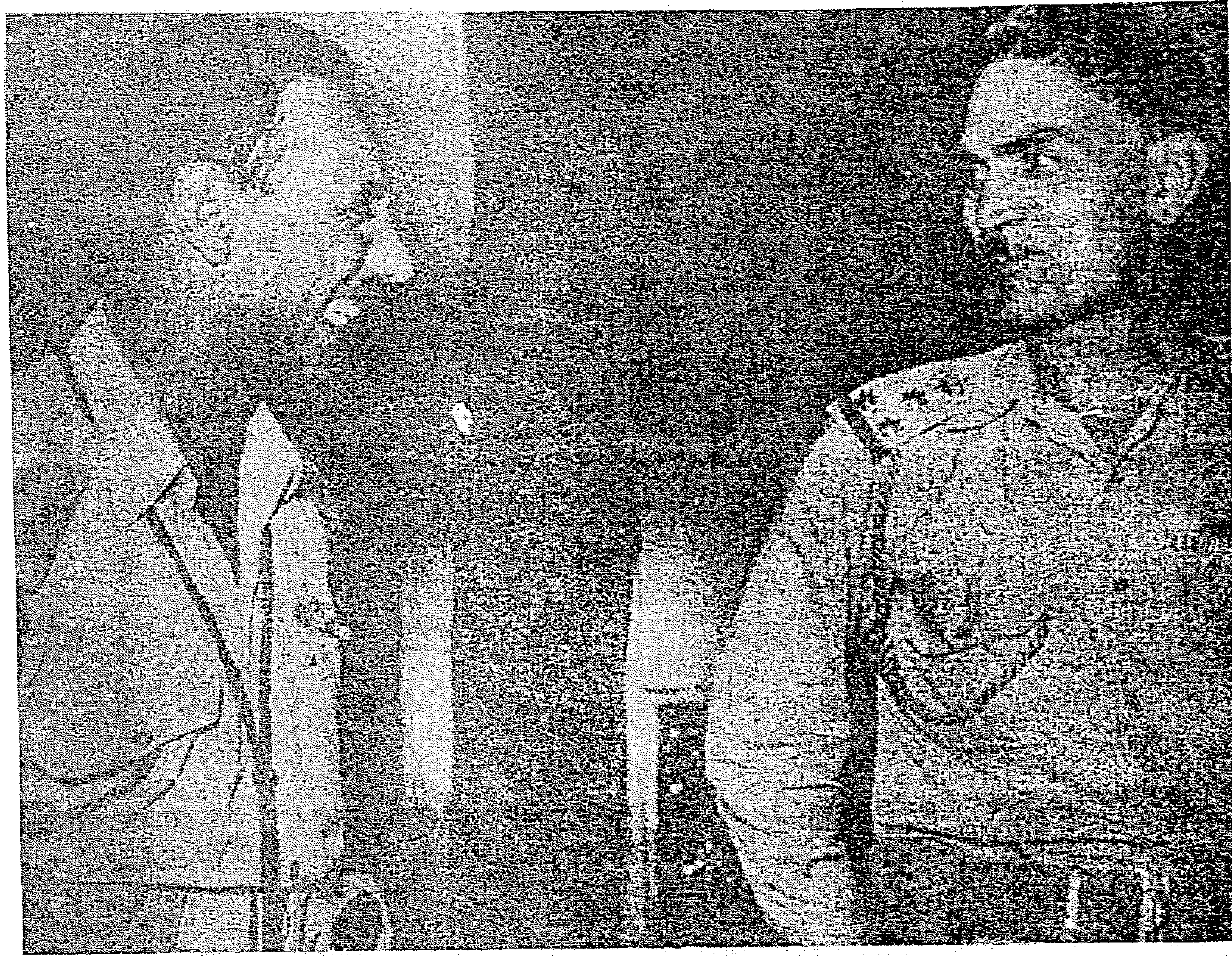
[illegible]

[illegible]

والسلام عليكم

[illegible]

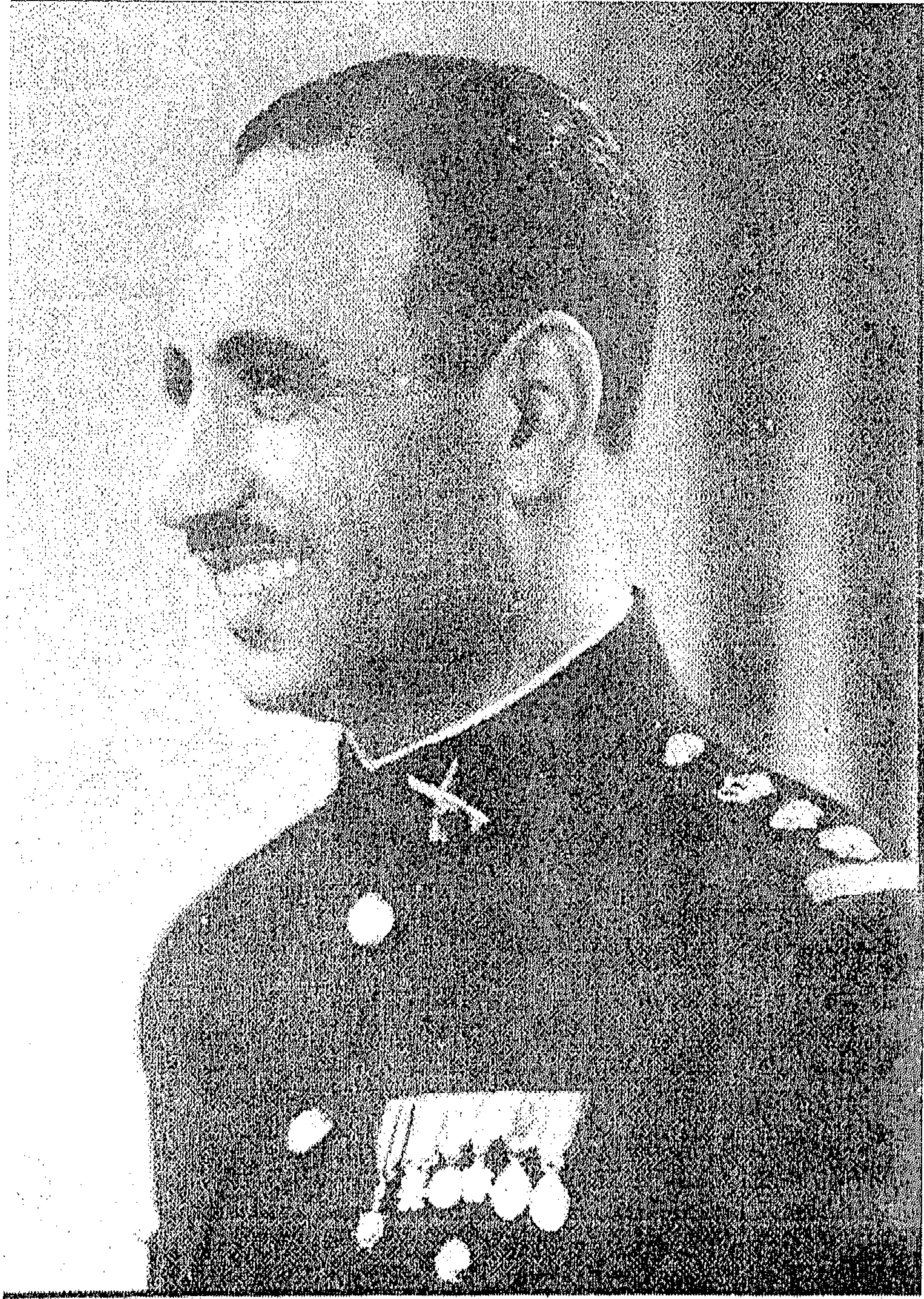
الوصية التي كتبها العقيد الركن عبد السلام محمد عارف الى والده الحاج محمد عارف البزاز قبيل القيام بثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨



الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والعقيد الركن عبدالسلام محمد عارف في اول ايام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨



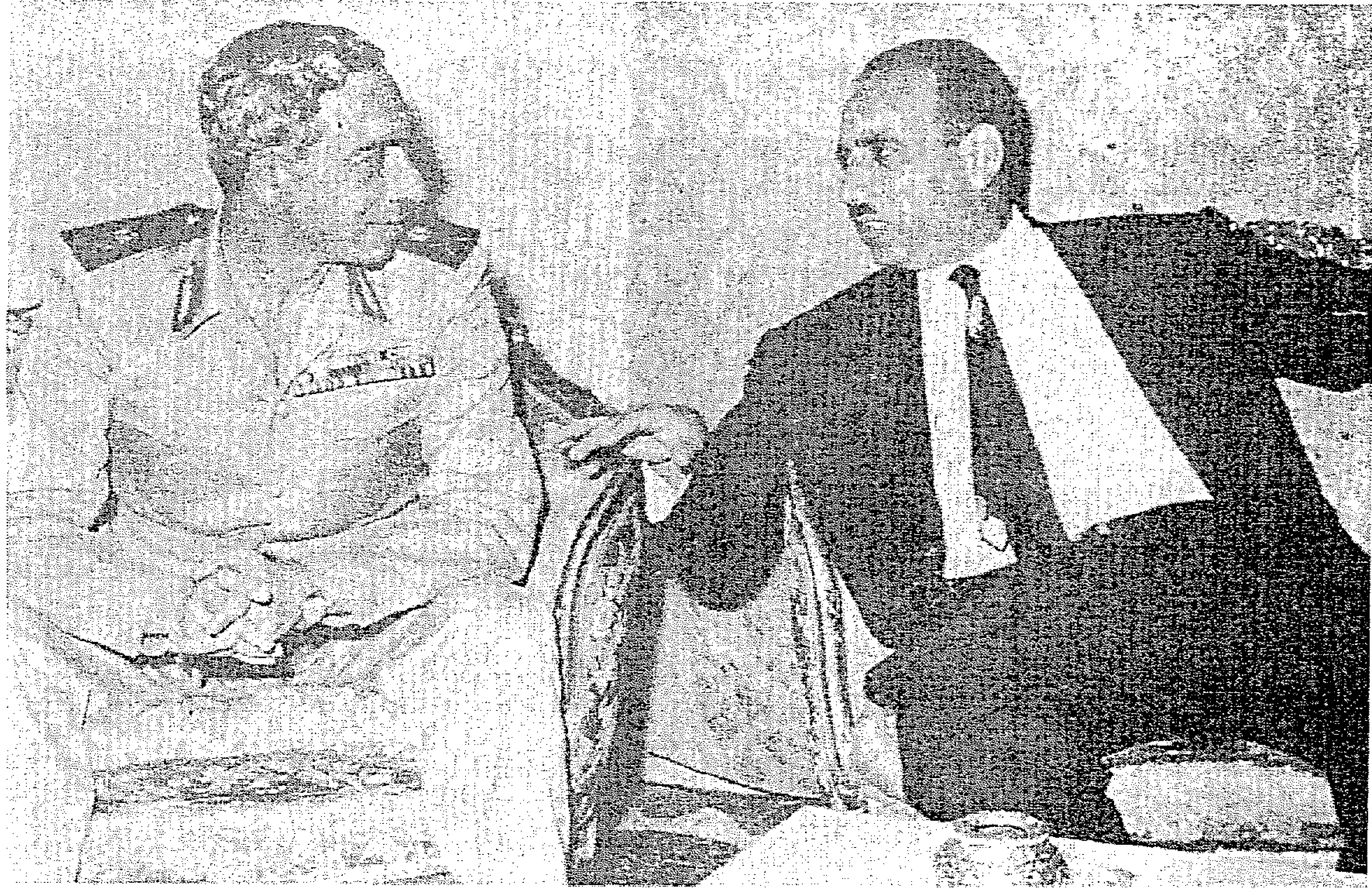
العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف يقبل اولاده بعد نجاح ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨



عبد السلام محمد عارف... لقطة من الخمسينات



العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف مع الرئيس جمال عبد الناصر في دمشق ١٨ تموز ١٩٥٨



الرئيس عبدالسلام محمد عارف باللباس المدني في دمشق يتحدث مع الفريق امين الحافظ رئيس مجلس قيادة الثورة السوري في الثاني من ايلول ١٩٦٣.



الرئيس عبدالسلام محمد عارف وقد وقف الى يساره الرئيس احمد حسن البكر والى جنبه الفريق طاهر يحيى مع بقية الوزراء.

عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية في مكتبه بالقصر الجمهوري ـ عام ١٩٦٣



المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية مع والده الحاج محمد عارف كانون الاول ١٩٦٣ - اي قبل وفاة والده باشهر قليلة.



المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة

صورة للمشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية التقطها الفنان جان صاحب استديو (بابل) للتصوير في كانون الثاني ١٩٦٤.



الشيخ عبد الله الصباح امير الكويت فالرئيس عبد السلام محمد عارف فالرئيس جمال عبد الناصر فالملك فيصل السعود من مؤتمر القمة العربي الاول المنعقد في القاهرة في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤

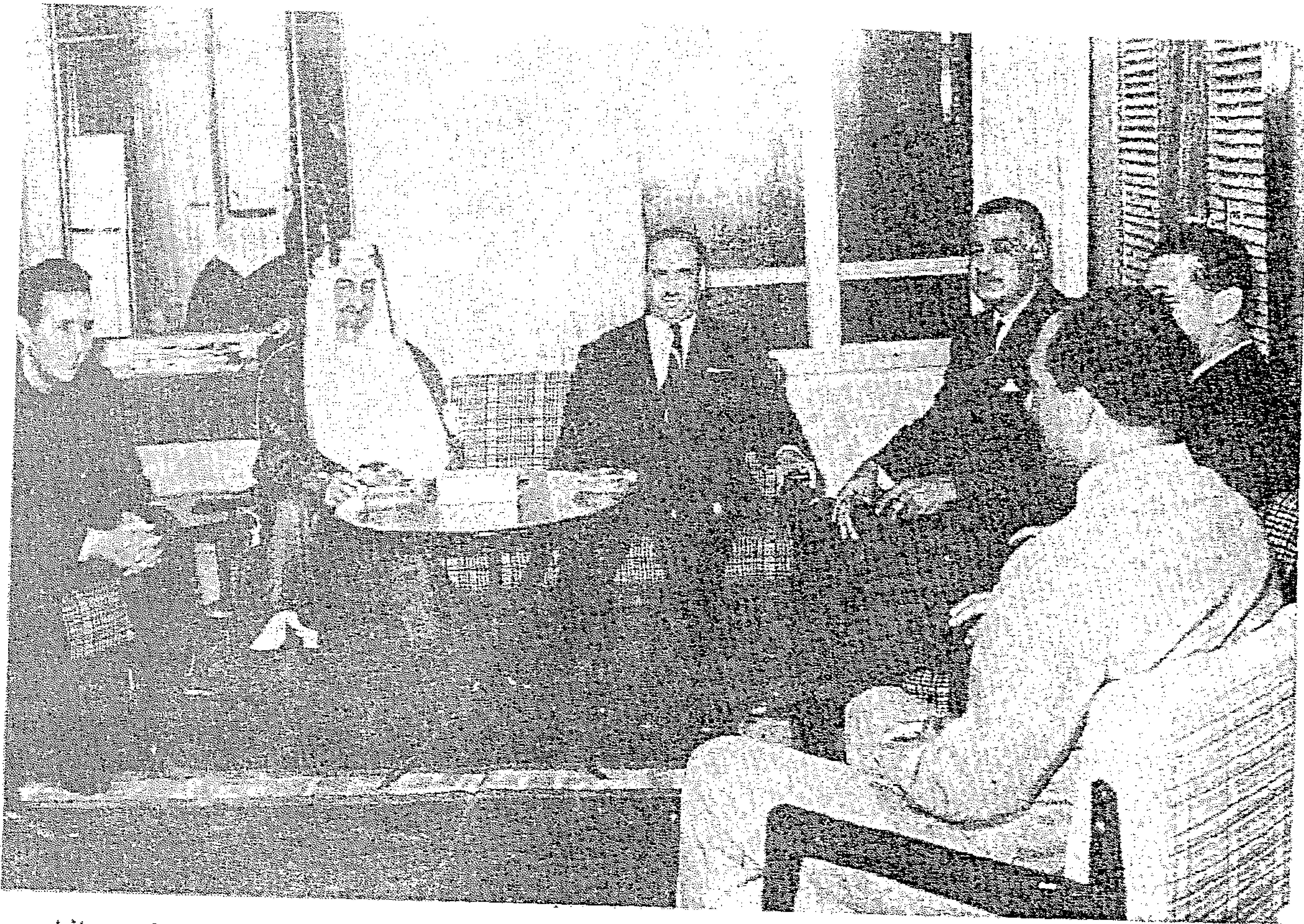


الرؤساء والملوك العرب في مؤتمر القمة العربي في القاهرة ١٣ كانون الثاني ١٩٦٤



الرؤساء والملوك العرب - ومنهم عبد السلام محمد عارف - في لقاء لهم في مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة

الرئيس والملك المغربي ويتبعهم عبد السلام محمد عارف يؤدون صلاة الجمعة في جامع الأزهر ١٩٦١



في اليسار: الرئيس الجزائري ابن بيللا فالملك السعودي فيصل فالرئيس عبدالسلام محمد عارف فالرئيس جمال عبد الناصر فالمشير عبد الحكيم عامر فالسيد انور السادات - في لقاءهم في مؤتمر القمة العربي الاول في القاهرة ١٩٦٤





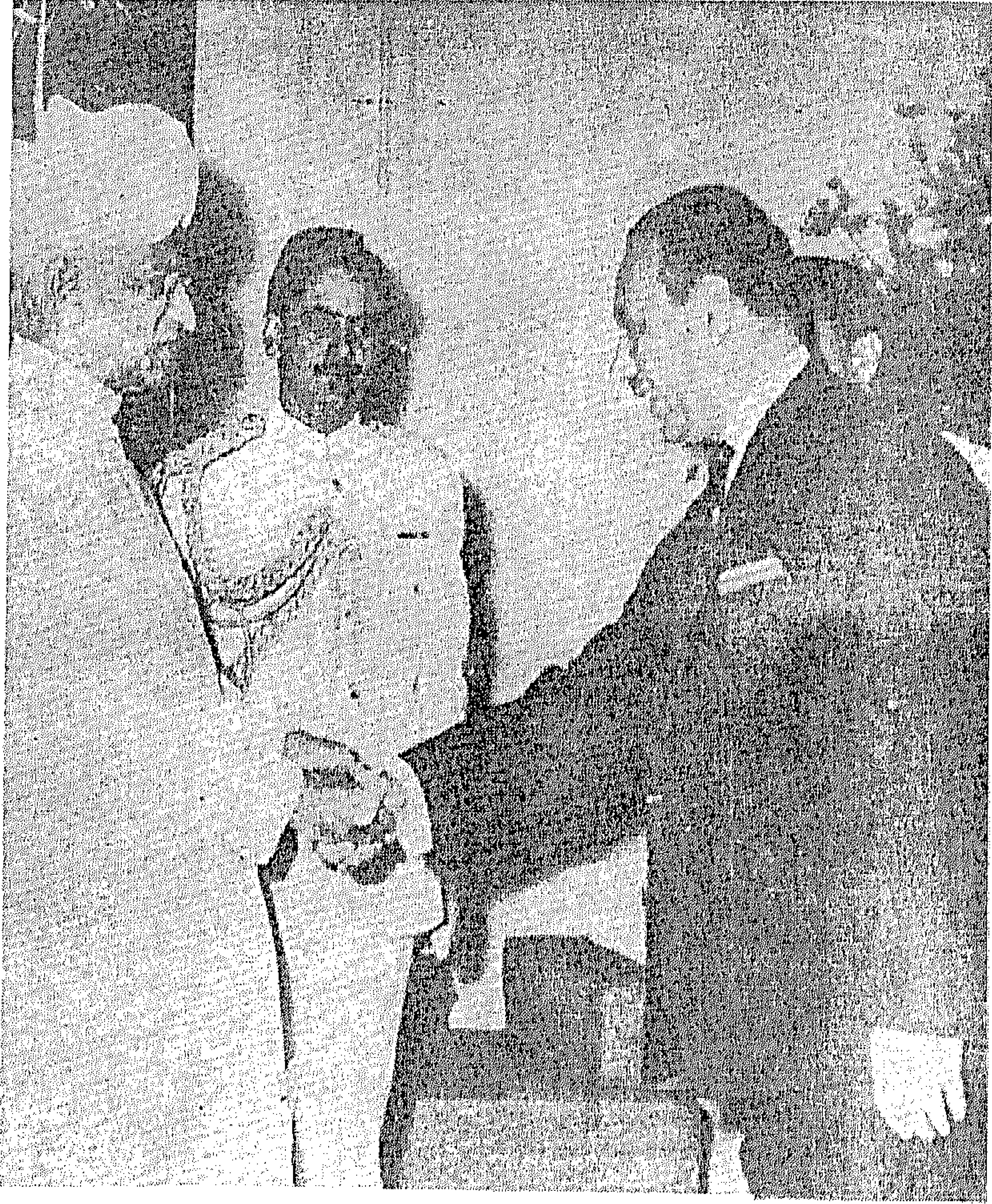
الرئيس عبد السلام محمد عارف مع الرئيس الباكستاني ايوب خان في ٢ اذار ١٩٦٤ في كراجي



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يلقي كلمته في حفل جامعة البنجاب (لاهور) بمناسبة منحه درجة دكتوراه فخرية في القانون



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يُقبّل القرآن الكريم المهدي اليه من الاكاديمية الاسلامية في دكا (باكستان) يوم ٢٤ اذار ١٩٦٤ وقد ظهر جالساً الى جانبه السيد ابو الهاشم مدير الاكاديمية الاسلامية فاللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب وزير المواصلات العراقي



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يصافح الرئيس الهندي رادها كرشنان اثناء احد الحفلات في نيودلهي في ٢٦ اذار ١٩٦٤



الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند اجتماعه بالبانديت جواهر لال نهرو في منزل رئيس وزراء الهند - اذار ١٩٦٤



الرئيس عبد السلام محمد عارف عند استقباله من جانب المسلمين الهنود اثناء زيارته لمقبرة الطاج الهندي - آذار ١٩٦٤

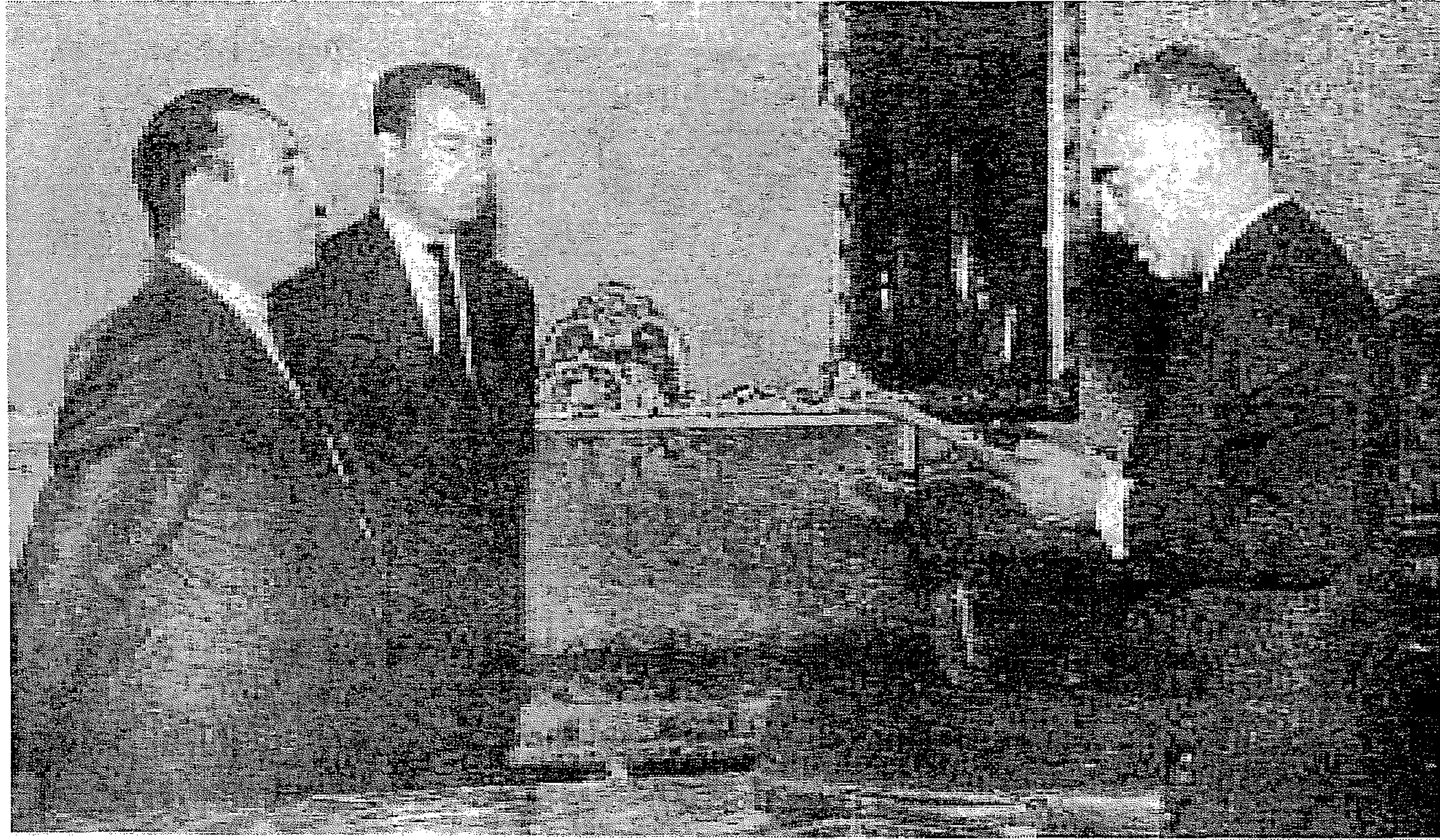




الجولة البحرية في مياه البحر الأحمر يوم ١٥ مايس ١٩٦٤ يظهر في الصورة الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس عبدالسلام محمد عارف صبحي عبدالحميد وزير الخارجية العراقي يقابلهم خروشوف الزعيم السوفيتي. وقد ظهر في الصورة الرئيس عبد السلام عارف



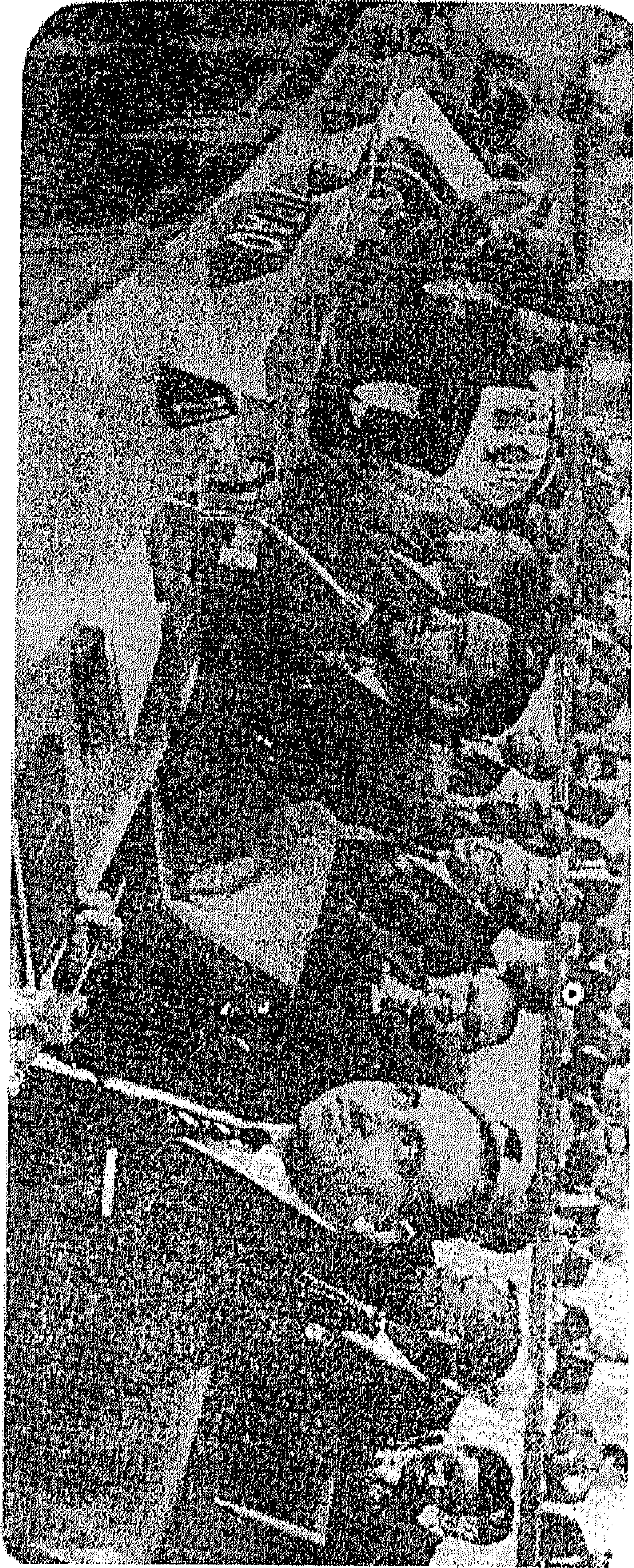
الرئيس جمال عبدالناصر يودع عبدالسلام محمد عارف في مطار القاهرة يوم ٢٦ مايس ١٩٦١.



السيد يوسف [illegible] في العراق يقدم أوراق اعتماده إلى الرئيس عبد السلام عارف ويرافقه الأستاذ صبحي عبد الحميد وزير الخارجية صباح يوم الاثنين ٢٢ حزيران ١٩٦٤



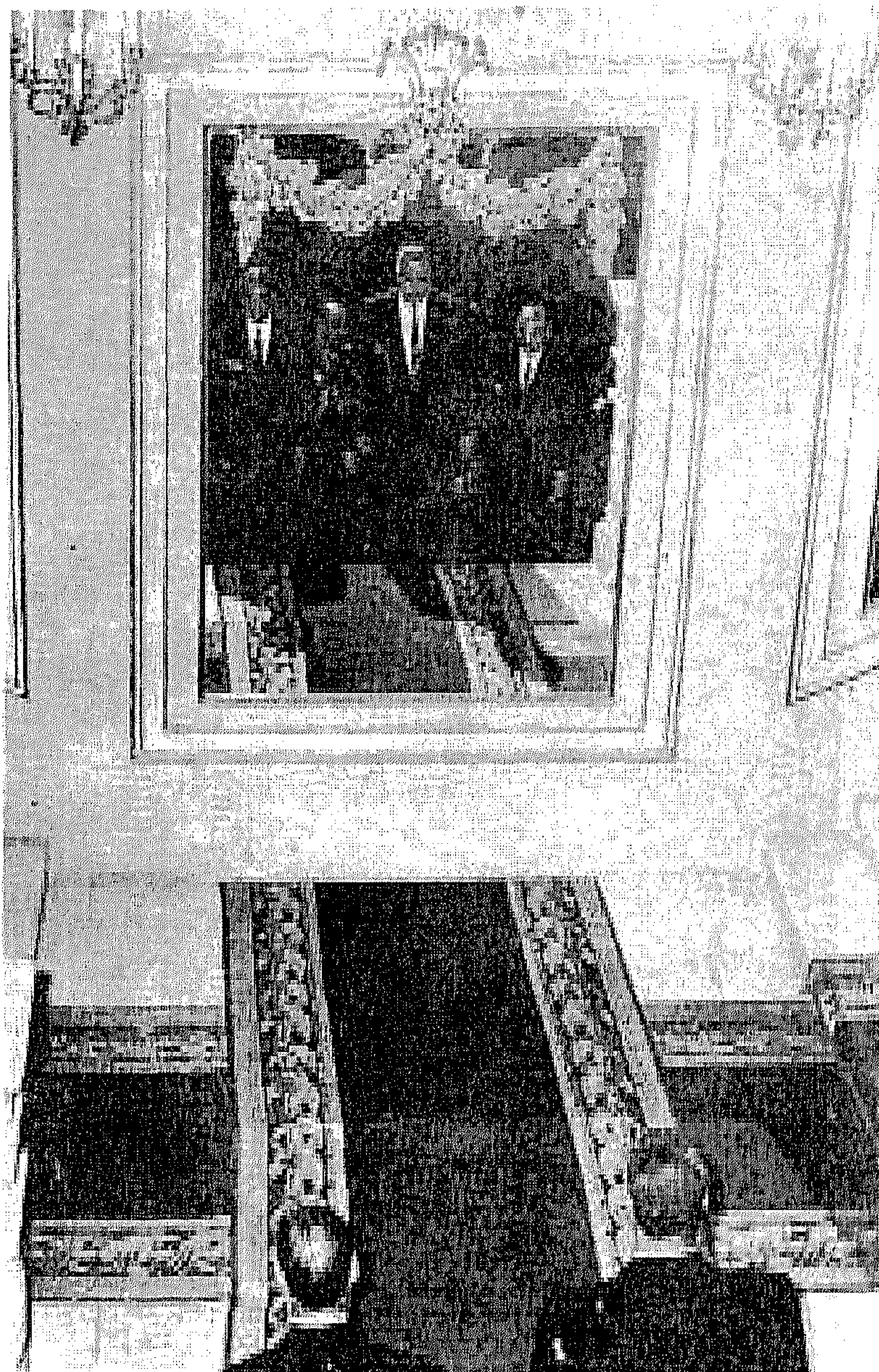
الرئيس عبدالسلام محمد عارف يتعانق مع الرئيس جمال عبدالناصر في مطار القاهرة، عند حضوره مؤتمر القمة العربي الثاني المنعقد في الاسكندرية بتاريخ ٥ أيلول ١٩٦٤م، و حضوره بعد انتهائه اجتماعاً لمجلس الرئاسة المشترك بين الجمهوريتين العربية المتحدة والعراق في ١٤ أيلول ١٩٦٤م.



الرئيس عبدالسلام محمد عارف في مؤتمر دول عدم الانحياز المنعقد في القاهرة في ٤ تشرين الاول ١٩٦٤.



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يفتتح مؤتمر المهندسين العرب الثاني في ١٣ كانون الاول ١٩٦٤.



الرئيس جمال عبدالناصر والرئيس عبدالسلام محمد عارف يصعدان سلم قصر عابدين في القاهرة
إلى الطابق الأول لحضور حفلة العشاء المقامة على شرف الرئيس العراقي.

الرئيس عبدالسلام محمد عارف يتحدث مع عبدالمجيد السراج، الزعيم السوري المعروف المقيم في القاهرة وإلى جانبه الأستاذ رجب عبدالمجيد، في صالون السفارة العراقية في القاهرة في ٢٦ مايس ١٩٦٥



الرئيس عبدالسلام محمد عارف مع النساء العراقيات المقيمات في القاهرة. الصورة التقطت في صالون السفارة العراقية في القاهرة في ١٦ مايس ١٩٦٥



اعضاء السفارة العراقية في القاهرة وموظفو الجامعة العربية يسلمون على الرئيس عبدالسلام محمد عارف في حديقة السفارة العراقية في الزمالك، ويظهر في الصورة الأستاذ صاحب ذهب يسلم عليه - في ١٦ مايس ١٩٦٥



الرئيس عبدالسلام محمد عارف يغادر بسيارته المكشوفة، بعد ازاحة الستار عن نصب جندي ١٤ تموز، في الساحة المؤدية الى القصر الجمهوري والجسر المعلق، عصر يوم ١٦ تموز ١٩٦٥



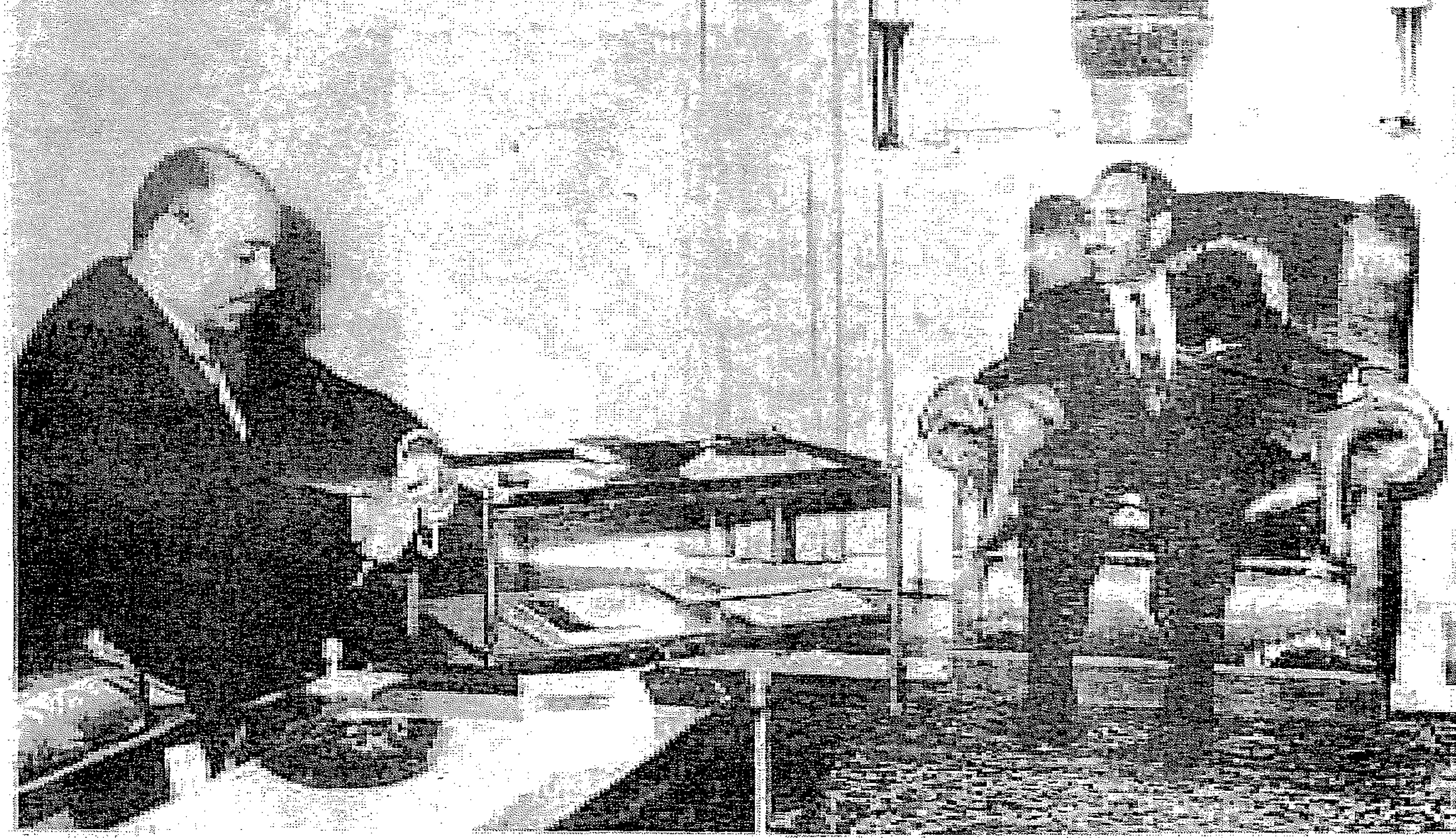
الرئيس عبد السلام محمد عارف يصافح العميد سعيد صليبي، وهو في طريقه إلى الدار البيضاء لحضور مؤتمر القمة العربي الثالث المنعقد في ١٣ أيلول ١٩٦٥، لقد كان صليبي وراء افشال انقلاب عارف عبد الرزاق



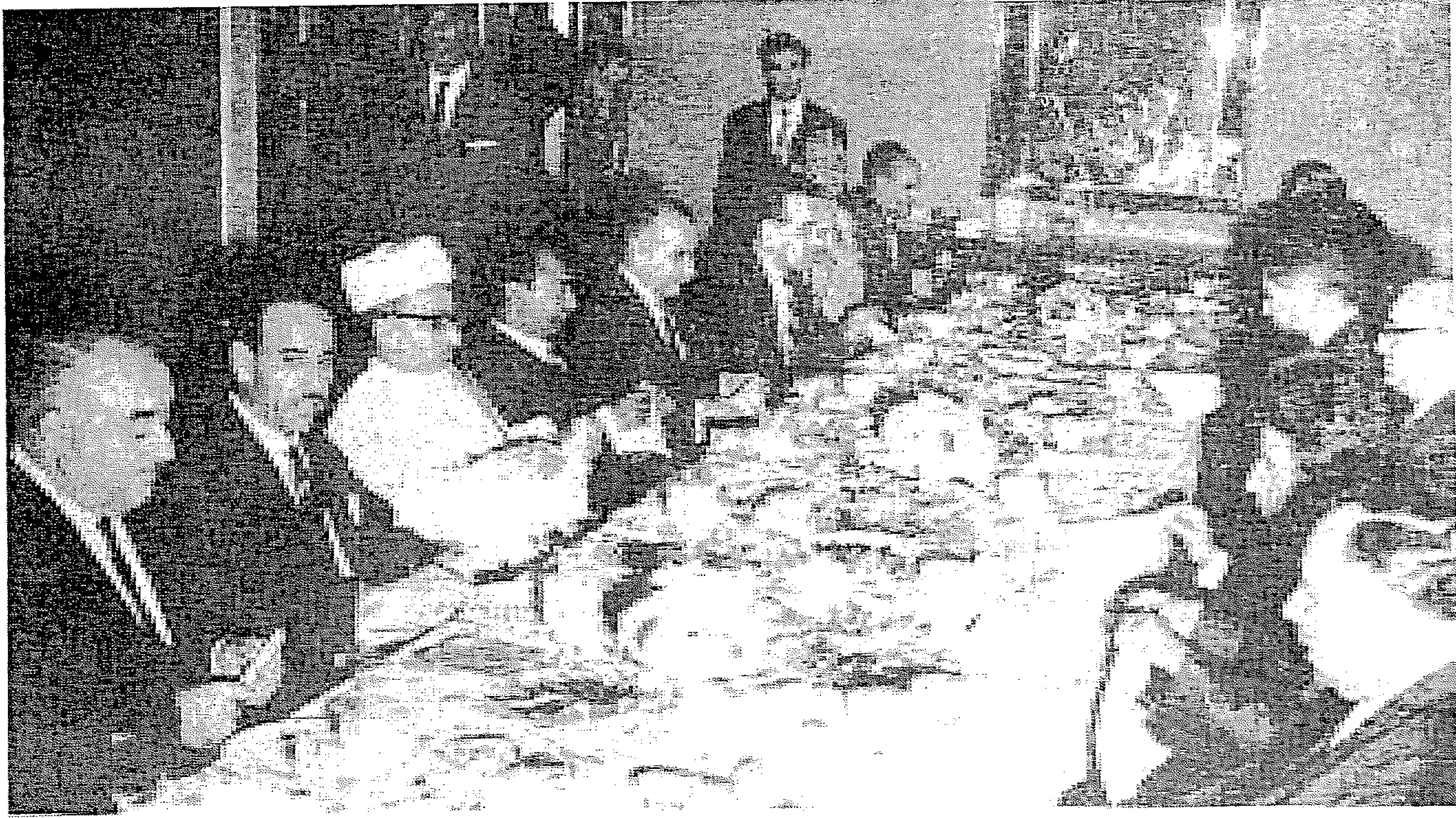
المشير عبدالحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة في ج.ع.م يعانق الرئيس عبدالسلام محمد عارف عند مروره بالقاهرة عائدا من الدار البيضاء بعد فشل انقلاب عارف عبدالرزاق في أيلول ١٩٦٥



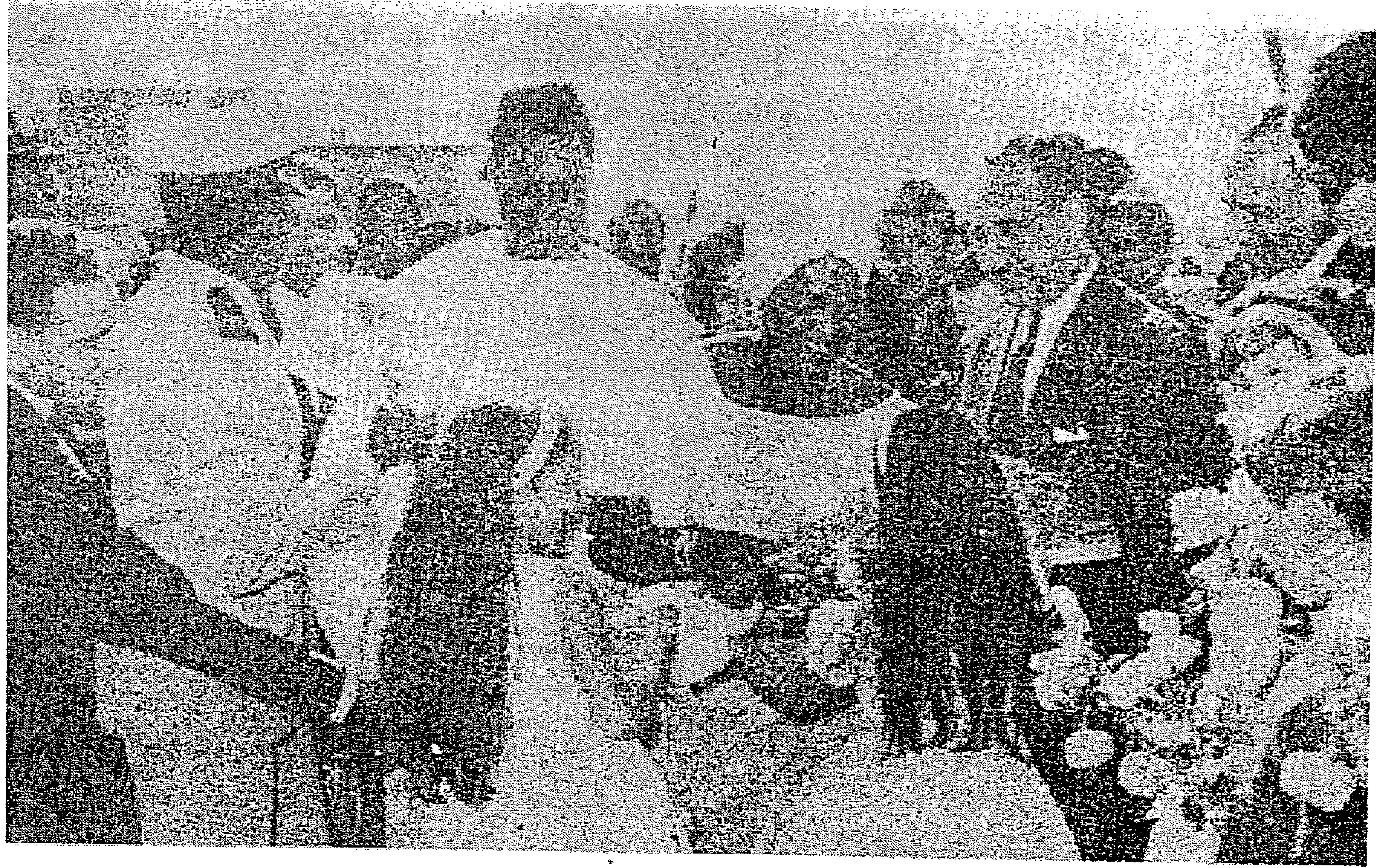
الرئيس عبد السلام محمد عارف عند عودته من الدار البيضاء بعد فشل انقلاب عارف عبد الرزاق في أيلول 1965 ويبدو في الصورة شقيقه اللواء عبد الرحمن محمد عارف رئيس أركان الجيش يستقبله عند سلم الطائرة (يميناً)



الرئيس عبد السلام عارف يستقبل في مكتبه بالقصر الجمهوري الزعيم السوري جاسم علوان عام ١٩٦٥

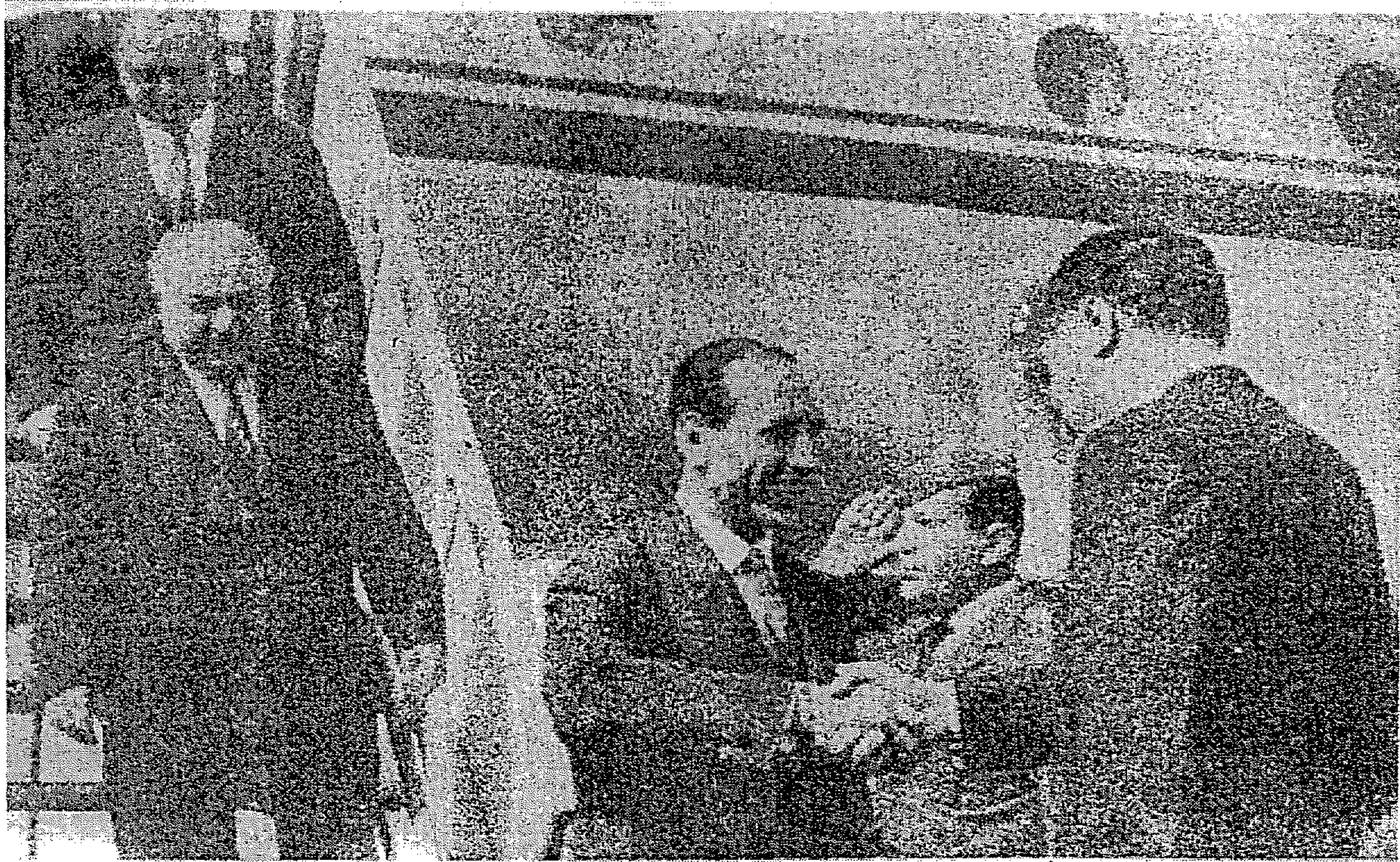


الرئيس عبدالسلام محمد عارف يقيم حفلة عشاء في القصر الجمهوري تكريماً لوفد الجمهورية اليمنية في ١٠ تشرين الأول ١٩٦٥ ويشاهد في الصورة عبداللطيف الدراجي



استقبل الرئيس عبدالسلام محمد عارف في عهده الكثير من الوفود الافريقية.

نص كلمة وجهها المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الى القوات المسلحة بمناسبة يوم الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٦٦



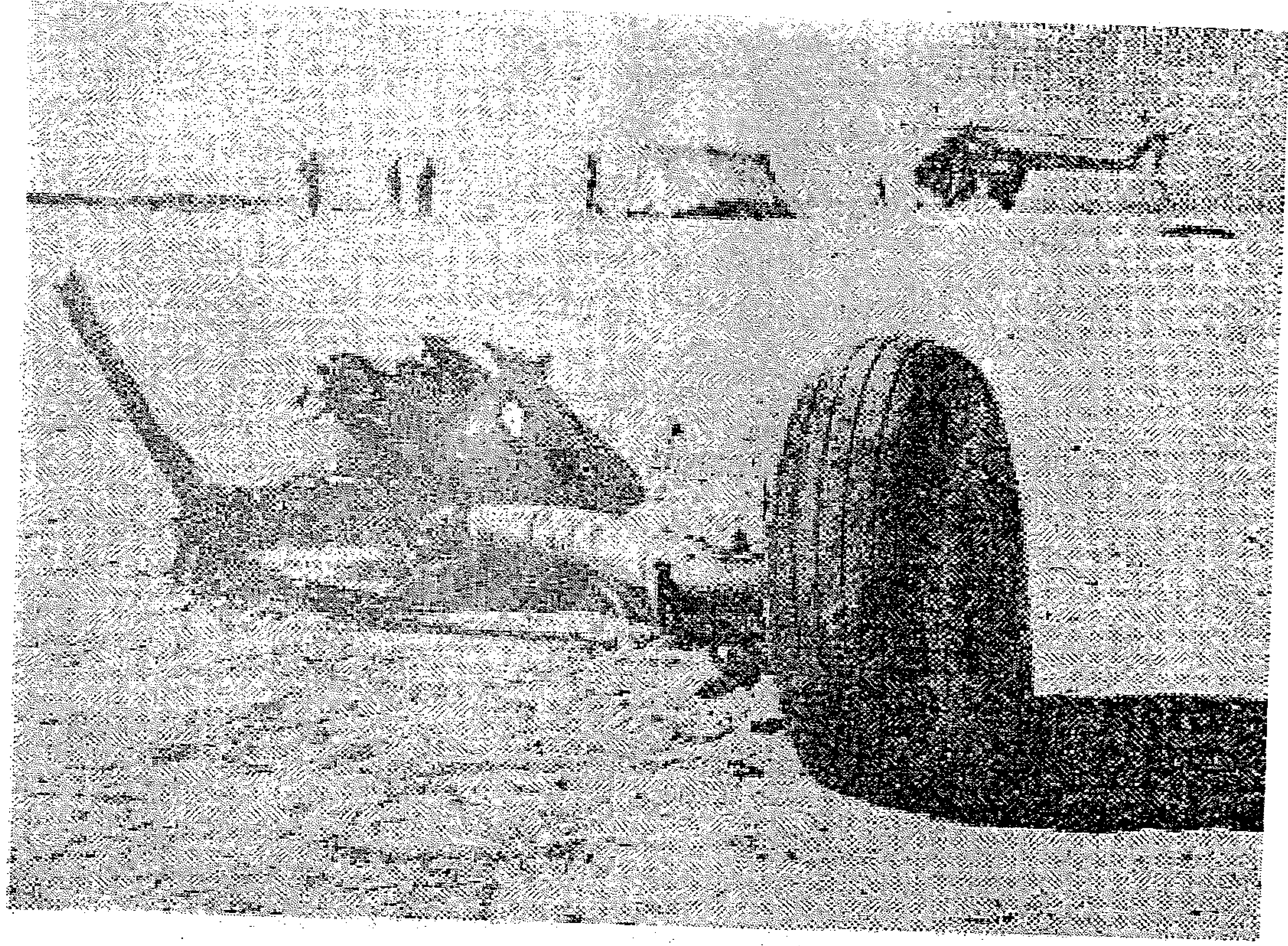
الرئيس عبدالسلام محمد عارف يصافح محمد الحياني متصرف (محافظ البصرة) عند نزوله من الطائرة (الرف الجمهوري) التي اقلته الى البصرة يوم ١٢ نيسان ١٩٦٦ وقد نزل خلفه عبداللطيف الدراجي وزير الداخلية فمصطفى عبدالله وزير الصناعة الصورة التقطت في مطارالبصرة قبل يوم من مصرعه، وقد ظهر (الرائد) الرئيس الاول الطيار طاهر التكريتي يؤدي التحية.



آخر صورة التقطت للرئيس عبد السلام محمد عارف في القرنة [illegible] الكثيرة في طريقه إلى الساحة حيث تقف الطائرة المروحية الهليكوبتر
التي سقطت وصحبه إلى البصرة [illegible] عبد الله مجيد .



طائرة الهليكوبتر التي كانت تقل الرئيس عبد السلام محمد عارف وصحبه بعد تحطمها قرب أرض (النشوة) بالقرب من القرنة مساء يوم الأربعاء ١٣ نيسان ١٩٦٦ ومصرع ركابها.



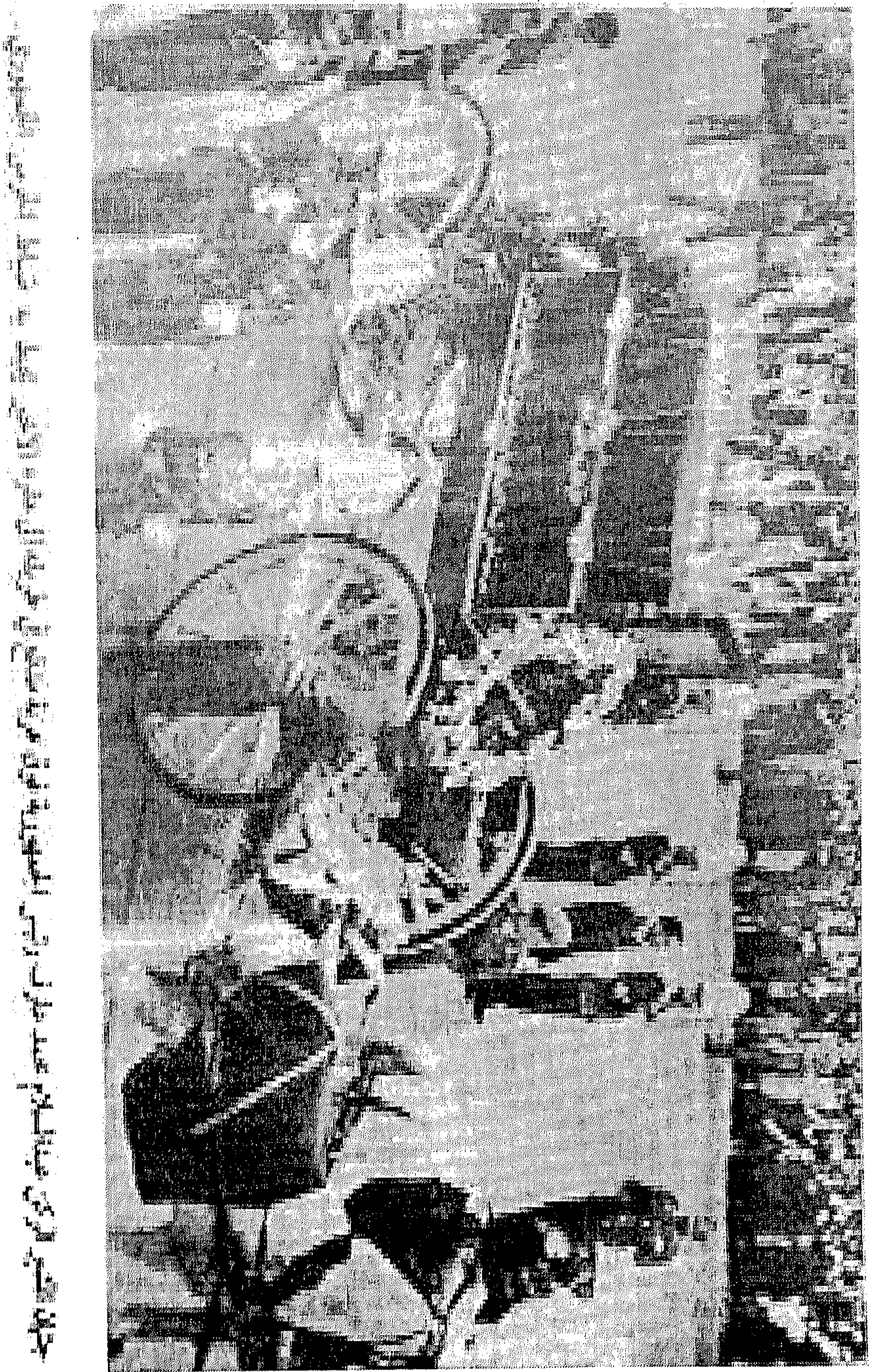
عجلة الطائرة المنكوبة بعيدة عن حطامها في أرض الثورة.

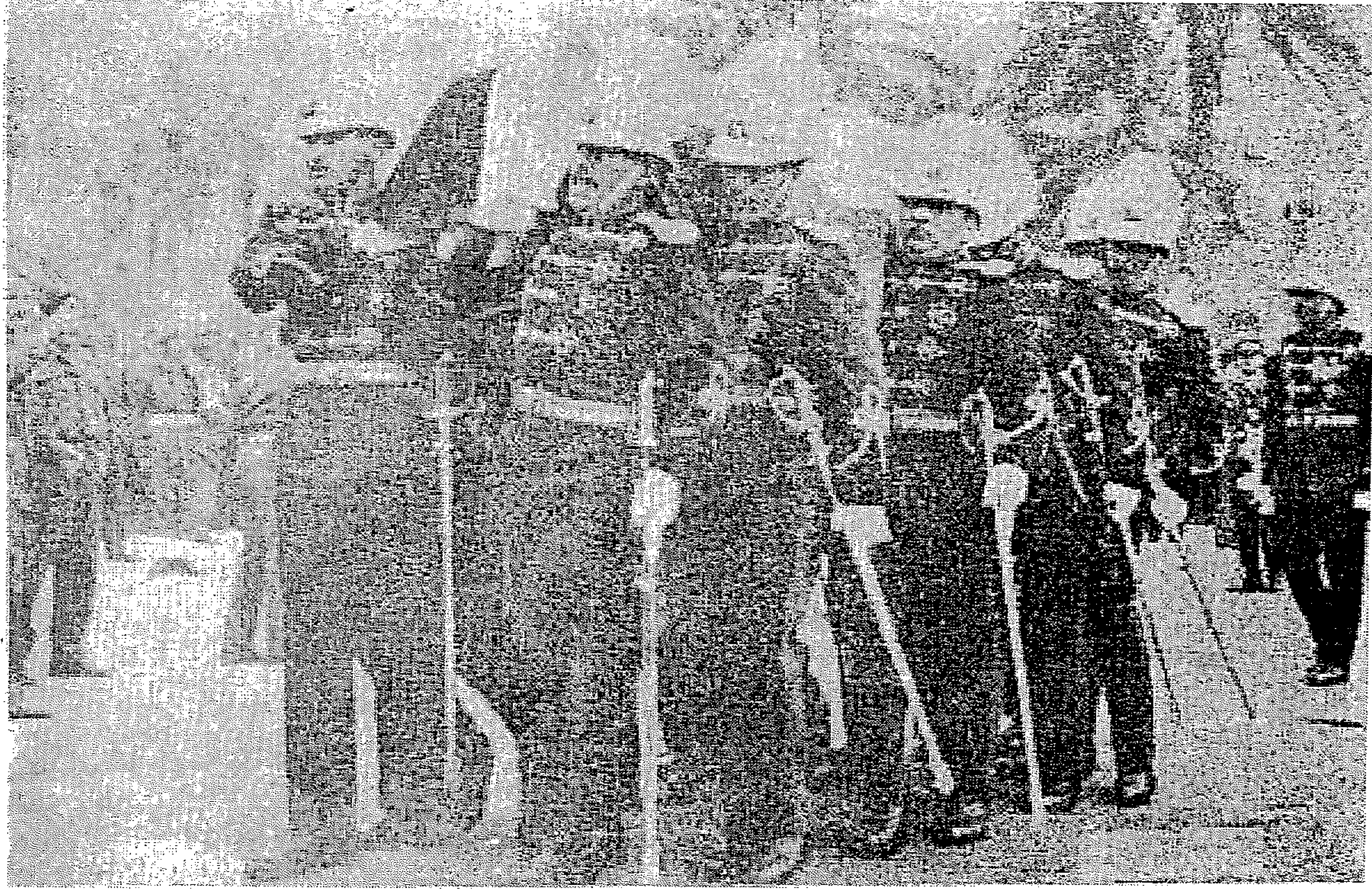


جثمان الرئيس عبدالسلام محمد عارف ينزله كبار ضباط القوات المسلحة من الطائرة التي اقلته
الى بغداد من البصرة في الساعة السادسة من مساء ١٤ نيسان ١٩٦٦.



جثمان الرئيس عبدالسلام محمد عارف مسجى في صالون القصر الجمهوري واكاليل الورود عليه
ويظهر ابنه احمد وشقيقه عبدالسميع يسلمان علية ويودعانه الوداع الاخير





ضباط الحرس الجمهوري يحملون نعش الرئيس عبدالسلام محمد عارف ليودعوه مقره الاخير في جامع الشيخ ضاري بـ (ابو غريب) عصر يوم السبت ١٦ نيسان ١٩٦٦.



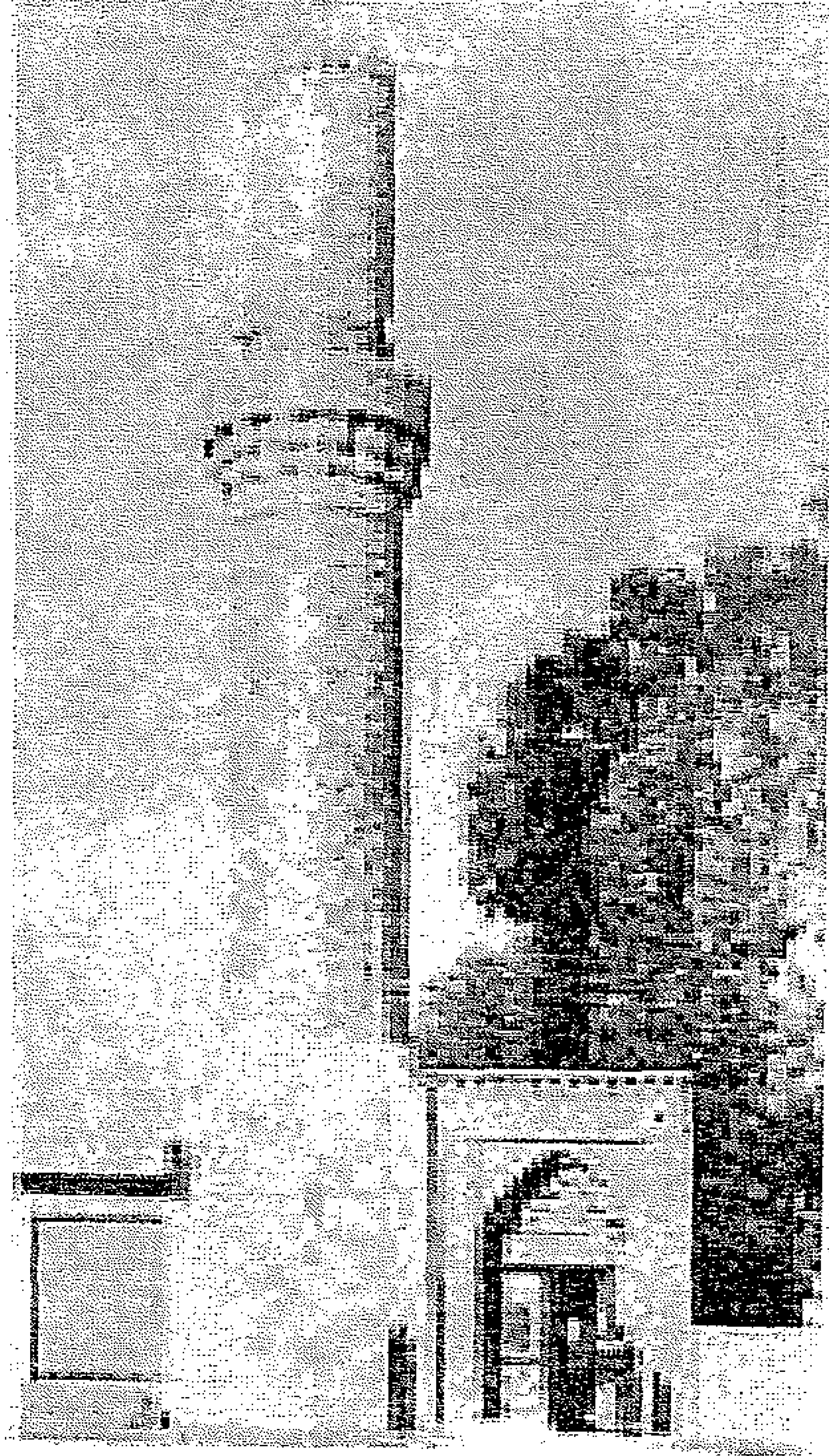
جثمان الرئيس عبدالسلام محمد عارف ينزل الى مرقده الاخير في جامع الشيخ ضاري عصر يوم
١٩ نيسان ١٩٦٦



احد الشوارع في الكويت اطلق عليه «شارع عبدالسلام عارف» وكانت بلدية الكويت قد قررت ذلك اثر وفاته.



أصدرت مصلحة البريد [illegible]



الفاتحة

هو الحي الباقي

الشهيد في سبيل الله والوطن

المغفور له المشير الركن

عبدالسلام محمد عارف

مؤسس الجمهورية العراقية

وأول رئيس لها

في اليوم الثالث عشر من نيسان ١٩٦٦

الموافق الثالث والعشرين من

شهر ذي الحجة ١٣٨٥

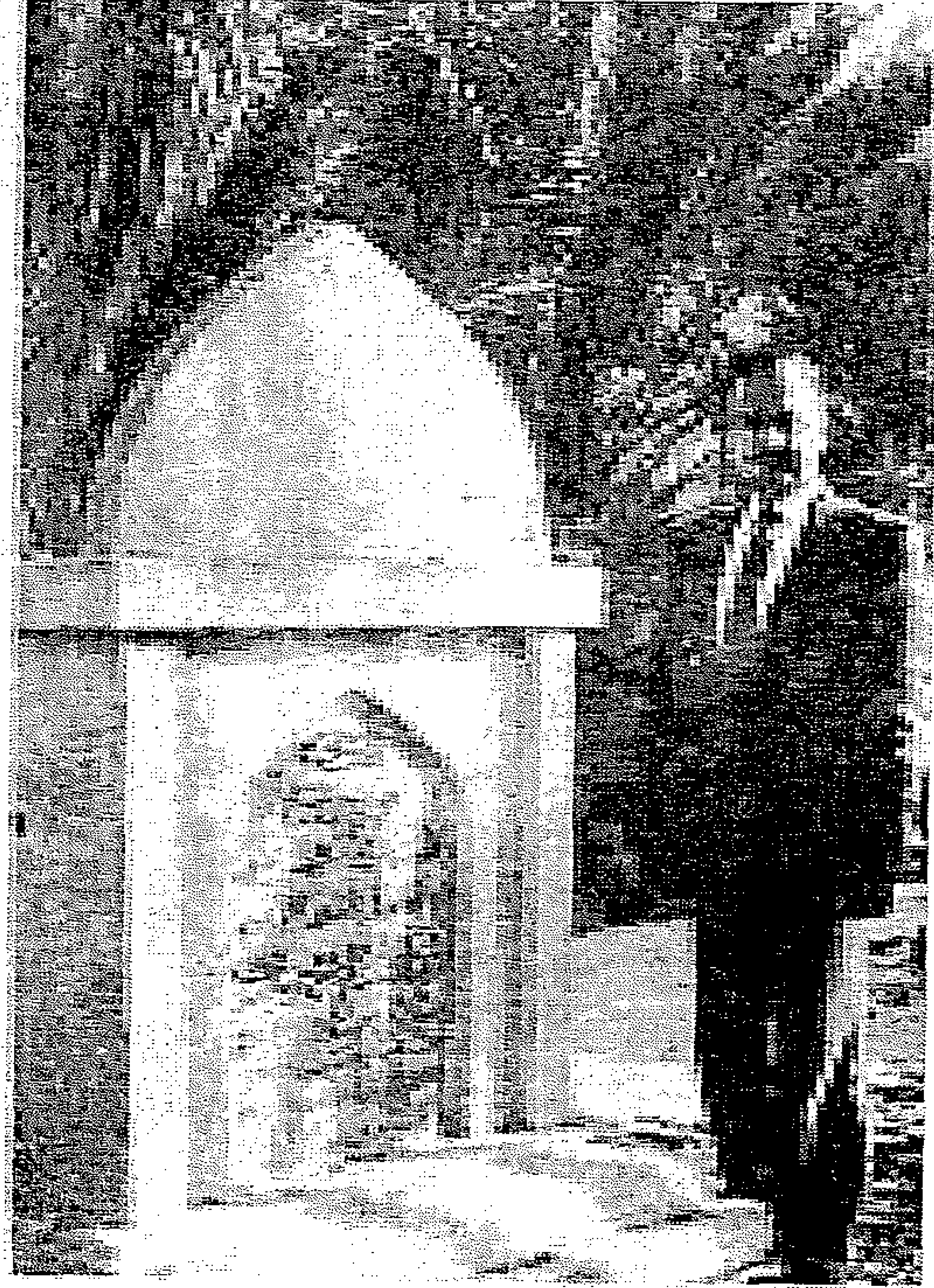
أسكنه الله فسيح جناته

وجعله من الصديقين والشهداء

الكلمات التي حفرت على

المرمرة المثبتة على قبر المرحوم

عبدالسلام محمد عارف



المؤلف احمد فوزي يقف الى جانب قبر المرحوم عبدالسلام محمد عارف في حديقة جامع الشيخ ضاري

(التقط هذه الصورة الاستاذ صلاح عبد الله المصف)

المؤلف في سطور

أحمد فوزي عبد الجبار

- ولد ببغداد في 24 تشرين الثاني عام 1927.
- تخرج في كلية الحقوق عام 1953.
- أصدر مع فائق السامرائي جريدة "الجريدة" عام 1953.
- انتخب مديراً مسؤولاً لجريدة "لواء الاستقلال" الناطقة بلسان حزب الإستقلال عام 1954.
- مثل الصحافة العراقية في العيد الأول للثورة العربية في مصر عام 1953.
- عُهد إليه في الأيام الأولى لثورة 14 تموز 1958 بمسؤولية ومرافقة الوفود الصحفية.
- عُين مديراً مفوضاً لشركة الصحافة والطباعة المحدودة في مطلع عام 1959.
- عُين مديراً عاماً لوكالة الأنباء العراقية عام 1965.
- انتخب رئيساً لجمعية الحقوقيين العراقيين عام 1965. وكان أول رئيس لها ولمدة خمس سنوات، وترأس تحرير "مجلة الحقوقي".
- عُين مديراً عاماً للإعلام في وزارة الثقافة والإعلام عام 1967.
- ترأس تحرير جريدة "الجمهورية" منذ صدورها بعد عملية تأميم الصحافة في 4/ 12/ 1967.
- نُسب بعد ثورة 17 تموز 1968 ملحقاً صحفياً في ديوان وزارة الأعلام. فمديراً للصحافة ثم مديراً لمركز حفظ الوثائق.
- نقل إلى وزارة العدل. وعُين مفتشاً عدلياً. ومديراً لمجلة "العدالة".

- أحال نفسه على التقاعد في نهاية عام 1979. وعاد ليمارس المحاماة.
- عُين محامياً في أمانة العاصمة. ونُسب "مشرفاً عاماً" على جريدة "بغداد" عام 1980.
- ساهم في تحرير بعض صحف القاهرة. أيام لجوئه السياسي في مطلع الستينات.
- القى أحاديث صحفية وقومية من دار الإذاعة العراقية. وصوت العرب. والقاهرة. وشارك في ندوات تلفزيونية في بغداد والقاهرة والجزائر والسودان والكويت.
- قام بزيارات صحفية واستطلاعية لمعظم الدول العربية. وبعض الدول الافريقية والآسيوية. ومعظم الدول الأوربية الغربية والشرقية والأسكندنافية و25 ولاية أمريكية و5 ولايات كندية.
- عضو في نقابة المحامين ونقابة الصحفيين والاتحاد العام للأدباء والكتاب واتحاد المؤرخين العرب.

○ صدرت له الكتب التالية:

1- غرب أم غروب "قصة عبد الكريم قاسم".

2- المهداوي.

3- بترول ودخان "قاسم والكويت".

4- لهو في لهب "قاسم والنفط".

5- خناجر وجبال "قاسم والأكراد".

6- قصة عبد الكريم قاسم كاملة.

7- ثورة 14 رمضان.

8- لقاء في طريق الوحدة.

9- القدس عربية.

10- لقاء عند بوابة مندلبوم.

11- حكايات سياسية وصحفية عن 12 رئيس وزراء.

12- أشهر المحاكمات الصحفية في العراق.

13- سيرة وحكايات عن 6 رجال فكر وقانون.

14- الجريدة.. وصراعها مع السلطة!

15- أشهر الأغتيالات السياسية في العراق.

16- الملك فيصل الثاني: عائلته.. حياته. مؤلفاته! (ثلاث طبعات).

17- المثير من أحداث العراق السياسية.

18- عبد الكريم وساعاته الأخيرة. (طبعتان).

19- أين الحقيقه في مقتل عبد الكريم قاسم.

20- شخصيات... وتواقيع..

21- اليوم الأخير للملكية في العراق.

22- عبد السلام عارف (طبعتان).



عبد السّلام محمد عارف

حياته و مصرعه



أحمد فوزي



دار دجلة
ناشرون و موزعون

عمّان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس: 96264647550+ خلوي: 962795265767+
ص ب: 712773 عمان 11171 الأردن
E-mail: dardjlah@yahoo.com
www.dardjlah.com



جميع كتبنا م
nwf.com
نيل و فرا



designed by
M. Khudair
khudairart@yahoo.com